

سِلْسِلَةُ الْمَدْخَلِ إِلَى كُتُبِ السَّلَفِ ٣

# مُناظرةُ القائلين بخلق القرآن

عبد العزيز بن محمّد الكِنَافِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَبْدُ اللَّهِ الْأَدْرِمِيُّ ابْنُ الشَّحَّامِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَكْوَيْهِ ابْنُ قُدَّامَةَ الْمَقْدِسِيِّ



ضَبَطَ نَصَّهُ وَعَلَّقَ وَزَادَ عَلَيْهِ : مُحَمَّدُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ

## الفهرس □

٨..... سبب اختيار هذا الكتاب

١١..... عملي في هذا الكتاب

مقدمات ..... ١٢

١٢..... مقدمة حول فتنة خلق القرآن

١٥..... مقدمة في مذاهب الناس في كلام الله

١٥..... [مذهب الاتحادية]

١٦..... [مذهب الفلاسفة المتأخرين]

١٧..... [مذهب المعتزلة]

١٧..... [مذهب الكلّائية]

١٨..... [مذهب الأشعري]

١٨..... [مذهب الكرامية]

١٩..... [مذهب السالمية]

٢١..... [مذهب أتباع الرُّسل]

٢٤..... خلاصة

٢٦..... [مسألة تكلم العباد بالقرآن]

مناظرة عبد العزيز بن يحيى الكناني (كتاب الحيدة والاعتذار)..... ٢٩

٢٩..... نبذة عن كتاب الحيدة

٣١..... نبذة عن مؤلف كتاب الحيدة والاعتذار

٣٤..... نبذة عن بشر المريسي

٣٦..... [أول الكتاب]

٣٦	[مقدمة المؤلف].
٤٦	[لقاؤه بالإمام أحمد].
٤٧	[نصيحة حاجب المأمون].
٤٩	[دخول عبد العزيز على المأمون].
٥٤	[قبل بداية المناظرة].
٥٩	[بداية المناظرة].
٦٣	[كون القرآن شيئاً].
٦٨	[الحجة على أنّ القرآن شيء لا كالأشياء المخلوقة].
٨٠	[لا يستوي السني والجهمي].
٨١	[مبحث الاستثناء والتخصيص].
٨٣	[عدم إقرار الجهميّة بأنّ لله علماً].
١٠١	[عودة إلى مبحث الخصوص والعموم].
١١٦	[معنى «جعل» وورطة المريسي].
١٣٣	[الفرق بين الجعل والخلق، ومسألة الفصل والوصل في القرآن].
١٤٠	[الموصل والمفصل في القرآن الكريم].
١٥٢	[أمثلة على الموصول].
١٥٦	[أمثلة على المفصل].
١٥٨	[استيعاب القرآن لمهمات الدين].
١٥٩	[إنكار جهميّ علم الله تعالى ما سيكون].
١٦٣	[فصل: احتجاج ابن الجهم بأن القرآن لم ينص على خلق الحصور].
١٦٦	[فصل: ردّ شبهات بشر الكلاميّة].

١٧٦.....[فصل: كسر قولهم بالقياس]

١٧٩.....[ما جرى له بعد المناظرة]

## الكتاب الثاني من الحيدة والاعتذار ..... ١٨١

١٨١.....[تحريض الجهميَّة المأمونَ على عبد العزيز]

١٨٦.....[استجواب المأمون لعبد العزيز]

١٨٩.....[مما ذكر للمأمون في النَّسَبِ الشَّريف]

١٩٥.....[مما ذكر للمأمون في العفو]

٢٠٧.....[قاعدة: عدم المنع يستلزم عدم الذنب]

٢٣٣.....[مراحل الدعوة النبويَّة]

٢٥٤.....[التفريق بين الاسم واللقب]

٢٦٢.....[أمثلة على الاسم واللقب]

٢٦٣.....[نتيجة الجلسة]

٢٦٦.....[مراجعة عبد العزيز المأمون]

٢٧٤.....[الخاتمة]

## مناظرة احمد ابن حنبل ..... ٢٧٦

٢٧٦.....مقدمة

٢٧٧.....المناظرة

## مناظرة الشيخ عبد الله الأذريُّ ..... ٢٩٠

٢٩٠.....مقدمة

٢٩١.....المناظرة

٣٠٠.....رواية أخرى لمناظرته

## مناظرة ابن الشَّحَّام قاضي الرِّيِّ للوائح ..... ٣٠٤

مناظرة العباس بن موسى بن مَشْكُوءٍ ..... ٣٠٧

مناظرة ابن قدامة المقدسي (كتاب المناظرة في القرآن) ..... ٣١٥

التعريف بابن قدامة المقدسي ..... ٣١٥

أهمية هذا الكتاب ..... ٣١٧

[كتاب المناظرة في القرآن] ..... ٣١٨

[مقدمة] ..... ٣١٨

[أصل الخلاف في القرآن] ..... ٣١٩

[مؤسس الطائفة الأشعرية] ..... ٣٦٤

[خطر هذه البدعة] ..... ٣٦٥

[كثرة أهل البدع] ..... ٣٦٧

بعض شبهاتهم والرد عليها ..... ٣٧٣

اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة

كأنهما غمامتان ..... ٣٧٣

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ ..... ٣٧٧

كون القرآن في لوح محفوظ ..... ٣٧٨

اللغة العربية مخلوقة ..... ٣٧٩

هل صفة الله حلت في المخلوق ..... ٣٨٢

فإذا قالوا: هل كلام الله فارقه؟ ..... ٣٨٨

صور من المخطوطات ..... ٣٩٢

## سبب اختيار هذا الكتاب

سلسلة المدخل إلى دراسة كتب السلف بدأتها بكتاب «فضل علم السلف على علم الخلف» للحافظ ابن رجب، وذلك كان بمثابة المقدمة للتعريف بالسلف وفضل كلامهم، والتشويق إليه، وما فيه من ضوابط لمعرفة العلم النافع يستحضرها الطالب في مسيرته.

وثنيْتُ بكتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث لكونه جامعًا لشتات المسائل.

وجعلت ثالثها هذا الكتاب، وقد كنت نويتُ أن يكون هو كتاب الحيدة والاعتذار لعبد العزيز بن يحيى رحمه الله لأسباب:

مرّت معنا مسألة أن القرآن غير مخلوق، ولم تكن وافية، وما قد يمر معنا في أكثر الكتب سيكون أمره في القائلين بخلق القرآن وحكمهم، ولن تجد نقاشًا لأقوالهم وكشفاً لشبهاتهم كما في هذا الكتاب، فقد يستغرب المسلم من تكفير السلف لهم، كذلك فإنه قد يسقط عند أدنى شبهة تعرض له في هذه المسألة ما لم يكن متمكنًا منها، عارفًا بأدلة أهل السنة عليها.

(١) قلّة الكلام في هذه المسألة، وضعف طرحها في يومنا هذا بسبب

ما لبَّسَه الأشاعرة على الناس مع كثرة عددهم وعلو صوتهم.

(٢) ومما أدى إلى ضعف الناس في هذه المسألة: قراءتهم في كتب الأشاعرة، وكذلك ظنهم كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة من كتب السلف أو من كتب أهل السنة والجماعة، وفيه قول اللفظية واضحاً صريحاً، كذلك خوفهم من الكلام في المسألة لما فيها من كلام قاله السلف في تكفير القائلين بخلق القرآن وهذا يخالف الخطاب الإسلامي المعاصر المدجّن، فكل ذلك مما يُدخل الشبهات في القلوب، ويضعفها في هذه المسألة. وهذا الكتاب مما يعزز قوة المسلم وعقيدته في هذه المسألة.

كذلك فإن الطالب بحاجة إلى تعلُّم كيفية فكِّ الشُّبُهات وردّها.

وبعد أن انتهيت من تحقيق الكتاب، بدا لي أن أنقل مناظرات أخرى لمزيد الفائدة، فنقلت أربع مناظرات قصيرة، ثم مناظرة ابن قدامة؛ إذ أنه ناظر الأشاعرة، وهم شرٌّ من الجهمية الأولى في هذه المسألة، فمذهبهم أخفى لما عندهم من التقيّة، وأنهم يقولون القول ويقصدون غيره، وشبهاتهم أكثر.

ثم بدا لي أن أضيف شيئاً من الزيادة لتوضيح مذهب السالمية في القرآن الكريم لأنّ كثيراً من الناس يخلطون بينه وبين قول أهل السنة، فنقلت مذاهب الناس في المسألة عن محمد ابن أبي بكر القيم مما يزيد

تصوّر هذه المسألة وضوحًا.

وزدت على الكتاب مجموعةً من أشهر الشُّبُهات التي يطرحها  
المخالفون، وبيّنتُ الرَّدَّ عليها.

فصار هذا الكتاب بإذن الله جامعًا لما يتعلّق بمُناظرة أهل الأهواء  
في كلام الله تعالى.



## عملي في هذا الكتاب

- جمعت فيه أهم ما نقل إلينا من مناظرات في قضية خلق القرآن.
- ضبطت الآيات في كتاب الحيدة على حرف ابن كثير المكي لأنه الحرف الذي قرأ به عبد العزيز كما اتضح لي من المخطوط، وهي قراءة أهل مكة في زمانه، واخترت رواية البزي عنه، ولم أفعل ذلك في كتاب ابن قدامة لأنه لم يتبين لي الحرف الذي كان يقرأ به.
- قد أكمل الآية التي يذكر المؤلف جزءاً منها.
- وضعت العناوين للفصول، وجعلتها بين معقوفتين [ ]
- بينت ما تيسر من الألفاظ والعبارات التي قد تشكل على القارئ.
- هذا الكتاب جزء من سلسلة، فافترضت أن القارئ قد قرأ الكتاب السابق، فالمواضع التي علقْتُ عليها في الكتاب السابق لن أعلق على مثلها هنا، أو قد أعلق بتعليق مختصر.
- في المناظرات لونت كلمة «قال» ونحوها بلون خاص للقائل.
- عززت بعض ما جاء في الكتب وخاصة مناظرة ابن قدامة إذا ذكر عنهم شبهة فإني آتي بها من كتب أئمتهم.
- جعلت أرقام الحواشي منها ما هو إلى الأعلى <sup>(١)</sup> وهذا ما فيه شرح مفردات أو فوائد، ومنه منخفض <sup>[١]</sup> وهو ما فيه تخريج أو تنبيه متعلق بالمخطوط.

## مقدمات

### مقدمة حول فتنة خلق القرآن

قال الذهبي رحمه الله: [١] كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَدِينُهُمْ قَائِمًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ قُفْلُ بَابِ الْفِتْنَةِ؛ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَانكسر الباب، قَامَ رُؤُوسُ الشَّرِّ عَلَى الشَّهِيدِ عُثْمَانَ حَتَّى ذُبِحَ صَبْرًا، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ، وَتَمَّتْ وَقَعَةُ الْجَمَلِ، ثُمَّ وَقَعَةُ صِفِّينَ.

فَظَهَرَتِ الْخَوَارِجُ، وَكَفَّرَتْ سَادَةُ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ ظَهَرَتِ الرِّوَافِضُ وَالتَّوَاصِبُ.

وَفِي آخِرِ زَمَنِ الصَّحَابَةِ ظَهَرَتِ الْقَدَرِيَّةُ، ثُمَّ ظَهَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بِالْبَصْرَةِ، وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمَجَسَّمَةُ بِخُرَّاسَانَ فِي أَثْنَاءِ عَصْرِ التَّابِعِينَ مَعَ ظُهُورِ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا إِلَى بَعْدِ الْمَائَتَيْنِ، فَظَهَرَ الْمَأْمُونُ الْخَلِيفَةُ - وَكَانَ ذَكِيًّا مُتَكَلِّمًا، لَهُ نَظَرٌ فِي الْمَعْقُولِ - فَاسْتَجَلَبَ كُتُبَ الْأَوَائِلِ، وَعَرَّبَ حِكْمَةَ الْيُونَانِ، وَقَامَ

[١] سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٢٣٦.

فِي ذَلِكَ وَقَعْدَ، وَحَبَّ وَوَضَعَ، وَرَفَعَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ رُؤُوسَهَا، بَلْ  
وَالشَّيْعَةُ، فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ.

وَأَلَّ بِهِ الْحَالُ أَنَّ حَمَلَ الْأُمَّةِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَامْتَحَنَ  
الْعُلَمَاءُ، فَلَمْ يُمَهِّلْ.

وَهَلَكَ لِعَامِهِ، وَخَلَّى بَعْدَهُ شَرًّا وَبَلَاءً فِي الدِّينِ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ مَا زَالَتْ  
عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كَلَامُ اللَّهِ -تَعَالَى- وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ، لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ  
ذَلِكَ، حَتَّى نَبَعَ لَهُمُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ مَجْعُولٌ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى  
اللَّهِ -تَعَالَى- إِضَافَةً تَشْرِيفٍ، كَبَيْتِ اللَّهِ، وَنَاقَةِ اللَّهِ.

فَأَنكَرَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ.

وَلَمْ تَكُنِ الْجَهْمِيَّةُ يَظْهَرُونَ فِي دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ وَالرَّشِيدِ وَالْأَمِينِ، فَلَمَّا  
وَلِيَ الْمَأْمُونُ، كَانَ مِنْهُمْ، وَأَظْهَرَ الْمَقَالََةَ.

رَوَى: أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ:

أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ بَشَرَ بْنَ غِيَاثٍ الْمَرْيَسِي يَقُولُ: الْقُرْآنُ  
مَخْلُوقٌ، فَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ أَظْفَرَنِي بِهِ، لَا أَقْتُلَنَّهُ.

قَالَ الدَّوْرَقِيُّ: وَكَانَ مُتَوَارِيًا أَيَّامَ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ، ظَهَرَ، وَدَعَا

إِلَى الضَّلَالَةِ.

قُلْتُ: ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَنَ نَظَرَ فِي الْكَلَامِ، وَنَظَرَ، وَبَقِيَ مُتَوَقِّفًا فِي الدُّعَاءِ  
إِلَى بَدْعَتِهِ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ: خَالَطَهُ قَوْمٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُ  
الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ وَيُرَاقِبُ بَقَايَا الشُّيُوخِ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ قَوِيَ عَزْمُهُ،  
وَامْتَحَنَ النَّاسَ.

(١) خوفا من ردة فعلهم.

## مقدمة في مذاهب الناس في كلام الله

نقل محمد بن شمس الدين قِيَمَ الجوزيةَ مذاهبَ النَّاسِ في كلام الله تعالى، وهي سبعةٌ، يحسُنُ بطالِبُ العلم معرفتها وتمييزها، فسأنقل كلامه مع تصرف يسير واختصار:

### [مذهب الإتحادية]

ذَهَبَ الإِتِّحَادِيَّةُ -الْقَائِلُونَ بِوَحْدَةِ الوجودِ- أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فِي الوجودِ كَلَامُ اللَّهِ؛ نَظْمُهُ<sup>(١)</sup> وَنَثْرُهُ<sup>(٢)</sup>، وَحَقُّهُ وَبَاطِلُهُ، سِحْرُهُ<sup>(٣)</sup> وَكُفْرُهُ، وَالسَّبُّ وَالشَّتْمُ وَالْهَجْرُ<sup>(٤)</sup> وَالْفَحْشُ، وَأَضْدَادُهُ كُلُّهُ غَيْرُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى الْقَائِمِ بِهِ كَمَا قَالَ عَارِفُهُمْ:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الوجودِ كَلَامُهُ      سَوَاءً عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنَظْمُهُ

وَهَذَا الْمَذْهَبُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلِهِمُ الَّذِي أَصْلُوهُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ

(١) الكلام المنظوم: هو بمعنى القصيدة والشعر.

(٢) المنثور: هو الكلام العادي الذي ليس شعراً.

(٣) السحر: هو الكلام الباطل الذي فيه قلب للحقائق.

(٤) الهجر من الكلام: هو الهديان، أو الكلام الفاحش.

هُوَ عَيْنُ هَذَا الوجودِ، فَصِفَاتُ الوجودِ هِيَ صِفَاتُ اللَّهِ، وَكَلَامُ المَوْجُودَاتِ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ.

### المذهب الفلاسفة المتأخريين

وَهُم أَتْبَاعُ أرسطو، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْكِي ابْنُ سِينَا وَالْفَارَابِيُّ وَالطُّوسِي قَوْلُهُمْ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ فَيُضْ فَاضٌ مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَالِ<sup>(١)</sup> عَلَى النُّفُوسِ الْفَاضِلَةِ الزَّكِيَّةِ، فَأَوْجَبَ لَهَا ذَلِكَ الْفَيُضْ عِلْمًا.

وَلِهَذِهِ النُّفُوسِ عِنْدَهُمْ ثَلَاثُ قُوَى: قُوَّةُ التَّصَوُّرِ، وَقُوَّةُ التَّخْيِيلِ، وَقُوَّةُ التَّعْبِيرِ؛ فَتُدْرِكُ بِقُوَّةِ تَصَوُّرِهَا مِنَ الْمَعَانِي مَا يَعْجِزُ عَنْهُ غَيْرُهَا، وَتُدْرِكُ بِقُوَّةِ تَخْيِيلِهَا شَكْلَ الْمَعْقُولِ فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسِ، فَتَتَصَوَّرُ الْمَعْقُولَ صُورًا نُورَانِيَّةً تُخَاطِبُهَا، وَتُكَلِّمُهَا بِكَلَامٍ تَسْمَعُهُ الْآدَانُ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْوَاقِعِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الْقُوَّةِ الْخَيَالِيَّةِ الْوَهْمِيَّةِ.

قَالُوا وَرُبَّمَا قَوِيَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ عَلَى إِسْمَاعِ ذَلِكَ الْخِطَابِ لِغَيْرِهَا، وَتَشْكِيلِ تِلْكَ الصُّورِ الْعَقْلِيَّةِ لِعَيْنِ الرَّائِي فَيَرَى الْمَلَائِكَةَ وَيَسْمَعُ خِطَابَهُمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ لَا فِي الْخَارِجِ.

(١) العقل الفعال: هو القوة الإلهية التي يهتدي بها كل شيء في العالم [مفاتيح العلوم ص. ١٥٦].

## المذهب الجهمية والمعتزلة

مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ لِصِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى أَنَّ كَلَامَهُ مَخْلُوقٌ وَمِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَلَمْ يَقُمْ الْكَلَامُ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَاتَّفَقُوا عَلَى هَذَا الْأَصْلِ وَاخْتَلَفُوا فِي فُرُوعِهِ.

## المذهب الكلامية

اتَّبَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ كَلَابٍ، أَنَّ الْقُرْآنَ مَعْنَى قَائِمٌ بِنَفْسِ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ، وَأَنَّهُ مَلَازِمٌ لِلرَّبِّ كَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ، وَأَنَّهُ لَا يُسْمَعُ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

أَمَّا الْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ فَهِيَ حِكَايَةٌ لَهُ، دَالَّةٌ عَلَيْهِ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ.

وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَرْبَعَةٌ مَعَانٍ فِي نَفْسِهِ: الْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالْحَبْرُ، وَالِاسْتِفْهَامُ. فَهِيَ أَنْوَاعٌ لِذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ الَّذِي لَا يُسْمَعُ، وَذَلِكَ الْمَعْنَى هُوَ الْمَتَلُو الْمُقْرُوءُ، وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالْأَصْوَاتُ وَالْحُرُوفُ هِيَ تِلَاوَةُ الْعِبَادِ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ.

وَهَذَا الْمَذْهَبُ أَوَّلُ مَنْ يُعْرِفُ أَنَّهُ قَالَ بِهِ ابْنُ كَلَابٍ، وَبَنَاهُ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِالْمُتَكَلِّمِ، وَالْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ مَخْلُوقَةٌ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُومَ بِالرَّبِّ تَعَالَى لِأَنَّهُ لَيْسَ مَحَلًّا لِلْمَخْلُوقَاتِ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مُنْفَصِلَةٌ

عَنِ الرَّبِّ، وَالْقُرْآنُ اسْمُ ذَلِكَ الْمَعْنَى وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

### [مذهب الأشعري]

مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ وَمَنْ وَاَفَقَهُ، أَنَّهُ مَعْنَى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِذَاتِ الرَّبِّ، وَهُوَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ أَرْلِيَّةٌ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَلَا يَنْقَسِمُ، وَلَا لَهُ أْبْعَاضٌ، وَلَا لَهُ أَجْزَاءٌ. وَهُوَ عِنْدَهُ لَيْسَهُو الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالْخَبَرُ، بَلْ تِلْكَ صِفَاتٌ لِهَذَا الْمَعْنَى الْوَاحِدِ وَأَنْوَاعٌ لَهُ.

وَالْتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ وَالزَّبُورُ كُلُّهَا تَعَبَّرُ عَنْهُ؛ فَإِذَا عَبَّرَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى بِالْعَرَبِيَّةِ كَانَ قُرْآنًا، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ كَانَ تَّوْرَةً، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالسَّرْيَانِيَّةِ كَانَ اسْمُهُ إِنْجِيلًا، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ عِبَارَةٌ عَنْهُ وَلَا يُسَمِّيَهَا حِكَايَةً، وَهِيَ خَلْقٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَالْبَلِيَّةُ الْعُظْمَى نِسْبَةٌ ذَلِكَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَأَنَّهُ جَاءَ بِهَذَا وَدَعَا إِلَيْهِ الْأُمَّةَ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَقِّ، وَمَنْ عَدَاهُمْ أَهْلُ الْبَاطِلِ.

### [مذهب الكرامية]

أَتْبَاعُ مُحَمَّدِ بْنِ كَرَّامِ السَّجِسْتَانِيِّ، وَهُوَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَشِيئَةِ وَالْقُدْرَةِ قَائِمٌ بِالرَّبِّ تَعَالَى، وَهُوَ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ مَسْمُوعَةٌ، وَهُوَ حَدِيثٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ.



فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُتَكَلِّمٌ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا، كَمَا يَقُولُهُ سَائِرُ فِرَقِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ فَعَلَ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا، فَإِنَّهُمْ أَثْبَتُوا كَلَامًا وَفِعْلًا حَقِيقَةً قَائِمَيْنِ بِالْمُتَكَلِّمِ الْفَاعِلِ، وَجَعَلُوا لَهُمَا أَوَّلًا، فِرَارًا مِنَ الْقَوْلِ بِحَوَادِثٍ لَا أَوَّلَ لَهَا.

### المذهب السالمية

مَذْهَبُ السَّالِمِيَّةِ<sup>(١)</sup> وَمَنْ وافَقَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ، أَنَّهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، لَا يَتَعَلَّقُ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ، وَسُورٌ وَأَيَّاتٌ سَمِعَهُ

(١) «جَمَاعَةٌ يَنْسُبُونَ إِلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمِ السَّالِمِيِّ فِي الْأُصُولِ يُقَالُ لَهُمُ السَّالِمِيَّةُ وَهُوَ مَذْهَبٌ مَشْهُورٌ بِالْبَصْرَةِ وَسَوَادِهَا» - «اللباب في تهذيب الأنساب» (ج ٢ ص ٩٣) وقال الذهبي عن أبي الحسن البصري هذا «وَلَهُ أَصْحَابٌ يُسَمَّوْنَ السَّالِمِيَّةَ، هَجَرَهُمُ النَّاسُ لِأَلْفَاظِ هُجْنَةٍ أَطْلَقُوهَا وَذَكَرُوهَا ... وَمَاتَ ابْنُ سَالِمٍ وَقَدْ قَارَبَ التَّسْعِينَ، سَنَةً بَضْعَ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ» - «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (١٦/ ٢٧٣)

تنبيه: السَّالِمِيَّةُ صاحب المنظومة المعروفة بالسَّالِمِيَّةِ كذلك اسمه محمد بن أحمد بن سالم، وهو شخص آخر متوفى عام ١١٨٨ هـ وهو موافق لأهل السنة في أكثر مسائل أصول الدين، ولكنه فتح باب بدعة خطيرة لما قال إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ؛ الْأَشْعَرِيَّةَ وَالْمَاتَرِيْدِيَّةَ وَأَهْلَ الْحَدِيثِ، وَتَبِعَهُ عَلَى هَذِهِ الْبِدْعَةِ أَقْوَامٌ مِنَ الْمِيعَةِ، عَلَى أَنَّهُ ذَكَرَ مُوَافَقَةَ الْأَشْعَرِيَّةِ لِلْجَهْمِيَّةِ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ قَوْلُ الزُّنَادِقَةِ، وَلَكِنَّ الْمِيعَةَ غَضُوا الطَّرْفَ عَنْ هَذَا وَتَبِعُوهُ عَلَى مَا غَلِطَ فِيهِ.

جِبْرَائِيلُ مِنْهُ، وَسَمِعَهُ مُوسَى بِلَا وَاسِطَةٍ، وَيُسْمِعُهُ سُبْحَانَهُ مَنْ يَشَاءُ،  
وَأِسْمَاعُهُ نَوْعَانِ: بِوَاسِطَةٍ، وَبِغَيْرِ وَاسِطَةٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَحُرُوفُهُ وَكَلِمَاتُهُ لَا يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، بَلْ هِيَ مُقْتَرَنَةٌ.

[مثال]

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الْبَاءُ مَعَ السَّيْنِ مَعَ الْمِيمِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، لَا يَسْبِقُ الْبَاءُ  
السَّيْنَ، وَلَا السَّيْنَ الْمِيمَ، وَلَمْ تَكُنْ مَعْدُومَةً فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَلَا  
تُعْدَمُ، بَلْ لَمْ تَزَلْ قَائِمَةً بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ قِيَامَ صِفَةِ الْحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ.

وَجُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ قَالُوا: تَصَوَّرُوا هَذَا الْمَذْهَبَ كَافٍ فِي الْجُزْمِ بِبُطْلَانِهِ.

وَالْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْأَدِلَّةُ الْقَطْعِيَّةُ شَاهِدَةٌ بِبُطْلَانِ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ  
كُلِّهَا، وَأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِصَرِيحِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، وَالْعَجَبُ أَنَّ عِدَدًا مِنَ النَّاسِ  
الْمُنْتَسِبِينَ لِلْسَّنَةِ يَرُوجُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَذْهَبَ.

## امذهب أتباع الرُّسل

أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ تَلَقَّوْا هَذَا الْبَابَ عَنْهُمْ أَثْبَتُوا لِلَّهِ صِفَةَ الْكَلَامِ كَمَا أَثْبَتُوا لَهُ سَائِرَ الصِّفَاتِ، وَحَالَ قِيَامُ هَذِهِ الصِّفَةِ بِنَفْسِهَا، وَحَالَ قِيَامُهَا بِغَيْرِ الْمُوصُوفِ، قَالُوا وَالْكَلَامُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يُوجَدُ بِقُدْرَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِرَادَتِهِ قَائِمًا بِهِ، لَا يُعْقَلُ غَيْرُهُ هَذَا، وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الْكَلَامِ فِي الْأَزَلِ لَمْ يَصِرْ قَادِرًا عَلَيْهِ فِيمَا بَعْدَ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَتْ حَالُهُ قَبْلَ وَبَعْدَ سَوَاءً وَهُوَ لَمْ يَسْتَفِدْ صِفَةَ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِهِ، فَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تُجَدَّدَ لَهُ هَذِهِ الصِّفَةُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَائِدًا لَهَا بِالْكُلِّيَّةِ.

وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ النَّبَوِيَّةُ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ إِذَا شَاءَ بِمَا شَاءَ، وَأَنَّ كَلَامَهُ يُسْمَعُ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ الَّذِي هُوَ سُورٌ وَأَيَّاتٌ وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ هِيَ كَلَامُهُ حَقًّا، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي قَالَهُ بِنَفْسِهِ: ﴿الْمَصَّ﴾، ﴿حَمَّ﴾، ﴿كَهَيْعَصَ﴾، وَأَنَّ الْقُرْآنَ جَمِيعَهُ، حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ نَفْسُ كَلَامِهِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ حَقِيقَةً، وَالْقُرْآنُ اسْمٌ لِهَذَا التَّظْمِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي بَلَّغَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ جِبْرَائِيلَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ وَصَرِيحُ السُّنَّةِ وَالْمَعْقُولُ وَكَلَامُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيتَتِهِ، كَمَا دَلَّ عَلَى أَنَّ كَلَامَهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ [النحل: ٤٠] وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فالله يقول ﴿كُنْ﴾ متى شاء، و﴿كُنْ﴾ حَرْفَانِ يَسْبِقُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، فَالَّذِي اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ هُوَ الَّذِي فِي صَرِيحِ الْعُقُولِ وَالْفِطْرِ.

وَتَأْمَلْ نُصُوصَ الْقُرْآنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَنُصُوصَ السُّنَّةِ، وَلَا سِيَّمًا أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ وَحَدِيثَ الْمِعْرَاجِ وَغَيْرَهَا، كَقَوْلِهِ: «اتَّذِرُونِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ اللَّيْلَةَ» [١] وَقَوْلِهِ: " (إِنَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أُحْدِثَ إِلَّا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ) » [٢] وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ» [٣]

وَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّهُ يُكَلِّمُ مَلَائِكَتَهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي، وَيُكَلِّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُكَلِّمُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ وَيُكَلِّمُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَيُسَلِّمُ

[١] رواه النسائي (١٥٢٥) بزيادة «اللييلة».

[٢] رواه أبو داود (٩٢٤) وقال شعيب «حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم» ورواه النسائي (١٢٢١) وقال الألباني «حسن صحيح».

[٣] رواه البخاري (٧٤٤٣) ومسلم (١٠١٦).

عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ كُلُّ لَيْلَةٍ يَقُولُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ، مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظُلُومٍ»<sup>[١]</sup>

إِلَى أَضْعَافٍ أَضْعَافٍ ذَلِكَ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي إِنْ دُفِعَتْ دُفِعَتِ الرِّسَالَةُ بِأَجْمَعِهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَجَازًا كَانَ الْوَحْيُ كُلُّهُ مَجَازًا، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْمُتَشَابِهِ كَانَ الْوَحْيُ كُلُّهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ، وَإِنْ وَجَبَ أَوْ سَاغَ تَأْوِيلُهَا عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهَا سَاغَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ.

[١] متواتر. أخرجه الشيخان وأفرده الدارقطني بجزء اسمه "حديث النزول".

خلاصة	حقيقة كلام الله	تعلقه	إمكانية سماعه	تعاقب حروفه	صفة الكلام	حروف وكلمات القرآن	ما القرآن؟
الوحدوية	هو بعينه كلام الخلق		مسموع	متعاقبة		كل شيء في الوجود هو الله، ومن ذلك القرآن	قول البشر
الفلاسفة	معاني من العقل الفعال	متعلق بنفس الشخص الذي يسمعه.	يُسمع على سبيل التَّوَهُّم		ليست صفة		قول البشر
الجهمية والمعتزلة	شيء خلقه الله بقدرته	مرتبط بالقدرة	مسموع	متعاقبة	ليست صفة	مخلوقة	قول البشر
الكلابية	معاني في نفس الله	صفة ملازمة لله	غير مسموع	لا حروف فيه	لازمة أزلية	مخلوقة	قول محمد ﷺ أو جبريل. حكاية لكلام الله النفسي
الأشاعرة	معاني في نفس الله	صفة ملازمة لله	مسموع	لا حروف فيه	لازمة أزلية	مخلوقة	قول محمد ﷺ أو جبريل. عبارة عن كلام الله النفسي
الكرامية	قول لله	صفة متعلّقة بالمشيئة. والله لم يكن متكلمًا ثم صار متكلمًا	مسموع	متعاقبة	حادثة	غير مخلوقة	قول الله
السَّالِمِيَّة	حروف وأصوات غير مخلوقة	صفة مستقلّة	مسموع	غير متعاقبة	لازمة أزلية	غير مخلوقة	قول الله
أتباع الرُّسُل	قول لله	صفة متعلّقة بالمشيئة	مسموع	متعاقبة	لازمة أزلية	غير مخلوقة	قول الله

وبعد هذا العرض نلاحظ ما يأتي:

أكثر المبتدعة يرون أنهم إذا قالوا بأن الحروف إذا كانت متعاقبة بعضها بعد بعض، فهذا يلزَمُ منه أنه مخلوق، فذهبوا مذهبين:

١- مذهب الجهمية والكلابية والأشاعرة: أقروا بالتعاقب؛ فقالوا بخلق القرآن، واضطر الكلابية والأشاعرة للقول بأنّ كلام الله الذي دلت الأدلة على أنه غير المخلوق هو شيء مغاير للقرآن.

٢- السَّالِمِيَّة: قالوا إن القرآن غير مخلوق، وهو كلام الله كما جاءت البراهين على ذلك، ولكنهم اضطروا لنفي تعاقب الحروف.

أما أتباع الأنبياء فلم يتفقوا معهم في أصل بدعتهم في أن التعاقب يلزم منه أن الكلام مخلوق، فقالوا: هو متعاقب غير مخلوق.

الكرامية وافقوا أتباع الأنبياء على ذلك، ولكنهم قالوا بأن الله لم يكن متكلمًا ثم صار متكلمًا، لأنّ عقولهم اقتضت هذا، وهو باطل، فقد وافقوا الجهميّة والمعتزلة والأشعرية في نسبة الخرس لله تعالى، إلا أنهم نسبوها له وقالوا إنه صار متكلمًا بعدها، أما الجهمية والمعتزلة والأشعرية فنسبوا له الخرس أزلًا وأبدًا فهو لا ينفكُ عنه بالنسبة لهم.

## مسألة تكلم العباد بالقرآن

اختلف النَّاسُ في القرآن إذا قرأه العبد على مذاهب:

قال بعض المعتزلة؛ أَبِي هُدَيْلٍ وَالْإِسْكَافِيُّ وَأَصْحَابِهِ: إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ كَلَامَهُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كُلِّ تَالٍ، فَيَجْرِي كَلَامُهُ الْمَخْلُوقُ عَلَى لِسَانِ التَّالِي، وَفَعَلَ التَّالِي هُوَ حَرَكَةُ اللِّسَانِ فَقَطْ وَهِيَ الْقِرَاءَةُ: فَالْقِرَاءَةُ صُنْعُ الْعَبْدِ عِنْدَهُمْ، وَالْمَقْرُوءُ صُنْعُ اللَّهِ وَخَلْقُهُ، فَالْمَسْمُوعُ عِنْدَهُمْ مَخْلُوقٌ بَيْنَ صُنْعَيْنِ: صُنْعِ الرَّبِّ وَصُنْعِ الْعَبْدِ.

قال أَكْثَرُ الْبَغْدَادِيِّينَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ: إِنَّ الْعَبْدَ هُوَ الْمُحْدِثُ لِأَفْعَالِهِ وَتِلَاوَتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ كَلَامَهُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَنْتَقِلُ عَنْهُ وَلَا يُفَارِقُهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَذَا الْمَسْمُوعُ هُوَ صُنْعُ الْعَبْدِ أَلْفَاظُهُ وَتِلَاوَتُهُ، وَهَذَا.

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْكَلَابِيَّةِ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ كَلَامَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ثُمَّ مَكَّنَ جَبْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُ نَفْلاً وَيُعَلِّمَهُ رَسُولَهُ ﷺ، فَجَبْرَائِيلُ إِذَا نَطَقَ بِهِ كَانَ نُطْقُهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقْرَأُ كِتَابَ غَيْرِهِ، لَكِنَّ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ فِي الْحَقِيقَةِ لِجَبْرَائِيلَ وَلَيْسَتْ لِلَّهِ، وَلَا سَمِعَهُ جَبْرَائِيلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْمَحَلِّ الَّذِي خُلِقَ فِيهِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَقُولُ: بَلِ اللَّهُ تَعَالَى أَلْهَمَ جَبْرَائِيلَ مَعَانِيَهُ، فَعَبَّرَ



عَنْهَا جَبْرَائِيلُ بِعِبَارَتِهِ، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كَلَامُ جَبْرَائِيلَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا كَلَامُ اللَّهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أُوْحِيَ إِلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَانِيهِ، وَحُمِّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْشَأَ الْأَفَاظَهَا وَعَبَّرَ بِهَا مِنْ عِنْدِهِ دَلَالَةً عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي أَلْقَاهُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ<sup>(١)</sup>.

فَالْقُرْآنُ الْعَرَبِيُّ عَلَى قَوْلِهِمْ قَوْلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ قَوْلُ جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى: بَلْ لِسَانُ التَّالِي مُظْهِرٌ لِكَلَامِ اللَّهِ نَفْسِهِ، فَيُسْمَعُ مِنْهُ عِنْدَ التَّلَاوَةِ كَمَا سَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَإِذَا قَالَ التَّالِي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] كَانَ الْمَسْمُوعُ كُلُّهُ حُرُوفُهُ وَأَصْوَاتُهُ

(١) قال الرازي: «فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ سَمِعَ جَبْرِيلُ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَلَامُهُ لَيْسَ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ عِنْدَكُمْ؟ قُلْنَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ سَمْعًا لِكَلَامِهِ ثُمَّ أَقْدَرَهُ عَلَى عِبَارَةٍ يُعَبِّرُ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَلَقَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كِتَابَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فَقَرَأَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَفِظَهُ، وَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ أَصْوَاتًا مُقْطَعَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فِي جِسْمِ مَخْصُوصٍ فَيَتَلَقَّهَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَخْلُقَ لَهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَنَّهُ هُوَ الْعِبَارَةُ الْمُؤَدِّيَةُ لِمَعْنَى ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ» [تفسير الرازي سورة البقرة، الآية ٤].

هو<sup>[١]</sup> كلام الله القَائِم به.

## قول أتباع الرُّسل

الْكَلَامُ يُضَافُ إِلَى مَنْ قَالَهُ مَبْدئِيًّا لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلَّغًا مُؤَدِّيًّا، فَإِذَا قَالَ الْوَاحِدُ مِثْلًا: «الْأَعْمَالُ بِالنَّبِيِّاتِ» مُؤَدِّيًّا لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّ هَذَا قَوْلُكَ وَكَلَامُكَ.

وَمِنْ هَاهُنَا غَلِطَتِ الطَّائِفَتَانِ

- إِحْدَاهُمَا: جَعَلَتِ الْكُلَّ مَخْلُوقًا مُنْفَصِلًا.
  - وَالثَّانِيَّةُ: جَعَلَتِ صَوْتَ الْقَارِئِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ صَوْتُ الرَّبِّ تَعَالَى.
- وَالْحَقُّ مَا عَلَيْهِ أَيْمَةُ الْإِسْلَامِ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ: أَنَّ الصَّوْتَ صَوْتُ الْقَارِئِ، وَالْكَلَامُ كَلَامُ الْبَارِي.

[١] تنبيه: في الشاملة كتبوا «غير» ولعله كذلك في إحدى المخطوطات، وهذا تحريف، والصحيح «عين» وأنا كتبتها «هو» إذ أنني انقل بتصريفٍ محاولاً تسهيل العبارات.

# مناظرة عبد العزيز بن يحيى الكناني

## (كتاب الحيدة والإعتذار)

### نبذة عن كتاب الحيدة

كتاب الحيدة يتميز بإمامة وجلالة كاتبه، وأَنَّهُ من تلاميذ السَّلَف الصالح، كذلك احتواء الكتاب لبعض القواعد المهمة التي تنفع المسلم لاحقاً، ومنها ما يتعلق بالكلام المفصل والموصل، والخاص والعام، وغيرها من قواعد تسير معه في سائر العلوم.

ومما يؤخَذ عليه: قول عبد العزيز للمؤمن في غير ما موضع أَنَّهُ «لو كان كذا فدي حلال» وهو يريد بذلك أَن يبين وثوقه من قول نفسه، لكن لا يجوز لأحد أَن يبيع دَم نفسه، كما أَنَّهُ يلزَم فيمَن يخاطب مثل هذا الفاجر المؤمن أَن يخوِّفه من أمر الدماء، ويعظّمها عنده، لأنَّ مثل هذا الكلام يشجّعه على الإيغال فيها.

وقد يلوم لائِم عبد العزيز على تملُّقه للمؤمن في الكلام، وهذا قد يكون من باب استجذاب سَمعه، وتليين جانبه للحق، وعدم تنفيره من كلام عبد العزيز.

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي عن هذا الكتاب: «وهو من أروع الكتب التي حملت قوة علم السلفيين، وشجاعتهم، وقوة ثباتهم وعدم مبالاتهم بالسلطان المبتدع الضال، ومن قرأ الكتاب يتبين له جهل المبتدعة بالمعقول والمنقول، وأن سلاحهم الوحيد في نشر بدعهم هو الحيلة والمكر والروغان المستمر، وعدم معرفتهم بباطلهم والرجوع إلى الحق. ولما لهذا الكتاب من مكانة في العقيدة السلفية، حاول أعداء هذه المدرسة الطعن في الشخص والكتاب» [١]

وقد اعتمدت في التحقيق على مخطوطة مكتبة جامعة الملك سعود رقم (١٣٠٠)، ومخطوط شستريتي (٣٠٤٧)، واستفدت من المطبوع بتحقيق عليّ الفقيهي، وليس فيه الكتاب الثاني الذي حكى فيه عبد العزيز ما جرى بعد المناظرة.

[١] موسوعة مواقف السلف (ج٣ ص ٤٨٣)

## نُبذة عن مؤلف كتاب الحيدة والإعتذار<sup>[١]</sup>

هو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون، الكِنَاني المكي.

قال الدَّارَقُطْنِي: قرأت في كتاب داود بن علي الأصبهاني الذي صنّفه في فضائل الشافعي، وذكر فيه أصحابه الذين أخذوا عنه، فقال: وقد كان أحد أتباعه والمقتبسين عنه، والمعترفين بفضله عبد العزيز بن يحيى الكِنَاني المكي، كان قد طالت صحبته للشافعي واتباعه له، وخرج معه إلى اليمن، وآثار الشافعي في كتب عبد العزيز المكي بينة عند ذكر الخصوص والعموم والبيان.

وَنَقَلَ الحُطَيْبُ أَنَّ عبدَ العَزِيزِ دَخَلَ عَلَى أَحمَدَ بنِ أَبِي دَوادِ المَعْتَزَلِي وَهُوَ مَرِيضٌ بِمَرَضِ الشَّلَلِ النَّصْفِيِّ (الفالج) فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي لَمْ آتِكَ عَائِدًا وَلَكِنْ جِئْتُ لِأَحْمَدَ اللَّهِ أَنْ سَجَنَكَ فِي جِلْدِكَ».

[١] مصادر الترجمة: موسوعة الدارقطني، طبقات الشافعيين، وغيرها.

## من شيوخه

- الشافعي.
- سفيان بن عيينة.
- مروان بن معاوية الفزاري

## ومن تلاميذه

- الحسين بن الفضل البجلي
- أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد
- أبو بكر يعقوب

## من كتبه

- الحيدة والاعتذار (كتابنا هذا).
- الرد على الزنادقة والجهمية.
- فَضْلُ بَنِي هَاشِمٍ
- السُّنَنِ وَالْأَحْكَامِ
- الاعتذار

ولم أصل إلى غير كتابنا هذا مطبوعاً ولا مخطوطاً، وقد نقل عنه

أحمد ابن تيمية عن كتابه «الرد على الجهمية»

## نبذة عن بشر المريسي

قال ابن خَلَّكان: أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرّد القول بخلق القرآن، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئاً. ويقال: إن أباه كان يهودياً صياغاً بالكوفة<sup>[١]</sup>

وقال: وسمعت أهل مصر يقولون: إن المريس جنس بين بلاد النوبة وأسوان من ديار مصر وكأنهم جنس من النوبة، ثم إني رأيت بخط من يعتني بهذا الفن أنه كان يسكن في بغداد بدرب المريس فنسب إليه.

والمريس: في بغداد هو الخبز الرقاق يمرس بالسمن والتمر.

وقال الذهبي عنه: الْمُتَكَلِّمُ، الْمُنَاطِرُ، الْبَارِعُ، كَانَ بَشَرًا مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ. أَخَذَ عَنِ الْقَاضِي أَبِي يُوسُفَ.<sup>(٢)</sup>

[١] وفيات الأعيان (ج١ ص ٢٧٧).

(٢) قلت: وهنا أنبّه من اغترار العوام بالمقدمات التي يقدمها الذهبي فيصف الشخص بالفقه والذكاء والورع أو ما شابه، فيحسن القارئ الظن بصاحب الترجمة، ثم إذا أكمل القراءة قد يجد من خزايا ذلك الشخص ما يجد، وهذا أسلوب الذهبي في غالب كتابه. وقد لا يذكر الخزايا أحياناً، وقد يذكرها ويبررها بأن صاحبها اجتهد فأخطأ أو ما شابه.

قال: وَنَظَرَ فِي الْكَلَامِ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ، وَأَنْسَلَخَ مِنَ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، وَجَرَّدَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَدَعَا إِلَيْهِ، حَتَّى كَانَ عَيْنَ الْجَهْمِيَّةِ فِي عَصْرِهِ وَعَالِمَهُمْ، فَمَقَّتَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَكَفَّرَهُ عِدَّةٌ، وَلَمْ يُدْرِكْ جَهَمَ بَنَ صَفْوَانَ، بَلْ تَلَقَّفَ مَقَالَاتِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ. وَكَانَ جَهْمِيًّا، لَهُ قَدْرٌ عِنْدَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ يَشْرَبُ التَّيْبِدَ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَثَرْمُ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ بَشْرِ الْمَرِيَّيِّ، فَقَالَ: لَا تُصَلِّ خَلْفَهُ.

وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي التَّوْحِيدِ، وَكِتَابَ (الْإِرْجَاءِ)، وَكِتَابَ (الرَّدُّ عَلَى الْخَوَارِجِ)، وَكِتَابَ (الْإِسْطِطَاعَةِ)، وَ (الرَّدُّ عَلَى الرَّافِضَةِ فِي الْإِمَامَةِ)، وَكِتَابَ (كُفْرُ الْمُشَبَّهَةِ)، وَكِتَابَ (الْمَعْرِفَةِ)، وَكِتَابَ (الْوَعِيدِ)، وَأَشْيَاءَ غَيْرَ ذَلِكَ فِي نَحْلَتِهِ.



## [أول كتاب الحيدة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ذِكْرُ ما جرى بين عبد العزيز بن يحيى - رحمه الله - وبين بشرِ  
المريسي.

قرأتُ على أبي عمر أحمد بن خالد في ربيع الآخر عام اثنين وخمسين  
وثلاثمائة، حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن السماك قال  
ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن أزهر بن حسين القطايعي، قال: حدثني  
أبو عبد الله العباس ابن محمد بن فرقد، قال: حدثني أبو محمد بن فرقد  
بهذا الكتاب من أوله إلى آخره، قال:

## [مقدمة المؤلف]

قال عبد العزيز بن مسلم الكِنَانِي:

اتَّصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشرُ بن غياث المريسي ببغداد من  
القول بخلق القرآن، ودعائه الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه وتشبيهه

على أمير المؤمنين المأمون وعامة الناس، وما قد دفع الناس إليه من المحنة، والأخذ في الدخول في هذا الكفر والضلالة، وترهّب الناس وتفرّغهم من مناظرته، وإحجامهم عن الردّ عليه بما يكسرون به قوله، ويدحضون به حجّته ويبطلون به مذهبه، واستتار المؤمنين في بيوتهم وانقطاعهم عن الجمعات والجماعات، وهروبهم من بلد إلى بلد خوفاً على أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجهال والرّاع من الناس لبشرٍ على كفره وضلالته، والدخول في بدعته، والانتحال لمذهبه، رغبةً في الدنيا، ورهبةً من العقاب في الدنيا الذي لسطوة الأكابر.

**قال عبد العزيز بن يحيى:** فأزعجني ذلك من وطني، وأقلقني وأسهر ليلي أدام فكري وغمي وهمي؛ فخرجت من بلدي متوجّهاً إلى ربي عز وجل أسأله سلامتي وتبليغي، حتى قدمت بغداد فشهدت من غلظ الأمر واحتداده أضعاف ما كان يصل إليّ، ففزعته إلى ربي أدعوه وأتضرّع إليه راغباً وراهباً، وأضع له خدي، وأبسط إليه يدي، وأسأله إرشادي وتسديدي، وتوفيقي ومعاونتي، والأخذ بيدي، وأن لا يسلمني ولا يكلني إلى نفسي، وأن يفتح لفهم كتابه قلبي، وأن يطلق لشرح بيانه لساني.

وأخلصت لله عز وجل نيتي ووهبت له نفسي؛ فعجل تبارك وتعالى إجابتي، وثبت عزمي، وشجع جنائي، وفتح لفهم كتابه قلبي، وأطلق به

لساني، وشرح به صدري، فأبصرتُ رُشدي بتوفيقه إياي، وأُنست إلى معونته ونصره وتأييده لي، ولم أَسكن إلى مشاورة أحدٍ من خلقِ الله في أمري، وجعلت أَسْتُرُ أمري وأُخفي خَبْرِي عن النَّاسِ جميعاً، خوفاً من أن يَشِيْعَ خَبْرِي، ويُعْلَمَ بمكاني؛ فأُقتل قبل أن يُسمع كلامي، فأُجتمع رأيي على إظهار نفسي وإشهار قولي ومذهبي على رؤوس الخلائق والأشهاد، والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال والردِّ عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم، وأن يكون ذلك في مسجد الجامع في يوم الجمعة.

وأيقنتُ أنهم لن يُحْدِثُوا عَلَيَّ حادثةً، ولن يَعْجلوا عَلَيَّ بقتل وغيره من العقوبة بعد إشهاري نفسي، والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق إلا بعد مناظرتي والاستماع مني، وكان ذلك كله بتوفيق الله عز وجل لي، ومعونته إياي.

قال عبد العزيز بن يحيى: وكان الناس في ذلك الزمان وذلك الوقت في أمر عظيم، قد مُنِعَ الفقهاء والمُحَدِّثُونَ والمُذَكِّرُونَ والداعون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما من سائر الجوامع والمواضع، إلا بِشَرِّ المريسي ومحمد بنُ الجهم بن صفوان الذي تُعرَف به الجهمية، ومَن كان مُوافقاً لهما على مذهبهما، فإنهم كانوا يقْعُدُونَ إليهما، ويجتمع الناس إليهما فيُعَلِّمُونَهُم الكُفْرَ والضَّلَالَ، وكل مَن أظهر مخالفتهم، أو ذَمَّ مذهبهم، أو

أَتُهُمْ بِذَلِكَ أُحْضِرْ، فَإِنْ وافقهم ودخل في كفرهم، وأجابهم إلى ما يدعونه إليه، وإلا قتلوه سِرًّا، أو حَمَلَوْه من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، فكم من قتيل لم يعلم به، وكم من مضروبٍ قد ظهر أمره، وكم مِمَّنْ قد أجابهم واتبعهم على قولهم من العلماء خوفًا على أنفسهم لَمَّا عُرِضُوا على السيف والقتل، فأجابوا كرها، وفارقوا الحق عَيَانًا - وهم يعلمون - لَمَّا حَذَرُوهُ من بأسهم والوقوع بهم.

قال عبد العزيز: فلما كان في الجُمُعَةِ التي عزمْتُ فيها على إظهارِ نفسي، وإشهارِ قولي واعتقادي؛ صليتُ الجمعة بالمسجد الجامع بالرَّصَافَةِ من الجانب الشرقي بجِبالِ القبلة والمِنبر بأولِ صَفٍّ من صفوفِ العَامَّةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإمامُ من صلاةِ الجمعة؛ وَثَبْتُ قائمًا على رجلي ليراني الناسُ ويسمعوا من كلامي، ولا يخفى عليهم مقالتي، وناديتُ بأعلى صوتي لابني، وكنت قد أقمتُ ابني بجِبالِي عند الاسطوانة الأخرى، **فقلت له:** يا بُنَيَّ ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق.

قال عبد العزيز: فَلَمَّا سَمِعَ الناسُ كلامي، ومسألتي لابني وجوابه إياي، هربوا على وجوههم خارجين من المسجد -إلا اليسيرَ من الناسِ- خوفًا على أنفسهم، وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعون، وظهر لهم ما

كانوا يُخْفُونَ وَيَكْتُمُونَ، فلم يَسْتَتِمَ ابني الجوابَ لي حتى أَتاني أصحابُ  
السُّلطانِ، واحتملوني وابني فأوقفوني بين يَدَي عمرو بن مَسْعَدَةَ<sup>(١)</sup> وكان قد  
جاء لِيصْلِي الجمعة، فلمَّا نظر إلى وجهي، وكان قد سمع كلامي ومسألتي  
لابني وجوابَ ابني إياي، فلم يَحْتَجْ أن يسألني عن كلامي، فقال لي: أَمَجْنُونُ  
أنت؟

**قلت:** لا.

قال: أَفمُوسِسُ أنت؟

**قلت:** لا.

قال: أَفمَعْتَوْهُ أنت؟

**قلت:** لا، إني لَصَحِيحُ الْعَقْلِ، جَيِّدُ الْفَهْمِ، ثابِتُ الْمَعْرِفَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
كَثِيرًا.

قال: فَمَظْلُومٌ أنت؟

---

(١) عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول الكاتب كنيته أبو الفضل، أحد وزراء المأمون توفي سنة سبع  
عشرة ومئتين.

**قلت:** لا.

فقال لأصحابه ورجالاته<sup>(١)</sup>: مُرُوا بِهِمَا سَحَبًا إِلَى مَنْزِلِي.

**قال عبد العزيز:** فَحُمِلْنَا عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ حَتَّى أُخْرِجْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَعَادُونَ بِنَا سَحَبًا شَدِيدًا، وَأَيْدِينَا فِي أَيْدِي الرِّجَالِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَسَائِرُ أَصْحَابِهِ خَلَفْنَا وَقُدَّامَنَا، حَتَّى صَرْنَا إِلَى مَنْزِلِ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَنِيفَةِ الْغَلِيظَةِ، فَوَقَفْنَا حَتَّى دَخَلَ، وَأَمَرَ بِنَا فَأَدْخَلَنَا عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي صَحْنِ دَارِهِ عَلَى كُرْسِيِّ حَدِيدٍ، وَوَسَادَةٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا صَرْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ؛ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟

**قلت:** من أهل مكة.

فقال: ما حملك على ما فعلت بنفسك؟

**قلت:** طلبًا لشوابِ الله تعالى، ورجاءَ الرُّفَةِ لديه.

(١) هم الجنود الذين يمشون ولا فَرَسَ لهم.

قال: فَهَلَّا فعلتَ ذلكَ سِرًّا من غيرِ نداءٍ ولا إظهارٍ لمخالفةِ أميرِ المؤمنينَ، أطل الله بقاءه. ولكنَّكَ أردتَ الشُّهرةَ والرياءَ والسمعةَ والتسويقَ لتأخذَ أموالَ الناسِ.

**فقلت:** ما أردتُ من هذا شيئاً، ولا أردتُ إلا الوصولَ إلى أميرِ المؤمنينَ والمناظرةَ بين يديه، لا غير ذلك.

فقال: أَوْ تَفْعَلُ ذلكَ؟

**قلت:** نعم، ولذلك قصدتُ وبلَّغتُ بنفسِي ما ترى، بعد خروجي من بلدي وتعرُّبي مع سلوكِ البراري أنا وولَدي، رجاءَ تأديةِ حقِ الله عز وجل فيما استودعني من الفهم والعِلْمِ وما أخذَ عليَّ وعلى العلماءِ من البيان.

فقال: إن كنتَ إنما جعلتَ هذا سبباً لغيره إذا وصلتَ إلى أميرِ المؤمنينَ؛ فقد حلَّ دمُكَ لمخالفتك أميرَ المؤمنينَ.

**فقلت له:** إن تكلمت في شيء غير هذا، أو جعلت هذا ذريعة إلى غيره فدمي حلالٌ لأَمير المؤمنين، وهو في حلٍّ منه.

**قال عبد العزيز:** فوثبَ عمرو قائماً على رجله، وقال: أخرجوه بين يديَّ<sup>(١)</sup> إلى أمير المؤمنين.

**قال:** فأخرجت، وركبُ من الجانب الغربي وأنا وابني بين يديه يعدي<sup>(٢)</sup> بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيدي الرجالِ حتى صاروا إلى أمير المؤمنين من الجانب الشرقي، فدخل وأنا في الدهليز<sup>(٣)</sup> قائماً على رجلي، فأطال عند أمير المؤمنين القعودَ، ثم خرج فقعد في حجرة له، وأمر بي فأدخلت عليه، فقال لي: قد أخبرت أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- بخبرك وما فعلت، وما قلت وما سألت من الجمع بينك وبين مخالفيك من المناظرة بين يديه، وقد أمر أطال الله بقاءه، بإجابتك إلى ما سألت وجمع المناظرين عن هذه المقالة إلى مجلسه أعلاه الله في يوم الاثنين الآتي وتحضر معهم للمناظرة بين يديه -أيده الله- ويكون هو الحاكم بينكم.

(١) أي: أمامي.

(٢) يجب أن تكون «يعدو» والله أعلم.

(٣) الدهليز هو الممر الذي يكون في داخل البناء أو البيت، وهي كلمة فارسية.



**قال عبد العزيز:** فأكثرُ حمدَ الله على ذلك وشكرته وأظهرت الشكر والدعاء لأمير المؤمنين، فقال لي عمرو بن مسعدة: أعطنا كفيلاً بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا حاجة إلى حبسك.

**فقلت له:** أعزك الله أنا رجل غريب ولست أعرف في هذا البلد أحداً ولا يعرفني من أهله أحد، فمن أين لي من يكفلني، وخاصة مع إظهار مقالتي؛ لو كان الخلق يعرفوني لتبرؤوا مني، وهربوا من قربي وأنكروا معرفتي.

قال عمرو: فنوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم، وتنصرف فتصلح من شأنك وتفكر في أمرك فلعلك أن ترجع عن غيك وتتوب من فعلك فيصفح أمير المؤمنين عن جرمك.

**فقلت:** ذلك إليك أعزك الله فافعل ما رأيت.

**قال عبد العزيز:** فوكل بي من يكون معي في منزلي وانصرفْتُ.

فلما كان يوم الاثنين، صليتُ الغداة في مسجدي الذي كان على باب منزلي، فلما فرغت من الصلاة إذا بخليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني ومعه خلق كثير من الفُرسان والرجالة فحملوني مكرماً على دابة حسنة حتى صاروا بي على باب أمير المؤمنين فأوقفوني حتى جاء عمرو بن مسعدة

فدخل فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها، ثم أذن لي بالدخول عليه؛ فدخلت، فلما صرْتُ بين يديه؛ أجلسني، ثم قال لي: أنت مقيم على ما كنت عليه؟ أو قد رجعت عنه؟

**فقلت:** بل مقيم على ما كنت وقد ازددت -بتوفيق الله إياي- بصيرة في أمري.

فقال لي عمرو: أيها الرجل قد حَمَلْتَ نَفْسَكَ على أمر عظيم وبلغت الغاية في مَكْرُوهِهَا، وتَعَرَّضْتَ لِمَا لَا قَوَامَ لَكَ بِهِ مِنْ مَخَالِفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وادعيت ما لَا يَثْبُتُ لَكَ بِهِ حُجَّةٌ عَلَى مَخَالِفِكَ وَلَا لِأَحَدٍ غَيْرِكَ، وليس وراءك بعد الحجة عليك إِلَّا السَّيْفُ، فانظر لِنَفْسِكَ، وبادر أَمْرَكَ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ الْمُنَازَرَةُ، وتظهر عليك الْحُجَّةُ، فلا تنفعك النَّدَامَةُ، وَلَا تُقْبَلَ لَكَ مَعْدِرَةٌ، وَلَا تُقَالَ لَكَ عَثْرَةٌ، فَقَدْ رَحِمْتُكَ وَأَشْفَقْتُ عَلَيْكَ مِمَّا هُوَ نَازِلٌ بِكَ، وَأَنَا أَسْتَقِيلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -أَطَالَ اللَّهُ بِقَاهُ- وَأَسْأَلُهُ الصَّفْحَ عَنْ جُرْمِكَ وَعَظِيمِ مَا كَانَ مِنْكَ إِنْ أَظْهَرْتَ الرُّجُوعَ عَنْهُ وَالنَّدَمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، وَآخِذُكَ الْأَمَانَ مِنْهُ -أَيَّدَهُ اللَّهُ- وَالْجَائِزَةَ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَ ظِلَامَةٌ أَزَلَّتْهَا عَنْكَ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ قَضَيْتُهَا لَكَ، وَإِنَّمَا جَلَسْتُ رَحْمَةً لَكَ مِمَّا هُوَ نَازِلٌ بِكَ بَعْدَ سَاعَةٍ إِنْ أَقَمْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُخَلِّصَكَ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ مِنْ عَظِيمِ مَا أَوْقَعْتَ فِيهِ نَفْسِكَ.

**فقلت له:** ما ندمتُ أعزك الله ولا رجعتُ، ولا خَرَجْتُ عن بَلَدِي،  
وَعَزَّزْتُ بِنَفْسِي إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْيَوْمِ، وَهَذَا الْمَجْلِسِ رَجَاءً أَنْ يُبَلِّغَنِي اللَّهُ  
مَا أَوْمَلُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ فِيهِ، وَمَا تَوَفَّقَنِي إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ حَسْبِي  
وَنَعَم الْوَكِيلُ.

**قال عبد العزيز:** فقام عمرو بن مسعدة على رجله، وقال: قد  
حرصت في كلامك جُهدي، وأنت حريصٌ مجتهد في سفكِ دمِك وقتلِ  
نفسِك.

**فقلت له:** معونةُ الله أعظم، والله عز وجل ألطف من أن يُسَلِّمَنِي  
ويكَلِّنِي إِلَى نَفْسِي، وَعَدْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ- أَوْسَعُ مِنْ أَنْ  
يَقْصُرَ عَنِّي، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

### **[القاءه بالإمام أحمد]**

قال محمد بن الحسن [١] سمعتُ أبا عبد الله [٢] يقول: قال لي أبي: [٣]

[١] هو ابن الأَزهري.

[٢] العباس بن محمد بن فرقد.

[٣] وهؤلاء جميعاً ورد ذكرهم في إسناده الكتاب.

جاء عبدُ العزيز إلى أبي عبدِ الله أحمدَ بنِ حنبلَ رضي الله عنه وهو في الحبس فقال: إن هذا الأمر الذي أنت فيه ليس تطبيقه على دِقَّتِهِ، فاذْكُرْنِي، فبعث إليه أبو عبد الله أنا قد وقعتُ، وأخافُ أن أذكركَ فأشيطَ بدمِكَ، فيكونُ قَتْلُكَ على يدي، فأقتُلْ أنا أحبُّ إليَّ، فانصرفَ بِسَلامٍ.<sup>(١)</sup>

### [نصيحة جاجِبِ المأمون]

**قال عبد العزيز:** وأمرَ بي فأخرجت إلى الدهليز الأول، ومعِي جماعة موكلون بي، وكان قد تقدم إلى سائر بني هاشم -ممن يحضر مجلس أمير المؤمنين- أن يركبوا، ووَجَّهَ إلى الفُقهَاءِ والقُضاةِ المُوافقينَ لهم على مذهبهم، وسائرَ المُتَكلمين<sup>(٢)</sup> والمناظِرِينَ أن يحضروا دارَ أمير المؤمنين، وأمرَ القُوَّاد<sup>(٣)</sup> والوزراءَ والأمرَاءَ أن يركبوا في السلاح، كُلُّ ذلك ليُرهبَنِي بِهِمْ، وَمَنَعَ النَّاسَ من الانصرافِ إلى أن ينقضيَ المجلسُ.

فلما اجتمعَ الناسُ وتتامُّوا ولم يتخلف منهم أحد ممن يعرفونَ

(١) يبدو أن هذا قبل مجيئه.

(٢) أهل الكلام في زمانه الجهمية والمعتزلة، لأن الأشاعرة والماتريدية لم ينشؤوا بعد.

(٣) القُوَّاد: جمع قائد.

بالكلام والجِدال، أُذِن لي في الدخول، فلم أزل أنقل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجبِ صاحب الستر الذي على باب الصَّحن، فلما رأيته أمرَ بي فأدخلت إلى حُجْرته، ودخل معي فقال لي: إن احتجت إلى أن تُحدِّثَ ظَهراً فافعل.

**فَقُلْتُ:** لا حاجة لي بذلك.

فقال: فَصَلَّ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ دُخُولِكَ، فَصَلَّيْتُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَدَعَوْتُ اللَّهَ وَتَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا فَرَغْتُ؛ أَمَرَ مَنْ كَانَ بِمَحْضَرَتِهِ فَخَرَجَ مِنَ الْحُجْرَةِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي وَهُوَ يَسَارِنِي: يَا هَذَا إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَبَشَّرُ مِثْلَكَ، مِنْ وَلَدِ آدَمَ، وَكَذَلِكَ كُلِّ مَنْ يُنَاطِرُكَ بِمَحْضَرَتِهِ فَهُوَ بَشَرٌ مِثْلَكَ، وَلَا تَهَيِّبُهُمْ<sup>(١)</sup>، وَاجْمَعْ فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ لِمُنَاطَرَتِهِمْ، وَإِيَّاكَ وَالْجَزَعَ، وَاعْلَمْ عِلْماً يَقِيناً أَنَّهُ إِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُكَ عَلَيْهِمْ؛ انْكَسَرُوا وَانْقَطَعَ كَلَامُهُمْ عَنْكَ وَأَذَلَّتْهُمْ وَغَلَبَتْهُمْ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ضَرَرٍ وَلَا مَكْرُوهِ، وَصَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ -أَطَالَ اللَّهُ بَقَاهُ- وَسَائِرَ الْأَوْلِيَاءِ وَالرَّعِيَةِ مَعَكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُهُمْ عَلَيْكَ أَذْلُوكَ وَقَتْلُوكَ وَأَشْهَرُوكَ وَجَعَلُوكَ لِلخَلْقِ عِبْرَةً، فَاجْمَعْ فَهْمَكَ وَمَعْرِفَتَكَ وَلَا تَدْعُ

(١) لعلها «تَهَيَّبَهُمْ»

شيئاً مما تُحسِّنه أو تحتاج أن تتكلم به خوفاً من أمير المؤمنين أو من أحدٍ غيره، وتوكل على الله واستخر الله تعالى، وقم فادخل.

**فقلت له:** جزاك الله خيراً فقد أديت النصيحة وسكنت الروعة وأنست الوحشة.

### [يدخل عبد العزيز على المأمون]

وخرج، وخرجت معه إلى باب الصحن.

**قال عبد العزيز:** فَشَالَ السَّتْرَ، وَأَخَذَ الرِّجَالُ بِيَدَيَّ وَعُضِدَيَّ وَجَعَلَ أَقْوَامٌ يَتَعَادُونَ بِي وَأَيْدِيهِمْ فِي ظَهْرِي وَعَلَى عُنُقِي، فَجَعَلْتُ أَسْمَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَقُولُ: خَلُّوْا عَنْهُ، خَلُّوْا عَنْهُ، وَكَثُرَ الضَّجِيجُ مِنَ الْحُجَّابِ وَالْأَوْلِيَاءِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَخَلُّوا عَنِّي وَقَدْ كَادَ عَقْلِي أَنْ يَتَغَيَّرَ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَعَظِيمِ مَا رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الصَّحْنِ مِنَ السَّلَاحِ وَالرِّجَالِ، وَقَدْ انْبَسَطَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ مَلَأَ الصَّحْنَ صَفُوفًا، وَكُنْتُ قَلِيلَ الْخَبَرَةِ بَدَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا رَأَيْتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا دَخَلْتُهَا، فَلَمَّا صَرْتُ عَلَى بَابِ الْإِيوَانِ<sup>(١)</sup>؛

(١) الإيوان: كلمة فارسية، وهي القاعة التي لها ثلاثة جدران وقُفَّة، وتطل من الجهة الرابعة على مكان غير مسقوف.

وقفتُ هناك فسمعتُهُ يقول: قربه قربه.

فلما دخلت من باب الإيوان وقَعْتُ عيني عليه، وقبل ذلك لم أتبيّنهُ لِمَا كان على بابِ الإيوانِ من الحُجَّابِ والقُوَّادِ والوزراء.

**فقلت:** السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته.

**فقال:** أدنُ مني.

فدنوت منه.

**ثم قال:** أدن مني -زاده تَكَرَّرا- وأنا أدنو منه خطوة خطوة، حتى صرْتُ في الموضع الذي يجلسُ فيه المُنَاطِرُونَ، ويُسمَعُ كلامُهُم، والحاجِبُ معي يقدمُني، فلمَّا انتهيتُ إلى الموضع، **قال لي المأمون:** «اجلس» فجلستُ.

**قال عبد العزيز:** وسمعتُ رجلاً من جُلَسَائِهِ يقول وقد دخلت من الإيوان: يا أمير المؤمنين يكفيك من هذا قُبْح وجهه، لا والله ما أريْتُ خلقاً لله قُطُّ أقْبَحَ وجهًا منه، فسمعتُهُ يقول هذا وفهمتُ كلامَه كُلَّه ورأيتُ شخصَه على ما بي من الرَّعدة والجَزَع والخوف.

**قال عبد العزيز:** وتبيّن لأمير المؤمنين ما أنا فيه وما نزل في من الجزع والخوف، وجعل ينظُرُ إليَّ وأنا أرتعدُ وأنتفضُ، فأراد أن يؤدِسَني

وَيُسَكِّنَ عَنِّي مَا لَحِقَنِي وَأَنْ يَبْسُطَنِي؛ فَجَعَلَ يُكْثِرُ كَلَامَ جُلَسَائِهِ، وَيُكَلِّمُ خَلِيفَتَهُ عَمْرُو بْنَ مَسْعَدَةَ، وَيَتَكَلَّمُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِمَّا لَا يُحْتَاجُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا، يَرِيدُ بِذَلِكَ كَلَّهَ إِيْنَاسِي، وَجَعَلَ يَطِيلُ النَّظْرَ إِلَى الْإِيْوَانِ، وَيَدِيرُ طَرَفَهُ فِيهِ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنْ نَقْشِ الْجُصِّ قَدْ انْفَتَحَ<sup>(١)</sup>؛ فَقَالَ: يَا عَمْرُو أَمَا تَرَى هَذَا الَّذِي قَدْ انْفَتَحَ مِنْ هَذَا النَّقْشِ، وَسَيَقَعُ، فَبَادِرُهُ فِي يَوْمِنَا هَذَا، فَقَالَ عَمْرُو: قَطَعَ اللَّهُ يَدَ صَانِعِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ عَلَى عَمَلِهِ هَذَا.

قال عبد العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمونُ فقال لي: الاسم.

فقلت: عبدُ العزيز.

فقال لي: ابن من؟

فقلت: ابن يحيى.

قال: ابن من؟

قلت: ابن عبد العزيز.

(١) الفتْحُ هو اللين.



قال لي: ابن من؟

قلت: ابن مُسلم.

قال: ابن من؟

قلت: ابن ميمون الكِنَانِي.

قال: وأنت من كِنَانَة.

قلت: نعم، يا أمير المؤمنين.

فتركني ولم يكلمني هُئِيْهَةً، ثم أَقْبَلَ عَلَيَّ فقال: من أين الرجل؟

قلت: من الحجاز.

قال: من أي الحجاز؟

قلت: من مكة.

قال: من تعرف من أهلها؟

قلت: يا أمير المؤمنين كل من بِهَا من أهلها إلا وأنا أعرفه، إلا رجلًا

ضوى إليها أو جاورَ بها من الغُرباء؛ فإني لا أعرفه.

**قال:** فهل تعرف فلانًا، هل تعرف فلانا، حتى عدد جماعة من بني هاشم كلهم، أعرفهم حق معرفتهم، فجعلتُ **أقول:** نعم أعرفه.

وسألني عن أولادهم وأنسابهم، فأخبره من غير حاجة به إلى شيء من ذلك، ولا مما تقدم من مسألي، وإنما يريد به إيناسي وبسطي للكلام، وتسكين روعتي وجزعي، فذهب عني ما كان لحقني من الجزع، وجاءت المعونة من الله عز وجل، فقوي بها ظهري، واشتد بها قلبي، واجتمع بها فهمي، وعلا بها جذي، وانشرح بها صدري، وانطلق بها لساني، ورجوت بها النصر على عدوي.

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمون **فقال:** يا عبد العزيز إنه اتصل بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع، وقولك إن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق بحضرة الخلائق على رؤوس الأشهاد، ومسألتك بعد ذلك الجمع بينك وبين المناظرين على هذه المقالة بحضرتي وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم، وقد جمعتك والمخالفين لك للمناظرة بين يدي وأكون أنا الحكم بينكم، فإن تكن لك الحجة عليهم والحق معك؛ تبعناك، وإن تكن الحجة لهم عليك والحق معهم؛ عاقبناك واستتبناك.

## التحضير للمناظرة

ثم أقبل المأمون على بشر بن غياث المَرِسيّ، فقال: يا بشرُ قم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه.

قال عبد العزيز: فوثبَ إليّ بشرٌ من موضِعِهِ الذي كان فيه كالأسدٍ يثبُّ إلى فريسته، فجاء فانحط عليّ، فوضع فخذَهُ الأيسرَ على فخذي الأيمن، فكاد أن يحطِمَهَا، وعمدَ عليّ بقُوَّتِهِ كُلِّهَا.

**فقلت له:** مهلاً فإن أمير المؤمنين لم يأمرُك بقتلي ولا بظلمي، وإنما أمرُك بمناظرتي وإنصافي.

قال: **فصاح** به المأمونُ تنحَّ عنه، وكرر ذلك عليه مرات حتى أبعدَه عني.

قال عبد العزيز: ثم أقبل عليّ المأمونُ **وقال:** يا عبد العزيز ناظره على ما يريد واحتج عليه، ويحتج عليك، وسأئله ويُسألك، وتناصفاً في كلامِكُما، وتحفظا ألفاظكُما، فإني مستمعٌ لكُما ومتحفظ ألفاظكُما.

**قال عبد العزيز: فقلت:** السمعُ والطاعةُ لك يا أمير المؤمنين، ولكني أقول شيئاً فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيه فعل.

فقال: قل ما تريد.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين -أطال الله- بقاءك إني رجلٌ عربيٌّ، وفي كلامي دِقَّةٌ، ولم يسمع أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- من كلامي شيئاً قبلَ هذا الوقت، فجليلُ كلامي في سمع أمير المؤمنين دقيقٌ، وبشرٌ -يا أمير المؤمنين- رجب قد كثر سماعُ أمير المؤمنين لكلامه، فصارَ دقيق كلامه في سمع أمير المؤمنين جليّاً، فإن رأى أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- أن يأذن لي أن أقدم شيئاً من كلامي في هذا المجلس فيقيس ما يدقُّ بعده من كلامي على ما تقدّم، ويعرف مذهبي في كلامي، ثم يجمعني ومن أحبَّ لمُنَاطرتي بعد هذا اليوم أيّ وقتٍ شاء.

**قال المأمون:** أنا مشغول عن هذا بما يلزمني من أمر المسلمين، وإنما جمعتُك ومُخالفك لما أظهرت من مُخالفتك إياهم وذمّك مذهبهم، وادعائك الردّ عليهم، ومسألتك الجمعَ بينك وبينهم، ولستُ أجمعك وإياهم بعدَ هذا المجلس إلا عن مناظرة تجري بينك وبينهم فتحتاجون إلى عودة لاستتمام ما بقِيَ عليكما من المُناظرة فأجمعكما لذلك.

**قال عبد العزيز:** فقلتُ في نفسي، هذا الذي سألت الله عز وجل أن يُبلِّغنيهِ وعاهدته لأن بلِّغنيهِ لأقومنَّ بحقِّهِ ولاذُبَّينَ عن دينه بما يُلهمني من توفيقه صابراً محتسباً وإن عُرِضْتُ على السيف والقتل حتى إذا بلَّغني الله

ما أملتُهُ وأعطاني ما سألتُهُ، وأَيَّدَنِي بِالْمَعُونَةِ، وكفاني المُوْنَةَ وعطفَ قلوبَ عباده عليّ، وصرفَ عني ما كنتُ أحاذرُ من سوءِ بادرَةٍ تكونُ قبلَ قيامي بحقِ الله تعالى؛ أنْقضَ عهده، وأخلفَ وعده، وأكفُرَ نِعَمَهُ؛ فيسخطَ عليّ ويخذلني ويكلني إلى نفسي؟ والله لا فعلت ولو تلفت نفسي.

**قال عبد العزيز: فقلت:** يا أمير المؤمنين إني لم أتهيب المناظرة ولم أعجز عنها، وإنما أحببتُ أن أقدمَ في هذا المجلس شيئاً من كلامي ليقف من بحضرة أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- ومن في مجلسه على معنى كلامي ودقته فلا يخفى عليهم بعدُ مما يجري شيء.

قال: فقال المأمونُ لبشرٍ: ناظر صاحبك على ما يريد.

**قال عبد العزيز: فقلت:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- إن رأيت أن تأذن لي فأتكلم في شيء قد شغل قلبي قبل مُناظرتي لبشر.

**فقال لي:** تكلم بما شئت فقد أذنتُ لك.

**فقلت:** أسألك بالله يا أمير المؤمنين، من بلغك أنه كان أجملَ البشرِ من وَلَدِ آدَمَ ﷺ؟

قال: فأطرقَ مليّاً، ثم رفع رأسه **فقال:** يوسف ﷺ.

**فقلت:** صدقت يا أمير المؤمنين، فوالله ما أُعطيَ يوسفُ الصديقُ على حُسن وجهه حَبَّتَيْنِ، ولقد سُجِنَ وَضِيقَ عليه مِنْ أَجْلِ حُسنِ وجهه بعد أن وَقَفَ على براءته بالشاهد الذي أنطقه الله-تعالى- بتصديقه وبيان براءته وبعد إقرارِ امرأة العزيز أنها هي راودته عن نفسه فاستعصم، فحُبِسَ بعد ذلك كُلُّهُ لِحُسنِ وجهه، قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ وَحَتَّىٰ حِينٍ ۝٣٥﴾ [يوسف: ٣٥] فدلَّ بقوله على أنه سُجِنَ بغيرِ ذنبٍ لِعَلَّةِ حُسنِ وجهه وليُعَيَّبُوهُ عنها وعن غيرها، فطالَ في السجن حبسه حتى إذا عَبَّرَ الرؤيا التي رآها الملك، وقف الملكُ على علمه ومعرفته فاشتاقَ إليه، ورغِبَ في صُحبَتِهِ، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٣٦﴾ [يوسف: ٣٦] وكانَ هذا القولُ من الملكِ عندما وَقَفَ عليه مِنْ علم يوسف ومعرفته قبل أن يسمعَ كلامه، فلَمَّا دَخَلَ عليه وسمعَ كلامه وحُسنَ عبارته، صَيَّرَهُ على خزائن الأرض، وفَوَّضَ إليه الأمورَ كُلَّها وتبرأَ منها وصارَ كَأَنَّهُ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ، فكانَ هذا الذي بَلَغَهُ يوسفُ ﷺ بكلامه وعلمه لا بحسنه وجماله، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٣٧﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٣٨﴾ [يوسف: ٣٥-٣٨] ولم يقلَ إني حسن جميل، قال الله عز وجل: ﴿وكَذَلِكَ

مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبَوُّا مِنْهَا حَيْثُ نَشَاءُ ﴿٥٦﴾ فوالله يا أمير المؤمنين ما أبالي إن وجهي قبيح مع ما هو فيه من حسن العلم والفهم.

**فقال لي المأمون:** وأي شيء أردت بهذا القول، وما الذي دعاك إلى

ذكر هذا؟

**فقلت:** سمعتُ بعضَ مَنْ هاهنا يقولُ لأَمير المؤمنين: يكفيكَ من كلامه قُبْحُ وجهه، فما يضرُّني قُبْحُ وجهي مع ما قد رَزَقَنِي اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ فهمٍ كِتَابِه، والعلمُ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

قال: فَتَبَسَّ المأمونُ حتَّى وضعَ يده على فيه.

**ثم قلت:** يا أَمير المؤمنين، فقد رأيتُكَ تنظُرُ إلى هذا التَّقَشِّ وانفتاحِ الجُصِّ وتذكُّره، وسمعتُ عُمَرَا يَعِيبُ ذلكَ ويدعو على صانِعِه، ولا يعيبُ الجُصَّ، ولا يدعو عليه؟

**فقال المأمون:** العيبُ لا يقعُ على الشيءِ المصنوعِ، وإنما يقعُ العيبُ

على الصَّانعِ.

**قلت:** صدقتَ يا أَمير المؤمنين، ولكن هذا يعيبُ ربِّي عزَّ وجلَّ لِمَ

خَلَقَنِي قبيحًا.

فازدادَ تَبَسُّمًا حَتَّى ظَهَرَتْ ثَنَائِيَاهُ.

## [بدايةُ المناظرة]

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ **وقال**: يا عبد العزيز: ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغيرِ مناظرة.

**فقلت**: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- كل متناظرين على غير أصلٍ يكونُ بينهما يرجعانِ إليه إذا اختلفا في شيء من الفروع؛ فهما كالسائر على غير طَرِيقٍ، لا يعرفُ الحُجَّةَ فيتبعَهَا ويسلُكَهَا وهو لا يعرف الموضع الذي يريدُ فيقصده، ولا يدري من أين جاء فيرجعُ يطلبُ الطريقَ فهو على ضلالٍ أبداً.

ولكننا نؤصلُ بيننا أصلاً، فإذا اختلفنا في شيء من الفروع ردَدناه إلى الأصل، فإن وجدناه فيه وإلَّا رمينَا به ولم نلتفت إليه.

**فقال المأمون**: نِعَمَ ما قُلْتَ، فاذكرِ الأصلَ الذي تُريدُ أن يكون بينكما، ويذكرُ بشرُّ أيضاً مثله حتى تتفقا على الأصل فتؤصلاه بينكما.

**قال عبد العزيز**: **فقلت**: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك-: أؤصل بيني وبينه ما أمرنا الله به واختاره لنا وأدبنا به وعلمنا ودلَّنا عليه عند التنازع والاختلاف، ولم يكلِّنا إلى أنفسنا ولا إلى اختيارنا.



**فقال المأمون:** وذلك موجود عن الله عز وجل؟

**قلت:** نعم يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فهذا تعليمُ الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين، وهو خيرٌ وأحسنُ ما أصَلَّهُ المُتَنَازِعُونَ بينهم، وقد تَنَازَعْتُ أنا وبشرٌ فنحن نؤصل بيننا كتابُ الله تعالى وسنةُ رسوله ﷺ كما أمرنا، فإن اختلفنا في شيء من الفروع؛ رَدَدْنَاهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فإن وجدناه فيه وإلَّا رَدَدْنَاهُ إِلَى سُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ، فإن وجدناه فيها، وإلَّا ضَرَبْنَا بِهِ عَرَضَ الْحَاطِّطِ وَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَيْهِ.

**فقال بشر:** وأين أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نَرُدَّ مَا اختلفنا فيه إِلَى كِتَابِهِ وَإِلَى سُنَّةِ

نَبِيِّهِ ﷺ؟

**قلت:** كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ مَا جَرَى وَمَا ابْتَدَأْتُ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

**قال بشر:** فإنما أمرنا الله أن يُردَّ إليه وإلى الرسول، ولم يأمرنا أن نُردَّه إلى كتابه ولا إلى سنة رسوله.

**فقلت له:** هذا مالا خلاف فيه بين المؤمنين وأهل العلم إن رددناه إلى الله تعالى فهو إلى كتابه، وإن رددناه إلى رسوله بعد وفاته فإنما هو إلى سنته، وإنما يشك في هذا الملحدون، وقد رُوِيَ هذا بهذا اللفظ عن ابن عباس وعن جماعة من الأئمة الذين أخذ العلم عنهم رحمة الله عليهم.

قال عبد العزيز: **فقال لي المأمون:** فافعلا وأصلا بينكما يا عبد العزيز أصلاً واتفقا عليه وأنا الشاهد عليكما والحافظ لما يجري بينكما والحاكم عليكما إن شاء الله تعالى.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، إنه من ألحد في كتاب الله جاحداً أو زائداً لم يُناظر بالتأويل، ولا بالتفسير، ولا بالحديث.

**فقال المأمون:** فبأي شيء تناظره.

**فقلت:** بنص التنزيل كما قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَالْيَهُ مَتَابِ ﴿٣١﴾ [الرعد: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿١٥٢﴾

[الأنعام: ١٥١].

وقال حين ادّعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣]

وقال عز وجل لنبية ﷺ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ ﴿[النمل: ٩٢]﴾ فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة، ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن أقرّ بالتنزيل، فأما من ألحد في التنزيل فكيف يُنَاطِرُ بِتَأْوِيلِهِ؟

**فقال لي المأمون:** أَوْ يَخَالِفُكَ فِي التَّنْزِيلِ؟

**فقلت:** نعم ليخالفني، أَوْ لِيَدَعَّ قَوْلَهُ وَمَذْهَبَهُ وَيُؤَافِقَنِي عَلَى مَذْهَبِي.

**قال عبد العزيز:** ثم أقبلتُ على بشرٍ فقلتُ: يا بشرُ ما حُجَّتُكَ عَلَى أَنْ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وانظر إلى أَحَدٍ سَهْمٍ فِي كِنَانَتِكَ فَاْرْمِنِي بِهِ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى مُعَاوَدَتِي بِغَيْرِهِ.

## لِكُونِ الْقَرَأِ شَيْئًا

**فقال بشر:** أتقول القرآن شيء أم غير شيء؟ فإن قلت إنه شيء فقد أقررت إنه مخلوقٌ إذ كانت الأشياء كلها مخلوقةً بنصّ التنزيل، وإن قلت: «إنه ليس بشيء» فقد كفرت لأنك تزعم أنه حُجَّةُ الله على خلقه، وأن حجة الله ليس بشيء.

**قال عبد العزيز: فقلت لبشر:** ما رأيت أعجب منك تسألني وتجيّب نفسك عني وتكفرني ولم تسمع كلامي ولا قولي، فإن كنت سألت لأجيبك، فاستمع مني فإني أحسن أن أعبر عن نفسي وأحتج عن مقالتي ومذهبي، وإن كنت إنما تريد أن تخطب وتتكلم لشدهشي وتُنسيني حُجتي؛ فلن أزداد بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهما، وما أحسبك يا بشر إلا قد تعلمت شيئا أو سمعت قائلا يقول هذه المقالة التي قلتها أو قرأتها في كتابٍ فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها.

**قال عبد العزيز:** فأقبل المأمون على بشرٍ **فقال:** صدق عبد العزيز، اسمع منه جوابه وردّ عليه بعد ذلك بما شئت من الكلام.

ثم **قال لي:** تكلم يا عبد العزيز وأجبه عما سألك عنه.

**قال عبد العزيز: فقلت لبشر:** سألت عن القرآن أهو شيء أم غير

شيء، فإن كنت تريد أنه شيء إثباتا للوجود ونفيا للعدم؛ فنعم هو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء؛ فلا.

**فقال بشر:** ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعُه، ولا بُدَّ من جواب يُفهم ويُعقل، إنه شيء؟ أو غير شيء؟

**قال عبد العزيز:** صدقت، إنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول، ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله عز وجل في كتابه من قال مثل ما قلت، أو كان بمثل ما وصفت به نفسك، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۖ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣].

وقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف: ٤٠].

وقال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ ۖ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [١٥] **مثلهم** كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمة لا

يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ [سورة البقرة: ١٦-١٨].

ومثل هذا في القرآن كثير جداً، ولقد امتدح الله - عز وجل - في كتابه أقواماً بحسن الاستماع، وأثنى عليهم أحسن الثناء فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [٢٨] قَالُوا يَتَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ [٢٩] [الأحقاف: ٢٩-٣٠].

وقال المؤمنون: ﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومثل هذا في القرآن كثير.

فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا

ما اختاره أهل الكتاب، ولا ما اختاره الجن لأنفسهم.

قال عبد العزيز: **قال لي المأمون:** دع هذا يا عبد العزيز وارجع إلى ما كنت فيه، وبَيِّنْه وَاشرحْه، واحتجَّ لنفسك.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، إن الله - عز وجل - أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه فلم يتسمَّ بالشيء ولم يجعل الشيء اسمًا من أسمائه ولكنَّه دلَّ على نفسه أنه شيءٌ أكبرُ الأشياءِ إثباتًا للوجود ونفيا للعدم، وتكذيبًا منه للزنادقة، والدَّهريَّة، ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته من سائر الأمم، فقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] فدل على نفسه أنه شيء ليس كالأشياء، وأنزل في ذلك خبرًا خاصًا مفردًا لعلمه السابق أن جهما وبشرًا ومن قال بقولهما سيلحدون في أسمائه ويُشبَّهون على خلقه، ويدخلونه وكلامه في الأشياء المخلوقة، فقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر تكذيبًا لمن ألحد في كتابه، وافتري عليه، وشبَّهه بخلقه، فقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠] ثم عَدَّدَ أَسْمَاءَهُ فِي كِتَابِهِ فَلَمْ يَتَسَمَّ بِالشَّيْءِ، قَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى «تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ثُمَّ  
عَدَّهَا فَلَمْ يَجِدْهُ جَعَلَ الشَّيْءَ اسْمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى،  
وَتَأْدَبْتُ كَمَا أَدْبَنِي اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ ذَكَرَ جُلَّ اسْمِهِ كَلَامَهُ كَمَا ذَكَرَ نَفْسَهُ وَدَلَّ  
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ لِيَعْلَمَ الْخَلْقُ أَنَّهُ مِنْ ذَاتِهِ وَأَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ  
صِفَاتِهِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى  
نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يُجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام: ٩١] فذَمَّ اللَّهُ الْيَهُودِيَّ حِينَ  
نَفَى أَنْ تَكُونَ التَّوْرَةُ شَيْئًا، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَظَرَ رَجُلًا مِنَ  
الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمَ يَحْتَجُّ عَلَى الْيَهُودِيِّ مِنَ التَّوْرَةِ بِمَا عَلِمَ مِنَ  
صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرِ نَبَوَّتِهِ فِيهَا حَتَّى أَثْبَتَ نَبَوَّتَهُ ﷺ مِنَ التَّوْرَةِ فَضَحِكَ  
الْيَهُودِيُّ وَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
تَكْذِيبَهُ، وَذَمَّ قَوْلَهُ، وَأَعْظَمَ فَرِيَّتَهُ حِينَ جَحَدَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ شَيْئًا،  
وَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ كَلَامَهُ شَيْءٌ لَيْسَ كَالْأَشْيَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ شَيْءٌ  
لَيْسَ كَالْأَشْيَاءِ. ثُمَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ  
كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣] فدل بهذا الخبر  
أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ شَيْءٌ بِالْمَعْنَى، وَذَمَّ مَنْ جَحَدَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ شَيْءٌ، فَلَمَّا



أظهر الله عز وجل اسم كلامه؛ لم يظهره باسم الشيء، فيُلحد المُلحدون في ذلك ويُدخلونه في جُملة الأشياء المخلوقة، ولكنه أظهره عز وجل باسم الكتابِ والتُّور والهدى، ولم يقل: «قل: مَنْ أَنْزَلَ الشَّيْءَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى» فَيَجْعَلُ الشَّيْءَ اسْمًا لكلامه، وكذلك سَمَى كلامه بأسماء ظاهرة يُعْرَفُ بها، كما سَمَى نفسه بأسماء ظاهرة يعرف بها، فَسَمَى كلامه نورًا، وَهُدًى، وَشِفَاءً، وَرَحْمَةً، وَحَقًّا، وَقِرْآنًا، وَفِرْقَانًا وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ لِعِلْمِهِ السَّابِقِ فِي جَهَمِ وَبِشْرِ وَمَنْ يَقُولُ بِقَوْلِهِمَا أَنَّهُمْ سَيُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ ذَاتِهِ وَسَيُدْخِلُونَهَا فِي الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ.

### الحجة على أنَّ القرآنَ شيءٌ لا كالأشياء المخلوقة

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين قد أقر عبد العزيز أنه شيء، وادَّعى أنه ليس بالأشياء، فليأتِ بنص التنزيل - كما أخذ عليٌّ وعلى نفسه - أنه ليس بالأشياء، وإلاَّ فقد بطل ما ادعاه وصح قولي «إنه مخلوق» إذ كنا جميعًا أجمعنا واتفقنا أنه شيء، وقلتُ أنا «إنه شيء كالأشياء، وداخل في الأشياء» وقال هو: «ليس هو شيء كالأشياء، ولا داخل في الأشياء» فليأتِ بنص التنزيل على ما ادعاه، وإلاَّ فقد ثبتت الحجة عليه بخلقه، إذ كان الله تعالى أخبرنا بنص التنزيل أنه خالق كل شيء.

قال عبد العزيز: **فقال لي المأمون:** هذا يلزمك يا عبد العزيز.

وجعل محمد بن الجهم وغيره يصيحون **يقولون**: ظهر أمر الله وهم كارهون، جاء الحق وزهق الباطل، وطمعوا في قتلي، وجثا بشر على ركبتيه وجعل **يقول**: أقر والله -يا أمير- المؤمنين بخلق القرآن.

فأمسكت فلم أتكلم حتى **قال لي المأمون**: مالك لا تتكلم يا عبد العزيز؟

**فقلت**: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، قد تكلم بشر وطالبي بنص التنزيل على ما قلت وهو المناظر لي فضجيج هؤلاء أي شيء هو؟ وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل كما طالبي ولست أتكلم في هذا المجلس ويتكلم فيه غير بشر، إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره في مكانه.

فصاح المأمون بمحمد بن الجهم وغيره؛ فأمسكوا.

**فقال المأمون**: تكلم يا عبد العزيز فليس يعارضك أحد غير بشر.

**فقلت**: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿١٠﴾ [النحل: ١٠].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ وَكُنْ

فَيَكُونُ ﴿٨١﴾ [يس: ٨٢].

فدل عز وجل بهذه الأخبار كلّها وأشباهٍ لها كثيرة على أن كلامه ليس بالأشياء وأنه غير الأشياء، وأنه خارجٌ عن الأشياء، وأنه إنما تكون الأشياء بأمره وقوله، ثم ذكر خلق الأشياء كلّها فلم يدع منها شيئاً إلا ذكره، وأخرج كلامه وقوله وأمره منها ليدل على أن كلامه غير الأشياء وخارج عن الأشياء المخلوقة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فجمع في هذه اللفظة الخلق كلّهُ، ثم قال: والأمر، يعني الأمر الذي كان به هذا الخلق، ففرق عز وجل بين خلقه وبين أمره، فجعل الخلق خلقاً والأمر أمراً، وجعل هذا غير هذا، وهذا غير هذا، فقال عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [الفر: ٥٠] يقول إذا أردت شيئاً فإنما هو كلمح البصر يقول له كن مثلما أريدُ فيكون كلمح بالبصر.

وقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] يقول: من قبل الخلق ومن بعد الخلق، ثم جمع عز وجل بين الأشياء المخلوقة في آيات

كثيرة من كتابه، وأخبر عن خلقهما بقوله وكلامه، وأن كلامه وقوله غيرها  
 وخارج عنها فقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ  
 وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا  
 بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ﴾ [الجميل: ٨٥] [الحجر: ٨٥].

وقال عز وجل: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

وقال عز وجل: ﴿حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِّنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾  
 مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ  
 كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ١-٣].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَْعِينِ  
 ﴿٣٦﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٦].

[٣٩-٣٨]

وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴿٢﴾ مَا خَلَقَ اللَّهُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَفِّرُونَ ﴿٨﴾ [الروم: ٨].

وقال عز وجل: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الحج: ٢٢].

قال عبد العزيز: **فقال لي المأمون:** يجزيك بعض هذا باختصر.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، فقد أخبرنا الله عز وجل عن خلق السماوات والأرض وما بينهما، فلم يدع شيئاً من الخلق إلا ذكره، وأخبر عن خلقه، وأنه إنما خلقه بالحق، وأن الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله، وأنه غير الخلق، وخارج عن الخلق، وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء وإنما به تكون الأشياء.

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- فقد ادعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات فزعم أن الله عز وجل يخلق بها الأشياء، فأكذب نفسه، ونقص قوله ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري، وأمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- الشاهد عليه وهو الحاكم بيننا.

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ **فقال**: يا عبد العزيز قد قال بشر كلاماً قد قلته وتحتاج أن تصحح قولك ولا ينقض بعضه بعضاً.

وجعل **بشرٌ يصيح ويقول**: لو تركناه يتكلم لجاءنا بألف لون مما خلَقَ الله عز وجل بها الأشياء.

**فقلت**: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- ذهبت الحُجُبُ وانتقطع الكلامُ، ورضي بشر وأصحابه بالضجيج والترويج إلى الباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاصَ من الله عز وجل.

قال: **فصاح المأمون**: يا بشر أقبل على صاحبك واسمع منه، ودع هذا الضجيج.

وكان قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم. قال عبد العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمون **وقال**: تكلم يا عبد العزيز.

**فقلت**: يا بشر زعمتُ أني قد أتيتُ بأشياء متبايناتٍ متفرقاتٍ، فزعمتُ أن الله خلق بها الأشياء؛ فما قلتُ إلا ما قال الله عز وجل في كتابه، وما جئتُ بشيء غير كلام الله ولا قلت ولا أقول. إن الله خلق الأشياء، ولا يخلقها إلا بكلامه.

**قال بشر:** يا أمير المؤمنين، أليس قد قال إنه خلق الأشياء بقوله وبأمره، وبكلامه، وبالحق.

**فقال لي المأمون:** بلى قد قلت هذا يا عبد العزيز.

**قال عبد العزيز:** فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلتُ هذا، وما قلتَه إلا على صحته، ولا خرجتُ عن كتاب الله عز وجل، ولا قلتُ إلا ما قال الله عز وجل، ولا أخبرتُ إلا بما أخبرَ الله عز وجل به، ممَّا يوافق بعضه بعضًا، ويصدِّق بعضه بعضًا، وكلُّ ما ذَكَرَ الله عز وجل أنه خلق ويخلق به الأشياء فهو شيءٌ واحدٌ له أسماءٌ، هو كلام الله، هو قول الله، هو أمر الله، وهو الحق، فقول الله هو كلامه وكلامه هو الحق، والحق هو أمره، وأمره هو قوله، وقوله هو الحق، وهي أسماءٌ شَتَّى لشيءٍ واحد، كما سَمَى كلامه نورًا وهدى، وشفاءً، ورحمةً، وقرآنًا، وفرقانًا، فهذا مثلُ ذلك، وذلك مثل هذا، وإنما أجرى الله تعالى مثل هذا على كلامه، كما أجراه على نفسه لأنه مِن ذاته، فسَمَّى كلامه بأسماءٍ كثيرة، وهي شيء واحد، كما سَمَى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحدٌ أحد فردٌ صمدٌ، وإنما يُنكر بشرٌ هذا ويستعظمه لقلّة فهمه ومعرفته باللغة، ومعنى كلام العرب وألفاظها.

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين قد أصل بيني وبينه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وزعم أنه لا يقبل إلا نصّ التنزيل، فما لنا ولذكر لغة العرب وغيرها؟ لست أقبل منه إلا نصّ التنزيل بما قال أن كلام الله هو قوله، وهو أمره، وهو الحق.

**فقال لي المأمون:** ذلك يلزمك يا عبد العزيز لما عقدت على نفسك من الشرط.

**فقلت:** صدقت يا أمير المؤمنين، إن ذلك يلزمي وعليّ أن آتي به من نصّ التنزيل.

**قال:** هاته.

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. يعني حتى يسمع القرآن، لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنما عني القرآن، لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك.

وقال عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ فُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا



كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ <sup>ط</sup> ﴿[الفتح: ١٥]﴾ فسمى الله القرآن كلامه، وسماهُ قوله.

وأخبر أن قوله هو كلامه بقوله عزَّ من قائل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ فُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ <sup>ط</sup>﴾ [الفتح: ١٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ <sup>ظ</sup>﴾ [البقرة: ٩١] فهذا خبر الله عن القرآن أنه الحق.

وقال عز وجل: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ <sup>٦٧</sup>﴾ [الأنعام: ٦٦].

فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال عز وجل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَفْرَعُونَ أَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ <sup>٩٤</sup>﴾ [يونس: ٩٤] فهذا خبر الله عن القرآن أنه الحق.

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ وَإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴿هود: ١٧﴾ فهذا خبر الله عن القرآن أنه الحق.

وقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [يونس: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

وقال عز وجل: ﴿الَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ [السجدة: ١-٣].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ [القصص: ٥٣] فهذه كلها ومثلها في القرآن كثير أخبار الله عن القرآن أنه الحق، فسماه باسم الحق.

ثم ذكر عز وجل أن القرآن قوله وأن قوله هو الحق، فقال عز وجل:

﴿ذَالِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ<sup>ط</sup> وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

﴿[الأحزاب: ٤]﴾ فهذا خبر الله عن قوله أنه الحق وأن الحق قوله.

وقال عز وجل: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ

الْحِجَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١٣] ﴿[السجدة: ١٣].

وقال عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ<sup>ط</sup> قَالُوا مَاذَا قَالَ

رَبُّكُمْ<sup>ط</sup> قَالُوا الْحَقَّ<sup>ط</sup>﴾ [سبأ: ٢٣] ﴿فهذه أخبار الله كلها عن الحق أنه قوله وأن

قوله هو الحق، ومثل هذا في القرآن كثير.

ثم ذكر أن الحق كلامه وأن كلامه الحق، فقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ

حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ<sup>ط</sup> لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣] ﴿

فأخبر عن كلام الله أنه الحق.

وقال عز وجل: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢] ﴿فأخبر عن الحق أنه كلامه وأن كلامه هو الحق.

وقال عز وجل: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [٦٨] ﴿

[الزمر: ٧٨] ﴿فهذا إخبار الله عز وجل عن الحق أنه كلامه وأن كلامه هو الحق.

ثم ذكر عز وجل أن القرآن أمره، وهو كلامه فقال عز وجل: ﴿حَمْ  
وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾  
فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾﴾  
[الدخان: ١-٥] يعني القرآن، فأخبر الله أن القرآن أمره، وأن أمره القرآن.

وقال عز وجل: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥] يعني  
القرآن، فهذا خبر الله تعالى أن القرآن أمره وأن أمره القرآن، فهذا إخبار  
الله تعالى وقوله وتعليمه لخلقه في كتابه أن القرآن كلامه وأنه الحق، وأن  
الحق كلامه وأن الحق قوله وأن القرآن أمره، وأن أمره القرآن، وأن هذه  
أسماء شتى لشيء واحد وهو الشيء الذي خلق الله به الأشياء وهو غير  
الأشياء وخارج عن الأشياء وغير داخل في الأشياء، وهو غير الأشياء وبه  
تكون الأشياء وهو كلامه وهو قوله وهو أمره وهو الحق، فهذا نص التنزيل  
بلا تأويل ولا تفسير.

**فقال المأمون:** أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنه يجب أن يخطب  
ويهذي بما لا أعقله، ولا أسمع، ولا ألتفت إليه، ولا أتى بحجة، ولا أقبل  
من هذا شيئاً.

**قال عبد العزيز: فقلت:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- من لا يعقل عن الله ما خاطب به نبيه ﷺ وما علّمه لعباده المؤمنين في كتابه، ولا يعلم ما أراد الله بكلامه وقوله؛ يدعي العلم ويحتج بالمقالات والمذاهب ويدعو الناس إلى البدع والضلالات؟

### إلا يستوي السنّي والجهميُّ

**فقال بشر:** أنا وأنت في هذا سواء، أنت تنزع بآيات من القرآن لا تعلم تفسيرها ولا تأويلها، وأنا أرُدُّ ذلك وأدفعه حتى تأتي بشيء أفهمه وأعقله.

**قال عبد العزيز: فقلت:** يا أمير المؤمنين، قد سمعت كلام بشرٍ وتسويته فيما بيني وبينه، ولقد فرّق الله فيما بيني وبينه، وأخبر أنا على غير السواء، وكذّبه في دعواه.

**فقال المأمون:** وأين ذلك لك من كتاب الله عز وجل؟

**قلت:** قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] فأنا والله يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه ﷺ هو الحق، وأؤمن به، وبشرٍ يشهد على نفسه إنه لا يعلم ذلك ولا يعقله ولا يقبله ولا هو مما يقوم لي

به عليه حجة.

### [مبحث الاستثناء والتخصيص]

فلم يقل كما قال الله عز وجل، ولا كما علم نبيه ﷺ أن يقوله، ولا كما قال موسى ﷺ، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب، ولقد أخبر الله عن جهله، وأزال عنه التذكرة، وأخرجه عن جملة أولى الألباب، لكن أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم وكثرة العلم والمعرفة باللغة عقل عن الله وعن قوله وما أراد به وما عني به فقبله واستحسنه ممن انتزعه بين يديه، وأظهر قبوله والرضاء بقوله.

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين قد أقر بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء فقد اتفقنا على أنه شيء، وقال الله بنص التنزيل إنه: ﴿خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] وهذه لفظة لم تدع شيئاً إلا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء يُنسب إلى الشيء لأنها لفظة قد استقصت الأشياء كلها وأتت عليها ممّا ذكرها الله تعالى ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقاً بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.

**قال عبد العزيز:** فقلت: يا أمير المؤمنين عليّ أن أكسّر قوله وأكذبه

فيما قال بنص التنزيل وأدحض حجته حتى يرجع عن قوله، ويقف أمير المؤمنين على كسر قوله وكذبه وبطلان ما ادعاه.

**فقال:** هات يا عبد العزيز ما عندك.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] يعني الريح التي أرسلت على قوم عاد، فهل أبقت الريح يا بشر شيئاً لم تدمره؟

**قال:** لا لم تبق شيئاً إلا دمرته، فقد دمرت كل شيء كما أخبر الله تعالى، لأنه لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة.

**فقلت:** قد والله أكذب الله من قال هذا القول بقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فأخبر عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة.

وقال عز وجل: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ وَكَالْرَمِيمِ﴾ [النار: ٤٢] وقد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر وغير ذلك فلم تُصِرْ شيئاً منها كالرميم.

وقال عز وجل: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] يعني بلقيس،

وكأن بقولك -يا بشر- يجب أن لا يبقى شيء يقع عليه اسم الشيء إلا دَخَلَ في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد بقي مُلْكُ سليمان ﷺ وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته بلقيس لم يدخل في هذه اللفظة. فهذا كله مما يكسر قولك ويدحض حجتك، ومثل هذا في القرآن كثير مما يُبطل قولك، ولكني أبدأ بما هو أشنع وأظهر فضيحةً لمذهبك وأدفع لبدعتك، قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال الله: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال عز وجل: ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤].

### عدم إقرار الجهمية بأئ لله علما

وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]. فأخبرنا الله أخبارًا كثيرة في كتابه، أن له علما، أفْتَقِرُ يا بشر أن الله علما كما أخبرنا أو تخالف التنزيل؟



قال عبد العزيز: فحادَ بشرٌ عن جوابي وأبى أن يُصرَح بالكفر فيقول: «ليس لله عليم» فيكون قد رد نص التنزيل فتبين ضلاله وكفره، وأبى أن يقول: «إن لله علماً» فأسأله عن علم الله، هل هو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا؟ وعلم ما أريد به، وما يلزمه في ذلك من كسر قوله وإبطال حجته، فاجتلب كلاماً لم أسأله عنه.

**فقال:** معنى علمه إنه لا يجهل.

**فأقبلت على المأمون فقلت:** يا أمير المؤمنين لا يكونُ الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء، وإنما يكون الإقرار بالشيء ثم الخبر عن معناه، فليقرَّ بشرُّ أن لله علماً كما أخبرنا في كتابه، فإن سألتُه ما معنى العلم-وهذا مما لا أسأله عنه- فليخبرني أن الله لا يجهل، وقد حاد بشرُّ يا أمير المؤمنين عن جوابي.

**فقال بشر:** وهل تعرف الحيدة؟

**قلت:** نعم، إني لأعرف الحيدة في كتاب الله تعالى، وهي سبيلُ الكُفَّارِ التي اتبعَها.

**فقال لي المأمون:** يا عبد العزيز هل تجدُ الحيدة في كتاب الله تعالى؟

**قلتُ:** نعم يا أمير المؤمنين، وفي سُنَّةِ المُسلمين، وفي لغة العرب.

**فقال:** وأين هي في كتاب الله تعالى.

**فقلتُ له:** قال الله عز وجل في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حين قال لقومه: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ **إِذْ تَدْعُونَ** ﴿٧٢﴾ **أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ** **أَوْ يُضُرُّونَ** ﴿٧٣﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٣] وإنما قال لهم إبراهيم عليه السلام هذا ليكذبهم وَيَعِيبَ آلَهُمْ وَيُسِفَةَ أَحْلَامَهُمْ، فعرفوا ما أراد بهم، وأنهم بين أمرين:

إما أن يقولوا: «نعم يسمعوننا حين ندعو وينفعونا ويضرون» فيشهد عليهم بِلُغَةِ قومهم أنهم قد كَذَّبُوا.

أو يقولوا: «لا يسمعوننا حين ندعو، ولا ينفعونا ولا يضرُّونا» فينفوا عن آلهتهم القدرة.

وعلموا أن الحجة لإبراهيم عليه السلام -في أيِّ القولين أجابوه- عليهم قائمة، فحادُّوا عن كلامه واجتلبوا كلاماً من غير ما سألهم عنه فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ [الشعراء: ٧٤] ولم يكن هذا جواباً لمسألة إبراهيم عليه السلام.

يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لمعاوية بن أبي

سفيان وقد قدم عليه فنظر إليه يكاد يتفقأ شحماً، فقال: «يا معاوية ما هذه الشحمة لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم»، فقال له معاوية: «يا أمير المؤمنين رحمك الله علمني وفهمني» ولم يكن هذا جواباً لقول عمر، إنما حاد عن جوابه لعلِّه بما فيه، فاجتلب كلاماً غيره فأجاب به.

وأما الحيدةُ في لغة العرب فقول امرئ القيس:

تقول وقد مال الغبيطُ <sup>(١)</sup> بنا معاً      عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلتُ لها سيري وأرخي زَمَامَه      ولا تبعديني من جنائك المعلن <sup>[٢]</sup>

ولم يكن هذا جواباً لكلامها، وإنما حاد عن جوابها واجتلب كلاماً غيره.

قال: فأقبل المأمون على بشرٍ فقال له: يا أبا عليك عبدُ العزيز إلا أن تقر أن لله علماً فأجبه ولا تحد عن جوابه.

فقال بشر: قد أجبته أن معنى العلم: أن لا يجهل، وهذا جوابه ولكنه

(١) الرَّحْلُ، وهو للنساء يُشَدُّ عليه الهُوَدَج [لسان العرب].

[٢] معلقة امرئ القيس.

يتعنت.

**قال عبد العزيز:** فقلتُ يا أمير المؤمنين، صدق أنَّ الله لا يجهل، ولم تكن مسألتي إياه على هذا، إنما سألته أن يقر بالعلم الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه وأثبتته لنفسه، ولم أسأله عن الجهل فينفي الجهل عن الله عز وجل، فليُقرَّ أن الله علمًا، وليقلَّ إن الله لا يجهل.

**قال عبد العزيز:** ثم التفتُ إلى بشر **فقلت:** لا بد من أن تقول: «إنَّ لله علمًا» كما أخبر، أو ترد أخبار الله بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على حَيْدَتِكَ عن جوابي.

**فجعل يقول:** يا أمير المؤمنين، إن نفي الجهل عنه هو جوابه وهو الذي عناء الله تعالى في كتابه، وهو والذي يُطالِبني به واحد، إلا أن اللفظتين مختلفتان.

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** يا أمير المؤمنين إن نفي السُّوء لا يثبتُ به المدح، وإن إثبات المدحة تنفي السُّوء، وكذلك نفي الجهل لا يثبت العلم، وإثبات العلم ينفي الجهل.

**قال بشر:** وكيف ذلك؟

**قلت:** إن قولي: «هذه الأسطوانة لا تجهل» ليس هو إثبات العلم لها.

**قال عبد العزيز:** ثم أقبلتُ على المأمون **فقلتُ:** يا أمير المؤمنين إنه لم يمدح الله في كتابه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ولا مؤمناً تقياً بنفي الجهل ليدلَّ على إثبات العلم، وإنما مدحهم بالعلم فقال عز وجل: ﴿كَرَامًا كَتَبِينَ ۝ يَلْعَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الأنفطار: ١١-١٢] ولم يقل «لا يجهلون ما يعملون».

وقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ ۝﴾ [التوبة: ٤٣].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ولم يقل «الذين لا يجهلون».

فهذا قول الله تعالى ومدحته للملائكة وللنبي ﷺ وللمؤمنين، فمن أثبت العلم؛ نفى الجهل، ومن نفى الجهل؛ أثبت العلم؟

وعلى الخلق جميعاً أن يثبتوا ما أثبت الله عز وجل، وينفوا ما نفى الله عز وجل، ويمسكوا عما أمسك الله عز وجل، فما اختار بشرٌ - يا أمير المؤمنين - من حيث اختار الله لنفسه، ولا من حيث اختار للملائكة، ولا من حيث اختار لنبيه ﷺ، ولا من حيث اختار لعباده المؤمنين، فمن أجهل ممن اختار لنفسه غير ما اختار الله لنفسه ولملائكته ولأنبيائه

ولعباده المؤمنين.

قال عبد العزيز: **فقال لي المأمون:** فإذا قال بشر: «إن لله علما» وأقر بذلك فيكون ماذا؟

**قلت:** اسأله يا أمير المؤمنين عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة حين احتج بقوله: ﴿خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ ۖ﴾ [الأنعام ١٠٢] وزعم أنه لم يَبَقْ شيءٌ إلا وقد أتى عليه هذا الخبر، فإن قال: «نعم، فقد دخل في الأشياء المخلوقة» فقد شبّه الله يا أمير المؤمنين بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، وكل من تقدم وجوده قبل علمه؛ فقد دخل عليه الجهل فيما بين وجوده إلى حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين، والله عز وجل أعظم وأجل من أن يوصف بذلك أو يُنسب إليه، ومن قال ذلك؛ فقد كفر وحلّ دمه ووجب على أمير المؤمنين قتله.

وإن قال: «إن علم الله خارج عن جملة الأشياء وغير داخل فيها كما أن قوله خارج عن الأشياء وغير داخل فيها» فمن ثمّ ترك قوله وانقض مذهبه، وثبتت عليه الحجة فيها.

**فقال المأمون:** أحسنت أحسنت يا عبد العزيز، وإنما فرّ بشر أن يُجيبك في هذه المسألة لهذا.

ثم أقبل عليَّ المأمونُ فقال: يا عبدَ العزيز، أتقولُ «إن الله عالمٌ؟

**فقلت:** نعم يا أمير المؤمنين.

**قال:** أفقول: «إنه سميعٌ بصير»؟

**قال: قلت:** نعم يا أمير المؤمنين.

**قال:** فتقول «إن له سمعا وبصرا» كما قلت «إن له علما»؟

**فقلت:** لا أطلقُ هذا يا أمير المؤمنين.

**فقال:** أفرق بين هذين؟

**فأقبل بشر يقول:** يا أمير المؤمنين يا أفقَه الناس، ويا أعلمَ الناس،

يقول الله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۝١٨﴾

[الأنبياء: ١٨].

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** يا أمير المؤمنين، قد قدَّمتُ إليك فيما

احتججتُ به أن على الناس كلهم جميعاً أن يُثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله عنه، فأخبرنا الله عز وجل أن له علما

بقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ۝١٩﴾ [هود: ١٩] فقلت إن له علما كما

قال، وأخبرنا أنه سميع بصير بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر: ٢٠] فقلت: إنه سميع بصير كما قال، ولم يخبرنا أن له سمعًا وبصرًا، فقلت كما قال، وأمسكتُ عند إمساكه<sup>(١)</sup>.

**فأقبلَ عليهم المأمون فقال:** ما هو مُشَبَّهٌ فلا تكذبوا عليه.

**فقال بشر:** قد زعمت أن لله علمًا، فأَيُّ شيء هو علم الله؟ ومعنى

(١) أهل السنة يقولون إن لله تعالى سمعًا، ولله تعالى بصرًا، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقَرِّيُّ ت ٢١٣هـ: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ» سنن أبي داود (٤٦٥٠) وكانوا ينسبون للجهمية نفي ان يكون لله تعالى سمع وبصر، انظر: نقض المريسي ج ١ ص ٣١٠ و[الابانة الصغرى لابن بطة ص ١٢٢]

والسمع مأثور، وذلك في قول عائشة رضي الله عنها: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ» رواه أحمد (٢٤١٩٥) وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم» والبصر منصوص عليه في قوله ﷺ: «حِجَابُهُ الثُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» رواه مسلم (١٧٩)

ولهذا فنقول في كلام عبد العزيز: أولاً: هو لم يصرِّح بأن لله سمعًا وبصرًا، ولكنه لم ينف ذلك كما فعلت الجهمية.

ثانيًا: لعله لم يستحضر الدليل في هذه المسألة، فقال ما قال.



علم الله؟

**فقلت له:** هذا مما تفرّد الله بعلمه ومعرفته، وحجب عن الخلق جميعاً علمه فلم يُخبر به ملكاً مُقرباً ولا نبياً مُرسلاً ولا عَلِمَهُ أَحَدٌ قَبْلِي، ولا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ بَعْدِي، لأن علم الله أكبر وأوسع وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ٢٦ ﴿إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ ٢٧ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقال عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَرَاهَا وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٦ [لقمان: ٢٧] أتدري يا بشر ما معنى هذا؟

**قال:** وأي شيء هذا مما نحن فيه؟

**فقال المأمون:** قل يا عبد العزيز أنت ما معنى هذا.

**قلت:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- يقول: ولو أن ما في الأرض من جميع الشجر والخشب والقصب أقلام يُكْتَبُ بها، والبحر مداداً، يمدّه من بعده سبعة أبحر بالمداد، والخلائق كلّهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا الشجر؛ ما نفذت كلمات الله، فمن يبلغ عقله أو فهمه أو فكره كنهه عظمة الله وسعة علمه وكثرة كلماته.

وقال عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] فمن يحدّ هذا أو يصفه أو يدّعي علمه؟ وقد عجزت الملائكة المقربون عن علم ذلك واعترفوا بالعجز ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

﴿٣٣﴾ [لقمان: ٣٤].

وسئل ﷺ عن علم الساعة فقال: «علمها عند ربي في خمس لا

يعلمها إلا هو» وتلا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] [١] فأخبر أن هذه الخمس مما تفرد الله بعلمه، فلا يعلمها، فإذا كان النبي ﷺ لا يعلمها، ولا يعلم إلا ما علمه، أيجوز لأمته أن يتكلف علمه أو يدعي معرفته.

**فقال بشر:** لا بد أن تقول أي شيء هو علم الله، أو يقف أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- على أنك حدثت عن الجواب فأكون أنا وأنت في الحيدة سواء.

**فقلت:** إنك تأمرني بما نهاني الله عنه وحرّم عليّ القول به، وتأمرني بما أمرني به الشيطان، ولست أعصي الله وأرتكب نهيه وأطيع الشيطان وأتبع أمره وأمرك إذ كنتما قد أمرتاني بمعصية الله وارتكاب نهيه.

قال عبد العزيز: فاشتد تبسم أمير المؤمنين من كلامي **فقال:** يا عبد العزيز أمرك بشر بما نهاك الله عنه وحرّم عليك القول به، وأمرك بما أمرك به الشيطان؟

[١] أصله في صحيح البخاري (١٠٣٩) ورواه أحمد بلفظ قريب من هذا (٤٧٦٦)

**فقلت:** نعم يا أمير المؤمنين.

**قال:** ومن أين لك ذلك؟

**قلت:** من كتاب الله عز وجل، وكلامه بنص التنزيل.

**قال:** هاتيه.

**قلت:** قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فحرم الله على الخلق جميعا بهذا الخبر أن يقولوا على الله ما لا يعلمون. وأمرهم الشيطان بضد ذلك، قال عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩]. وهذا أمر الشيطان لنا أن نقول ما لا نعلم، وقد اتبع بشر -يا أمير المؤمنين- سبيل الشيطان ووافقه على قوله، وأمرني بما أمرني به الشيطان من ارتكاب نهي الله وتحريمه حين قال: «لا بد أن تقول أي شيء علم الله» وقد أعلمته أنني لا أعلمه، ولا علمه أحد قبلي، ولا يعلمه أحد بعدي.

قال عبد العزيز: فكثرتبسم المأمون حتى غطى فمه بيده وأطرق  
ينكت بيده على السرير.

**فقال لي بشر:** لو وُرد عليك اثنان وقد تنازعا في علم الله عز وجل،

فحلف أحدهما بالطلاق أن علم الله هو الله.  
وحلف الآخر بالطلاق أن علم الله غير الله.

فقالا لك: «أفتنا في أيماننا» فما كان جوابك لهما؟

**قلت:** الإمساك عنهما وتركهما وجهلتهما وصرفهما بغير جواب.

**قال بشر:** يلزمك ويحبُّ عليك إذ كنت تدَّعي العلم أن تحبيهما عن  
مسألتهما وأن تخرجهما من أيمانهما وإلاَّ فأنت وهما في الجهل سواء.

**قال عبد العزيز:** فقلت لبشر: ويحبُّ عليَّ أن أجيب كلَّ من سألني  
عن مسألة لا أجد لها في كتاب الله ولا في سنة نبي الله محمد ﷺ ذكرًا ولا  
علمًا؟ فهذه ليس لها في كتاب الله تعالى أصلًا ولا في سنة رسول الله ﷺ  
ذكرًا ولا علمًا، قد جهل السائل فيها، وحمق الحالف عليها.

**قال بشر:** يجب عليك أن تُجيبه عن مسألته، فإنه لا بد لكل مسألة  
من جواب.

**قال عبد العزيز: فقلت:** هذا جهلٌ من قائله.

**قال عبد العزيز:** ثم أقبلتُ على المأمون **فقلت:** يا أمير المؤمنين، قد سمعتَ ما قال بشر أنه يجب عليَّ جوابُ كلِّ من سألني عن مسألة، وفُتياه وإخراجه من يمينه بما لا أجده في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ.

فلو وَرَدَ عليَّ يا أمير المؤمنين ثلاثة نَفَرٍ قد تنازعوا في الكواكب التي أخبر الله عز وجل أن إبراهيم الخليل ﷺ رأى بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] فقال أحدهم: حلفت بالطلاق إنه المريخ، وقال الآخر إنه المشتري، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها الزُّهرة، فأفتنا في أيماننا وأجبنا في مسألتنا؛ كان عليَّ أن أجيبهم في مسألتهم وأفيتهم في أيمانهم، وذلك مما لم يخبرنا الله عز وجل به ولا رسوله؟

**فقال المأمون:** ما ذلك عليك بواجب، ولا لك بلازم.

**قال عبد العزيز: فقلت له:** فلو ورد علي يا أمير المؤمنين ثلاثة نفر قد تنازعوا في الأقلام التي أخبر الله عنها في كتابه بقوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] قال أحدهم: حلفت بالطلاق إن هذه الأقلام من خشب، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها من نحاس،

وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها من الرصاص، فأجبنا عن مسألتنا، وأفتنا عن أيماننا، وذلك مما لم يخبر الله به ولا رسوله ولا يوجد علمه في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، أكان في يا أمير المؤمنين أن أجيبهم عن مسألتهم وأفتهم في أيمانهم؟ فقال المأمون: لا، ليس عليك إجابتهم ولا فتياهم.

قال: **فقلت:** يا أمير المؤمنين، فلو ورد علي ثلاثة نفر وقد تنازعوا في المؤذن الذي يؤذن بين الجنة والنار الذي أخبر الله عز وجل بقوله: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] فقال أحدهم: «حلفت بالطلاق إن المؤذن من الملائكة» وقال الآخر: «حلفت بالطلاق إن المؤذن من الإنس» وقال الآخر: «حلفت بالطلاق إن المؤذن من الجن» فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيماننا، وذلك مما لا أجده في كتاب الله عز وجل ولا في سنة نبيه ﷺ، ولا أخبرنا الله به ولا رسوله كان علي يا أمير المؤمنين أن أجيبهم في مسألتهم وأفتهم في أيمانهم؟ فقال المأمون لا ليس عليك إجابتهم ولا فتياهم.

**فقلت:** صدقت يا أمير المؤمنين لا يجوز لي ولا لغيري أن يقضي بينهم ولا يفتيهم إلا أن يكون الله قد أخبر عن ذلك في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، وإذا لم يحز -وهذا خلق من خلق الله- فكيف يجوز

الجواب عن علم الله، وهو مما لا يوجد في كتابه ولا في سنة نبيه، ولا أخبرنا الله به ولا رسوله، وقد أكذب الله بشرا على لسان أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - فيما ادّعاه من وجوب الجواب عليّ، وفتوى من جهل في مسأله وحمق في يمينه.

**فقال:** أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

**فقال بشر:** واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألي عبد العزيز أن أقول إن لله علما فلم أجبه، وسألته عن معنى علم الله فلم يجبني فقد استويننا في الحيدة عن الجواب، ونخرج عن هذه المسألة إلى غيرها، وندعها على غير حجة تثبت لأحدنا على صاحبه فيها.

**قال عبد العزيز:** فقلت: يا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءك - إن بشرا قد أفجم وانقطع عن الجواب، ودحضت حجته وبقي بلا حجة يقيمها لهذا المذهب الذي كان يدعو الناس إليه، فلجأ إلى أن يسألني مسألة محال يتحرى بها مني ليقول: «سألني عبد العزيز عن مسألة فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبني عنها» وقد قال ذلك، وأنا وبشر يا أمير المؤمنين على غير السواء في مسألتنا، لأنني سألته عما أخبر الله به وشهد به لنفسه وشهدت له به الملائكة، بقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 136]



[١٦٦] فَأَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِلْمِهِ وَشَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَتَعَبَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهِ ﷺ وَسَائِرَ الْخَلْقِ بِالْإِيمَانِ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٠] فَوَجِبَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ وَعَلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا الْإِيمَانُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَبَشَرٌ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - يَأْبَى أَنْ يُؤْمِنَ بِذَلِكَ أَوْ يَقَرَّ بِهِ أَوْ يَصْدُقَ بِهِ. وَسَأَلَنِي بَشَرٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ سَتَرَ اللَّهُ عِلْمَهَا عَنْ مَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ وَلَايَتِهِ جَمِيعًا، وَعَنِي، وَعَنْ بَشَرٍ، وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ جَمِيعًا، مِمَّنْ مَضَى وَمِمَّنْ هُوَ آتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ قَبْلَنَا وَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ بَعْدَنَا، فَلَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَجِيبَهُ عَنْ مَسْأَلَتِهِ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ النَقْضُ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ كَانَ بَشَرٌ يَعْلَمُ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَكُنْتُ أَنَا لَا أَعْلَمُهُ، فَأَمَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا جَمِيعًا أَنَا وَبَشَرٌ وَسَائِرُ الْخَلْقِ فِي جَهْلِ مَسْأَلَةٍ وَقَلَّةِ الْعِلْمِ بِهَا، فَلَيْسَ الضَّرَرُ دَاخِلًا عَلَيَّ دُونَهُ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهَا، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَجِيبَ فِيهَا لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

قال عبد العزيز: **فقال لي المأمون:** أنتما في مسألتكما على غير السواء، وقد صح قولك في هذه المسألة يا عبد العزيز وبأن ووضح، وظهرت حُجَّتُكَ على بشر فيها.

**قال عبد العزيز:** ورأيتُ بِشَرًا قَدْ حَارَ وَانْقَطَعَ وَضَحٌ مِمَّا فِي يَدَيَّ،

واستبان الحق ووضح لأمر المؤمنين ولسائر من بحضرته.

### [عودة إلى مبحث الخصوص والعُموم]

**فقلت:** يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، أرجع إلى أول المسألة، وادعُ ذكر العلم<sup>(١)</sup> فأكسر قول بشرٍ وافضح مذهبه وأبطل قوله واحتجاجه.

**فقال لي المأمون:** قد أصبت يا عبد العزيز بتركك الكلام فيما قد قَطَعَ المجلس من غير أن يرجع إليك عن مسألتك فيه جواب، وقد وقفنا من قولك على ما يلزم بشرًا في هذه المسألة لو أجابك عن مسألتك، فهاتِ ما عندك من غير هذا.

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** يا أمير المؤمنين-أطال الله بقاءك- يجب على كل من اكتال بمكيال أن يوفي به؟  
**قال:** ذلك يلزمه.

**فقلت:** يا بشرُ، ألسْتَ ترعُم أن قوله: ﴿خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لفظةٌ لا يخرجُ عنها شيءٌ، لأن «كل» كلمة تجمع الأشياء ولا تدعُ شيئًا يخرجُ عنها،

(١) أي الكلام في علم الله.

وكل شيء داخل فيها؟

**فقال بشر:** هكذا قلتُ وهكذا أقولُ، وهكذا هو عند الخلق، ولستُ أرجعُ عنه بكثرة خطيئِكَ وهذيانِكَ.

**فقلت:** أمير المؤمنين شاهدٌ عليك بهذا.

**قال عبد العزيز:** ثم قلتُ له: يا بشرُ، قال الله عز وجل:

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١].

وقال عز وجل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران ٣٠].

وقال جل ذكره: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ

مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54].

وقال له عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي

نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] فقد أخبر الله عز وجل في مواطن كثيرة من كتابه أن

لله نفساً، أفَتَقَرُّ يا بشرُ أن الله نفساً كما أخبرنا عنها بهذه الأخبار كلها؟

**قال:** نعم.

**فقلت له:** قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران ١٨٥]

أفتقول أن نفس رب العالمين داخلَةٌ في هذه النفوس التي تذوق الموت؟

**فصاح المأمون** بأعلى صوته -وكان جوهري<sup>[١]</sup> الصوت-: معاذ الله،

معاذ الله، معاذ الله.

**فقلت أنا** -ورفعت صوتي-: معاذ الله معاذ الله أن يكون كلامُ الله

داخلا في الأشياء المخلوقة، كما أن نفسه ليست بداخلَةٍ في الأنفاس الميّتة، وكلامه خارج عن الأشياء المخلوقة كما أن نفسه خارجة عن الأنفس الميتة.

**قال بشر:** يا أمير المؤمنين قد سألتني فليسمع كلامي، وليدع الصياح

والضجيج.

**فقال له:** تكلم بما شئت.

**قال:** إن كانت «نفس» ضميراً وتَوْهَمًا، فهي خارجة وليست بداخلَةٍ

في هذه النفوس.

[١] يجب أن تكون: جهوري، بمعنى مرتفع.

**فقلت له:** كم ألقى إليك أني أقول بالخبر وأمسك عن علم ما ستر عني، وإنما قلت إن لله نفسا كما أخبرنا، وقد أقررت بذلك، فلتكن عندك على أي معنى شئت، وقُل هي داخلة في هذه النفوس أم لا، ودَغ عنا كلام الحُطرات والوساوس.

**فقال لي:** أنت رجل مُتَعَنِّتٌ تجابُ عن مسألتك فتطلبُ غيرها، وليس عندي جواب غير هذا.

وانقطع.

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** يا أمير المؤمنين، قد كسرتُ قوله في هذه المسألة بالقول الأول والقول الثاني في باب العلم، وكسرت قوله بقوله، ودحضت حجته بحجته، وبطل ما كان يدعو إليه من بدعته وضلالته، وبان لأمر المؤمنين فضيحةٌ مذهبه وفُحشُ قوله.

**ثم أقبل عليَّ المأمون فقال لي:** يا عبد العزيز قد وصَحَّتْ حُجَّتُكَ، وبان قولُكَ، وانكسر قول بشرٍ، ونحتاج أن تشرح هذه الأخبار التي في القرآن ومعانيها وما أراد الله عز وجل بها لیسَمَعَ من بحضرتنا، فقد مرَّ اليوم أشياء كثيرةٌ يحتاج من سمِعها إلى معرفتها وفهَمها.

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل شَرَّفَ

العربَ وكرّمهم بأن أنزل القرآن بلسانهم وجعله مكتفيا على تبيانهم فقال عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة الزخرف: ٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ وِلِسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدَّا﴾ [سورة مريم: ٩٧] فخصّ الله عز وجلّ العربَ بفهمه ومعرفته وفضلهم على غيرهم بعلم أخباره ومعاني ألفاظه وخصوصه وعمومه ومحكمه ومُبهمه، وخاطبهم بما عقلوه وعلموه، ولم يجهلوه وقبلوه ولم يدفعوه، وعرفوه ولم ينكروه، إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثل ذلك في خطابهم ولُغاتهم وكلامهم، فأنزل الله جل ذكره القرآن على أربعة أخبار خاصة وعامة.

فمنها خبرٌ مخرجهُ مخرجُ الخُصوصِ ومعناه معنى الخصوص.

ومنها خبر مخرجه مخرج العُموْمِ ومعناه معنى العموم.

فهذان خبران مُحْكَمَان لا ينصرفان بإلحاد مُلحد.

ومنها خبرٌ مَخْرُجُهُ الْعُمُومُ ومعناه معنى الْخُصُوصِ.

ومنها خبرٌ مَخْرُجُهُ الْخُصُوصُ ومعناه معنى الْعُمُومِ.

ففي هذين الخبرين -يا أمير المؤمنين- دخلتِ الشبهة على مَنْ لا يعرفُ خاص القرآن وعامّه.

فأما الخبرُ الذي مَخْرُجُهُ الْعُمُومُ ومعناه معنى الْعُمُومِ، فهو قول عز وجل: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الملك: ٩١] فَجَمَعَ هذا الخبرُ الخلقَ والأمرَ، ولم يُبقِ شيئاً إلا وقد أتى عليه، لأن كل شيءٍ هو له، مما هو مخلوق وغير مخلوق، فهذا خبرٌ مَخْرُجُهُ الْعُمُومُ ومعناه معنى الْعُمُومِ.

وأما الخبرُ الذي مَخْرُجُهُ الْخُصُوصُ ومعناه معنى الْخُصُوصِ، فهو قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١-٧٢] فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ <sup>هـ</sup> مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ وَ سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ [ص: ٧١-٧٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ط خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٥٨] الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠] فكان مخرج الخبر لآدم عليه السلام مخرج

الخصوص، ومعناه معنى الخصوص، وكذلك كان مخرج الخبر لعيسى عليه السلام مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣] والناس اسمٌ يجمعُ آدمَ وعيسى ومن بينهما ومن بعدهما، فعَقَلَ المؤمنونَ عن الله عز وجل عند نزولِ هذا الخبر أنه لم يعنِ آدمَ وعيسى عليهما السلام في الناس الذين خلقهم من ذكر وأنثى، لأنه قد قَدَّمَ ذلك الخبر الخاص في آدم وعيسى عليهما السلام، وكان تَخَرُّجُ اللفظِ عامًّا بهما وبغيرهما، ومعناه خاصًّا بالناس دونهما.

وأما الخبر الذي تَخَرَّجُهُ تَخَرُّجُ الْخُصُوصِ ومعناه معنى العموم فهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ [النجم: ٤٩] <sup>(١)</sup> فكان تَخَرُّجُ الخبر خاصًّا ومعناه معنى العموم. <sup>(٢)</sup>

وأما الخبر الذي مخرجه مخرج العموم ومعناه الخصوص، فهو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فكان مخرج الخبر مخرج

(١) الشَّعْرَى: اسم أحد النجوم.

(٢) أي يعم كل النجوم.



العموم ومعناه معنى الخصوص، فعقل المؤمنون عن الله تعالى عند نزول هذا الخبر أنه لم يعن إبليس في من تسعهُ الرَّحْمَةُ لِمَا قَدَّمَ فِيهِ مِنَ الْخَبْرِ الْخَاصِّ قَبْلَ ذَلِكَ، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] فكان إبليس وَمَنْ تَبِعَهُ خَارِجِينَ بهذا الخبر الخاص من رحمة الله التي وسعت كل شيء، فصار معنى ذلك الخبر العام خاصاً للخروج إبليس ومن تبعه من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، فلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عز وجل هذه الأربعة الأخبار، خَصَّ الْعَرَبَ بِفَهْمِهَا ومعرفة معانيها وألفاظها وبخصوصها وعمومها والخطابِ بِهَا، ثم لم يدعها أشباهاً على خلقه فيجد الملحدون السبيل إلى الإلحاد في صفاته والطعن على أخباره والتشبيه على خلقه من غير العرب الذين عقّلوا عنه ما أراد بخطابه، حتى جعل فيها بياناً ظاهراً وعِلْماً واضِحاً لا يخفى على من سَمِعَهُ وتَدَبَّرَهُ وتَفَهَّمَهُ من غير العرب، ممن لا يعرف الخاص، والعام، والمحكم والمُبْهَم، تَفْضُلاً مِنْهُ وتَكْرِماً وإِحْسَاناً إلى خلقه وإثباتاً مِنْهُ الْحُجَّةَ على من ألْحَدَ في كتابه وصفاته وما هو من ذاته.

فإذا أنزل الله تبارك وتعالى خبراً مَخْرُجُ لَفْظِهِ خَاصٌّ ومعناه عامٌ، أو خبراً مَخْرُجُ لَفْظِهِ عامٌ ومعناه خاصٌ؛ لم يدعه الله إشكالاً على خلقه حتى يجعل فيه أَحَدَ بَيَانَيْنِ؛ إما أن يستثني من الجملة شيئاً فيكونُ بياناً للناس

جميعاً، أو يُقَدَّم قبله خبراً خاصاً، فإذا أنزل بعده خبراً عاماً؛ لم يتوهم أحدٌ من العلماء أنه عني ما خصّه في الخبر الذي قدّمه قبل نُزولِ العام، إذ كان قد خصه ونصه قبل ذلك.

**قال عبد العزيز:** فأما الخبر الذي ينزله على لفظ العموم ويستثني من الجملة ما لم يعنه في العموم، فهو قوله عز وجل في قصة نوح عليه السلام: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ٢٤] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل حين استثنى الخمسين سنة من الألف إن الألف لم يستكملها نوح -عليه السلام- في قومه أيام الطوفان، قال: فكان ابتداء اللفظ عاماً بالألف سنة، ومعناه خاصاً باستثناء الخمسين سنة من الألف، ومثل هذا في القرآن كثير، ولكني اختصرت من كل خبر مسألة واحدة ليقف من بحضرة أمير المؤمنين على ذلك كما أمر.

فأما الخبر الذي يُنزله على مخرج العموم وقد قدّم قبله خبراً خاصاً، فهو قوله عز وجل: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فكان مخرج الخبر باللفظ عاماً، وكان معناه خاصاً لما قدّم قبله من الخصوص في إبليس ومن تبعه بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٨٥] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣] فعقل المؤمنون عن الله تعالى أنه لم يعن

هؤلاء الذين قدّم فيهم الأخبارَ الخاصّة بِخُرُوجِهِم عن الرحمة أنهم معومون بالرحمة مع غيرهم بهذا الخبر العام، وكذلك قال عز وجل في قصة لوط عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝٣٢﴾ [العنكبوت: ٣١-٣٢] وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝٣٣﴾ [العنكبوت: ٣٣] فخصّ عزّ وجلّ المرأة بالهلاك وقدّم فيها أخباراً خاصة بذلك.

ثم أنزل عز وجل خبراً مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالُ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۝٣٤﴾ [القمر: ٣٤] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن امرأة لوط بالنجاة لما قدم فيها من الأخبار الخاصة بالهلاك.

وكذلك حين قدّم إلينا عز وجل في نفسه خبراً خاصاً أنه حي لا يموت بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ثم أنزل خبراً مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ

وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن نفسه مع هذه النفوس الميتة لما قدم إليهم من الخبر الخاص فينفسه أنه حي لا يموت.

وكذلك حين قدم إلينا في كتابه خبرا خاصا فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فدل على قوله باسم معرفة، وعلى الشيء باسم نكرة، فكانا شيئين مفترقين عند العرب وأهل اللغة، فقال: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ ولم يقل «إذا أردناهما» وقال: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ﴾ ولم يقل «أن نقول لهما» ففرق بين القول والشيء المخلوق والذي يقول له كن فيكون بالقول مخلوقا، ثم قال عز وجل: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢] فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر العام أنه لم يعن كلامه وقوله في الأشياء المخلوقة؛ لما قدم في ذلك من الخبر الخاص أن الأشياء المخلوقة إنما تكون بقوله.

وإنما غلط بشر ومن قال بقوله وهلكوا وتاهوا وضلوا لجهلهم بالخاص والعام في القرآن، وإنما شرف الله العرب وفضلها بمعرفتها بخاص القرآن وعامه ومجمله ومبهمه.

فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين إن بشرا خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخالف إجماع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

**فقال لي المأمون:** خالف بشرٌ كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله وإجماع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم!

**قلت:** نعم يا أمير المؤمنين، وأوقفك عليه الساعة.

**قال:** قل.

**قلت:** يا أمير المؤمنين إن اليهود ادَّعت تحريمَ أشياء لم تُحرَّم عليهم في التوراة وزعموا أنها في التوراة مُحَرَّمَةٌ، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] فإذا أتوا بالتوراة فثُلِّيت عليهم فلم يجدوا ما ادَّعَوْهُ مُحَرَّمًا فيها عليهم، كان إمساكُ التوراة عند ذلك مكذبا لقولهم ومبطلا لدعواهم، وكذلك أقول لبشرٍ: أتُلُّ قرآنًا بما قُلْتُ، وإلاَّ فَإِنَّ إمساكَ القرآن عما تدعيه مكذبٌ لك، مُبطلٌ لدعواك.

وكذلك ننظر في سنة الرسول ﷺ فإن كان مَعَهُ سُنَّةٌ مِنْ رِسُولِ اللَّهِ ﷺ بما قال، وإلاَّ كان إمساكُ السنة مُكذَّبٌ لقوله مبطل لدعواه، وهما الأصل الذي أصلناه بيننا وأشهدنا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- على

أَنْفُسِنَا بِهِ وَشَرَطْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا إِسْقَاطَ كُلِّ مَا لَا نَجِدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ ﷺ.

أما خلافُ أصحابِ محمدٍ ﷺ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَهُ اختلفوا في الحلال والحرام ومخارج الأحكام، فلم يُحْطَى بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَهُمْ مِنْ أَنْ يُكْفَرُ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا أَبْعَدَ. وبشر-يا أمير المؤمنين- ادعى على الأمة كَلِمَةً تَأْوَلُهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ بِمَعْنَاهَا وَبِمَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا، وَلَا يَجِدُ لَهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يَنْصُهَا وَلَا مَا يَدُلُّ عَلَى تَأْوِيلِهَا، ثُمَّ زَعَمَ أَنَّ مَنْ خَالَفَهُ عَلَيْهَا كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِّ، فَأَبَاحَ دَمَ الْأُمَّةِ جَمِيعًا عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ إِجْمَاعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

**فقال بشر:** قد خَطَبْتُ وَتَكَلَّمْتُ وَهَذَيْتَ وَتَرَكْتُكَ حَتَّى تَفْرُغَ، فَمَا ادْعَيْتَ إِلَّا بِنَصِّ التَّنْزِيلِ، وَمَعِيَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ آيَةٌ لَا يَتَهَيَّأُ لَكَ مَعَارَضَتُهَا وَلَا دَفْعُهَا، وَلَا التَّشْبِيهِ فِيهَا، وَلَا الْخُطْبُ عَلَيْهَا، كَمَا فَعَلْتَ فِي غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا آخِرُهَا لِيَكُونَ انْقِضَاءُ الْمَجْلِسِ عَلَيْهَا وَسَفْكَ دَمِكَ بِهَا.

**فقلت له:** هَاتِيهَا فَأَنَا أَشْهَدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَفْسِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُكَ عَلَيْهَا وَيَقُولُ بِهَا، وَيَرْجِعُ عَنْ قَوْلِهِ، وَيَكْذِبُ نَفْسَهُ وَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ إِنْ كَانَ مَعَكَ نَصُّ التَّنْزِيلِ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ نَصَّ التَّنْزِيلِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَوَاللَّهِ ثُمَّ وَاللَّهِ لَوْ اجْتَمَعَتِ الْأَنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى مَا قُلْتَ أَنْ يَأْتُوا بِهِ لَمْ يَقْدَرُوا أَنْ

يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

**قال بشر:** قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

**قال عبد العزيز:** **فقلت له:** والله لا أعلم أحداً من المؤمنين إلا وهو يؤمن بهذا ويقرُّ به، ويقول: إن الله جعل القرآن عربياً، ولا يُخالف ذلك، فأني شيء في هذا من الحجة لك والدليل على خلقه؟

**فقال بشر:** وهل في الخليقة أحد يشك في هذا أو يخالف على أن معنى جعلناه: خلقناه؟

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** يا أمير المؤمنين ذهب نص التنزيل الذي قال أنه يأتي به ورجعنا إلى معناه وتأويله.

**فقال بشر:** ما هذا تأويل ولا تفسير ولا معنى، ولا هو إلا نص التنزيل.

**قال عبد العزيز:** فأقبلتُ على المأمون **فقلت:** يا أمير المؤمنين أطل الله بقاءك، إن القرآن مُنَزَّلٌ بلسانك وبلسان قومك، وأنت أفهم أهل الأرض بلغة العرب ومعاني كلامها، وبشر رجل من أبناء الأعاجم يتأوّل كتاب الله على غير ما عناه الله عز وجل، ويحرفه عن مواضعه ويبدل

معانيه، ويقول ما تنكره العرب ولا تتعارف في كلامها ولُغَاتِهَا، وأنت أعلم خلق الله بلُغة قومك، وإنما يُكْفَرُ بشرُّ الناس ويُبيحُ دماءهم بتأويل القرآن.

**فجعل بشر يقول:** جاء الحق وزهق الباطل، تروح يا عبد العزيز إلى الكلام والخطب والاستغاثه بأمر المؤمنين -أطال الله بقاءه- لينقطع المجلس، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

ثم صرَبَ بشرُ يده على فخذي **وقال:** أقبل عليّ فقد أتيتُ بما لا تقدر على دفعه ولا على التشبيه فيه لينقطع المجلس بثبات الحجة عليك، وإيجاب العقوبة عليك، فإن يكن عندك شيء تتكلم به، وإلا فقد قطع الله مقالكَ وأدحض حُجَّتكَ.

**وجعل يصيح:** فَرَحْنَاكَ في أول المجلس وأطمعناك حتى انبسطت في الكلام وتوهمت أنك قد قدرت على ما أردت فأين كلامك وأين احتجاجك؟ انقطع ذلك، وجاء ما يُخْرِسُ اللسان ويذهبُ بالعقل ويُجِلُّ الدم.

قال عبد العزيز: فأقبل عليّ المأمون **وقال:** يا عبد العزيز مالك قد



أَمَسَكْتَ؟ أَجِبْهُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ جَوَابُ الْمَسْأَلَةِ.

**فقلت:** ليس يدعني يا أمير المؤمنين أكلّمه من ضجيجِه وصياحِه، فإن أَمَسَكَ؛ تَكَلَّمْتُ وَأَجَبْتُهُ وَكَسَرْتُ قَوْلَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَهْذِي وَيَتَرَوَّحَ إِلَى قَطْعِ الْمَجْلِسِ لَمْ أَتَكَلَّمْ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ-أَطَالَ اللَّهُ- بَقَاةً عَلَانِيَةً بِمَا يَرَاهُ.

**فصاح به المأمون:** أَمَسِكَ وَأَسْمِعِ الْجَوَابَ مِنْهُ عَمَّا سَأَلْتَ.

قال عبد العزيز: فَأَمَسَكَ.

**فقال لي المأمون:** تَكَلَّمْ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ بِمَا تَرِيدُ.

**[محمّد] «جعل» وورطة المريسّي**

**فقلت:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- ما خفي عليك حرفٌ واحد مما جرى اليوم في مجلسك ولنعم الحاكمُ أنتَ جزاك الله عن رعيّتك أفضل الجزاء، وبشرٌ يقول الشيء على ما يخطر بباله من غيرِ عِلْمٍ، ولا حقيقةً لقوله، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يتحفّظ علينا ألفاظنا وما يجري بيننا في هذه المسألة ويَشْهَدَ علينا بما نقول، ويطلبُ كُلُّ منا صاحبه بإقامة الشاهد على ما يقول، من الكتاب والسنة؛ فعل.

**فقال:** أنا أفعل ذلك منذ اليوم.

**قال عبد العزيز:** فأقبلت على بشر **فقلت له:** أخبرني عن «جَعَلَ»، هذا حرفٌ مُحَكَّمٌ لا يحتمل غيرَ الخَلْقِ؟

**فقال بشر:** نعم هو حرف مُحَكَّمٌ لا يحتملُ معنى غير الخلق، وما بين «جعل» و«خلق» فرقٌ عندي ولا عندَ غيري من سائر الناس، ولا عند أحدٍ من العرب، ولا من العجم إلا هذا، ولا يتعارفُ الناسُ ولا يعقلون غير هذا من كلامهم ولغاتهم، سواءً عندهم قالوا: «خلق» أم: «جعل».

**فقلت لبشر:** أخبرني عن نفسك ودع ذِكرَ العربِ وسائرِ الناسِ فأنا مِن الناسِ وَمِن الخَلْقِ وَمِنَ العربِ أَخالفُكَ على هذا، وكذلك سائر العرب تخالفُكَ.

**فقال بشر:** هذا باطل منك ودعوى تدعيها على العرب وغيرهم، وليس يُخالف على هذا أحد من خلق الله غيرَكَ خوفاً على نفسك مما هو نازلٌ بك لا محالة.

**قال عبد العزيز:** **فقلت له:** أخبرني عن إجماع الخلق بزعمك على أَنَّ «جَعَلَ» و«خلق» واحدٌ لا فرق بينهما، في هذا الحرف وحده؟ أو في سائر القرآن من «جَعَلَ»؟

**قال:** بل في سائر القرآن، وفي سائر الكلام والأخبار والأشعار.

**قال عبد العزيز:** فقلت: قد حفظ عليك أمير المؤمنين ما قلت وشهد به عليك.

**فقال بشر:** أنا أعيذُ عليك هذا القول متى سألتني عنه، ولا أخالفه، ولا أرجعُ عنه.

**قال عبد العزيز:** فقلت لبشر: زعمت أن معنى ﴿جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: خلقناه قرآنًا عربيًّا.

**قال:** نعم هكذا قلت، وهكذا أقول أبدًا.

**فقلتُ له:** أخبرني الله عز وجل تفردَ بخلق القرآن أو شاركه في خلقه أحدٌ غيره؟

**قال:** بل الله خلقه وتفرد بخلقهِ ولم يشاركه في خلقه أحد.

**قال عبد العزيز:** فقلت له: أخبرني عمن قال: «إن بعض ولدِ آدم خلَقوا القرآن من دُونِ الله» أمؤمن هو أم كافر؟

**فقال بشر:** بل كافر حلال الدم.

**فقلتُ:** وأنا أقول أيضًا هكذا، إنَّه كافرٌ حلالُ الدَّم.

**قلتُ:** فأخبرني عَمَّن قال مِن أن التَّوراةَ خلقها اليهودُ مِن دُونِ اللَّهِ تعالى، أمؤمن هو أم كافر؟

**قال:** بل كافر حلال الدم.

**قلتُ:** وأنا أقول هكذا أيضًا، فأخبرني عن قال: إن الله قال لبني آدم لا يخلقون الله، وقال في موضع آخر «وقد خلقتكم الله» أمؤمن هو أم كافر؟

**قال:** بل كافر حلال الدم.

**قلتُ:** وأنا أقول أيضًا مثل ذلك.

فأخبرني يا بشرُ، أليس الله خلق الخلق كلَّهم؟

**قال:** بلى.

**قلت:** فهل شاركه في خلقهم أحدٌ؟

**قال:** لا.

**قلت:** فمن قال إن بعض بني آدم خَلَقُوا الله، أمؤمن هو أم كافر؟

**قال:** بل كافر حلال الدم.

**قلت:** وأنا هكذا أقول.

**قال بشر:** قد قعدت تمتحنني وتُشغلني حتى يؤذّن بالظهر وينقطع المجلس رجاء أن تنصرف منه سائماً، وهذا مالا يكون عندك جواباً لمَسأَلتي، وإلا فقد انقطع الكلام، وأي شيء هذه الخرافات؟

**قال عبد العزيز:** فقلتُ يا أمير المؤمنين ليس يُنصفني فأمره أن يجيبني عما أسأله عنه، فإن الذي بقي أيسره، ثم أجيبه عن مسأَلته وعن كلامه.

**فقال له المأمون:** أجبه عن كلامه وما يسألك عنه.

**قال:** الساعة يؤذّن بالصلاة وينقطع المجلس.

**فقال المأمون:** نوخّر الأذان بالصلاة إلى آخر الوقت، فإن احتججتما إلى أن تجلسا بعد الصلاة لتتمام الكلام جلستُ لكما حتى تفرغا.

**قال عبد العزيز:** ثم أقبل عليّ المأمون فقال: سلّه يا عبد العزيز عما تريد، ولا تدع شيئاً مما تحتاج إليه إلا ذكرته فأني متحفّظ عليكما جميعاً ما يجري بينكما، وشاهد به عليكما.

**فقلت له:** جزاك الله يا أمير المؤمنين عني خاصة وعن رعيَّتِكَ عامَّةً أفضل الجزاء، فقد جلست منا اليوم مجلس الإمام العادل، وأحسنْتَ إليَّ حين رأيتني جَزَعًا فسكَّنتَ رَوْعِي وأنستَ وحشتي وبسطت لِسَانِي مُحَجَّجِي، وتابعت الحق حين ظَهَرَ لك، ووافقتَه ونصرت أهله، وشهدت لي بثباتِ الحُجَّة، ودفعت أهلَ الباطل حين زهَقَ واضمحَلَّ وبانت فضيحتُه، وشهدت على بُطلانِه، وأنصفتَ في مجلسِكَ، وكان ذلك كُلُّه منك بتوفيق الله وتأييده إياك فله الحمد والشكر على ما أبلاك وأبلى رعيَّتَكَ فيكَ، فجزاك الله أفضل ما جزى أحدًا من الأئمة عن رعيته.

**فقال لي المأمون:** قد أبلغت يا عبدَ العزيزِ في القولِ والشُّكرِ ولكَ الزيادةُ ممَّا ابتدأناك به، فارجع إلى مسألة بشر عما تريد.

**قال عبد العزيز:** فأقبلتُ على بشرٍ **فقلت:** أخبرني عَمَّن زَعَمَ أن بعض بني آدم خَلَقُوا الملائكةَ مِن دونِ الله تعالى أمؤمن هو أم كافر؟

**قال:** بل كافر حلال الدم.

**فقلت:** وأنا أقول هكذا أيضًا.

**قلت:** أخبرني عمن زعم أن بعض بني آدم خلقوا لله شُرَكَاءَ، أمؤمن هو أم كافر؟

**قال:** بل كافر حلال الدم.

**فقلت:** وأنا أقول هكذا.

**قلت:** فأخبرني عمن زعم أنَّ بعض بني آدم خلقوا لله أندادًا، أمؤمن هو أم كافر؟

**فقال:** بل كافر حلال الدم.

**فقلت:** هكذا أقول أيضًا.

**قال عبد العزيز:** فأقبلتُ على المأمون **فقلتُ:** يا أمير المؤمنين، قد أقرَّ بشرُّ أنه كافر حلال الدم، وكلُّ من قال بقوله ووافقه على مذهبه.

ثم ندمت على قولي «وكل من قال بقوله ووافقه على مذهبه» وعلمتُ أنني قد أخطأت،<sup>(١)</sup> فأطرق المأمونُ إطرًا مُغضِبٍ.

ونظر إليه بشر **فقال:** يا أمير المؤمنين أطل الله بقاءك، يكفرنا ويحل دمانا بحضرتك وفي مجلسك بلا حجة ظهرت، وإنما شبّه ذلك ليقول هذا.

---

(١) لأن المأمون يقول بقوله.

**قال عبد العزيز:** فقلت له: شَهِدَ عَلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا قُلْتَ.

**فقال لي المأمون:** لقد افحشت القول وأعظمتَه واستشهدتني على ما لم أسمعهُ، ولم أشهد به على بشرٍ، ولا على أحد يقولُ بقوله.

**قال عبد العزيز:** فقلت: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسمع قولي، فإن كنتُ قلتُ حقًا كانِ بِشَرٍ قد أَكْفَرَ نَفْسَهُ ومن قال بمِقالَتِهِ وأحلَّ دَمَهُ ودَماءَهُم وانتزعتُ على كل حرفٍ مِنْ كلامي آيَةً مِنْ كتابِ الله، وإلاَّ فَدَيِّي حلالٌ وليأمر أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بضربِ عُنُقِي في هذه الساعةَ على رؤوسِ الأَشْهاد، وإن أُتيتُ على ما قلتُ وَلَقِظْتُ به بنص التنزيل في كل لفظةٍ وأقمتُ الشاهد على بشرٍ من كتابِ الله؛ وَسَعَيْني عدلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

**قال:** فقال لي: هاتِ ما عندك ولا تُطِلْ الكلامَ بغير حجة.

**قال عبد العزيز:** فقلت: قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] فزعم بشر يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أن معنى ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: وقد خلقتُم الله



عليكم كفيلا، لا معنى لذلك غيره، وأنه ومن خالفه وسائر العرب والعجم يقولون هذا<sup>(٢)</sup> ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» وقد كذب في القول الأول، وصدق في قوله الثاني أن من قال هذا حلال الدم بإجماع الأمة.

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] فزعم بشر أن معنى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم، لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله ومن خالفه ولا عند سائر الخلق جميعاً، غير هذا أن الله قال لبني آدم «ولا تخلقوا الله» ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» وأمير المؤمنين يشهد عليه بهذا اللفظ، وقد كذب في قول: «إن معنى ولا تجعلوا ولا تخلقوا الله» وصدق في قوله، «إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم» بقوله وقولي وقول الناس جميعاً.

**فقال المأمون:** ما أقبح هذا وأشنعه وأعظم القول به!

[١] في الأصول الكلام فيه زيادة غير مفهومة المعنى، فصغتها بما يوافق الكلام.

(٢) أي أن بشر ادعى الإجماع، إجماع من وافقه في خلق القرآن ومن خالفه أيضاً في أن جعل معناها خلق.

**فقلت:** قال الله سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ وَمَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] فزعم بشر- يا أمير المؤمنين- أن بني آدم يخلقون لله البنات -سبحانه- ويخبر بذلك عن الله عز وجل، وأنه هو قاله وشهد به على نفسه، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» وقد صدق في قوله الأخير وكذب في قوله الأول، ومن قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

**قلت:** وقال عز وجل: ﴿وَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠] فزعم بشر- يا أمير المؤمنين- أن معنى ﴿وَجْعَلُوا﴾: وخلقوا، ولا معنى له عنده وعند من قال بقوله غير هذا، فزعم عن الله عز وجل أنه قال «وخلقوا لله أندادا» ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» فقد كذب بشر في قوله الأول، وصدق في قوله أن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

**قلت:** وقال الله عز وجل: ﴿وَجْعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠] فزعم بشر أن معنى قوله: ﴿وَجْعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ﴾ وخلقوا لله شركاء الجن، لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله ومن خالفه ولا عند سائر الناس إلا هذا، فزعم بشر أن الله عز وجل أخبر أنهم يخلقون له شركاء الجن، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» وقد

كذب في قوله «إن معنى وجعلوا وخلقوا» وصدق في قوله «إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بقوله وقول الناس جميعا».

**قلت:** قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ<sup>ج</sup> أَمْ تُنَبِّئُونَهُ<sup>و</sup> بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّظُهُ<sup>ظ</sup> مِنَ الْقَوْلِ<sup>ظ</sup>﴾ [الرعد: ٣٣] فزعم بشر -يا أمير المؤمنين- أن معنى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ وخلقوا لله شركاء، لا معنى له عنده وعند من قال بقوله ومن خالفه ولا عند العرب والعجم إلا هذا المعنى، فزعم أن الله أخبر أنهم خَلَقُوا لَهُ شُرَكَاءَ، وكذب بشر -يا أمير المؤمنين- وقال الباطل والزور، ولقد نفى الله تعالى ذلك وأبطله، وأخبر أنه لا يعلم من هذا شيئا، وأخبرنا أنه من قال ذلك كافر حلال الدم بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ<sup>ج</sup> أَمْ تُنَبِّئُونَهُ<sup>و</sup> بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَيِّظُهُ<sup>ظ</sup> مِنَ الْقَوْلِ<sup>ظ</sup>﴾ [الرعد: ٣٣] كما قال بشر ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ<sup>و</sup> وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ<sup>ظ</sup> وَمَنْ يَضِلِ<sup>ظ</sup> اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ<sup>ر</sup>﴾ [الرعد: ٣٣].

**قلت:** قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا<sup>ج</sup> صَالِحًا جَعَلَا لَهُ<sup>و</sup> شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا<sup>ج</sup>﴾ [الأعراف: ١٩٠] فزعم بشر أن معنى: ﴿جَعَلَا لَهُ<sup>و</sup> شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَتْهُمَا<sup>ج</sup>﴾ خلقا له شركاء، لا معنى له عنده، ومن قال بقوله وعند الناس

جميعا غير هذا، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» فكذب في الأول، وصدق في الآخر أنه كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

**قلت:** وقال عز وجل: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦] فزعم بشر أن معنى ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾ [الرعد: ١٦] أم خلقوا، لا معنى له عنده وعند من قال بقوله وعند الناس جميعا غير هذا، وزعم أن من قال هذا كافر حلال الدم، وكذب في قوله الأول، وصدق في الآخر أنه كافر حلال الدم كافر بإجماع الأمة.

**قلت:** قال عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] فزعم بشر إن معنى قوله، ﴿وجعلوا الملائكة﴾: وخلقوا الملائكة، ثم قال: من قال به كافر حلال الدم، فقد كذب في الأول، وصدق في أن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

**قلت:** وقال عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام: ٩١] فزعم بشر أن معنى ﴿يَجْعَلُونَهُ﴾ يخلقونه، يعني أن اليهود خلقت التوراة، ومعنى خلق التوراة

خلقُ كلام الله، فزعم أن اليهود خلقت كلام الله تعالى وأنه لا معنى لذلك عنده ولا عند غيره ومن قال بقوله وعند سائر العرب والعجم غير ذلك، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدم» فكذب في الأول، وصدق في الآخر أنه كافر حلال الدم.

**قلت:** ثم قال الله عز وجل: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩٠-٩١] فزعم بشر أن معنى قوله ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ الذين خلقوا القرآن عِضِينَ، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد كذب في قوله «إن المقتسمين خلقوا القرآن» وصدق في قوله «إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة».

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ **فقال:** حسبك يا عبد العزيز، قد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم، وأشهد على نفسه بذلك وقد صدقت في كل ما قلت، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه في ذلك، وهذا شيء يلزمه في نفسه خاصة، ولا يلزم غيره ممن لا يقر بمثل ما أقر به ولا يحكم على نفسه بمثل ما حكم به بشر على نفسه.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، إنما قد خاطبت أمير المؤمنين بما قد حصل في صدري، وأقر به بشرٌ واشهدَ أمير المؤمنين على

نفسه به، وعلمتُ أن أمير المؤمنين قد حفظ عليه كلامه كلّهُ، ولولا ذلكَ ما اجترأتُ على ذلك.

**فقال المأمون:** كنت تقصدُ بشرًا وحدَه بالكلام والمُخاطبة دون سائر

الناس؟

**قلت:** لم يدعني، جعلتُ أسأله في خاصّة نفسه؛ فيقول: «هذا قولي وقولُ سائر الناس، وقول العرب والعجم» فأجبتُه على حسب كلامه، وقد صدّق أمير المؤمنين، هذا يلزم من أقَرَّ به دونَ غيره، إلا من قال بمثل قوله وأقر بمثل ما أقر به، وهذا الذي عنيت بقولي الأول حين قلت: «ومن قال بقوله ووافقَه على مذهبه»

**فقال:** قد أحسنتَ يا عبد العزيز الانتزاع.<sup>(١)</sup>

ثم أقبل عليَّ المأمونُ **فقال:** يا عبد العزيز تكلم في بيان هذا، واذكر الجعلَ والخلقَ وفرّقَ بينهما وشرح ذلك ليقف عليه من بحضرتنا ويعرفه.

**فقلت:** نعم يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- ولكن إن رأيت أن

(١) أي الخروج مما قلت أنفا مما يلزم منه تكفير المأمون

تأذن لي فأقول قبل البيان والشرح أشياء في هذا المعنى مما أكسِرُ به قول بشر، وأدخُصُ به حجته، وأفضح به مذهبه، وأبطل به اعتقاده.

**فقال:** افعَل ولا تُطول بنا المجلس.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين إنما هو شيء أُدرِّسُه درسًا يا أمير المؤمنين.

**قال:** قل ما تريد، ولا تخاطب بشرًا، أقبل عليّ ودعه.

**قلت:** قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

وقال تعالى في موضع آخر لنبيه كلفه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

فزعمهم بشرٌ - يا أمير المؤمنين - أن الله قال لنبيه «لا تخلق مع الله إلهاً آخر» فمن أقبح قولاً من هذا أو أفحش منه؟!

وقال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] فزعم بشرٌ أن الله قال لنبيه ولا تخلق يدك، فزعم أن الله خلقه وبعثه رسولا وليس له يدٌ، ثم خاطبه بعد الرسالة فقال: «ولا

تخلق يدك» والله قد خلقه خلقاً سَوِيًّا، وما أقبح هذا القول وأشنعه من قائله!

وقال الله في قصة موسى ﷺ وفرعون، وقول فرعون له: ﴿قَالَ لِّئِنْ أُتِّخِذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٩] فزعم بشر أن فرعون قال لموسى وهو نبي مبعوث إليه: «لأُخَلِّقَنَّكَ» فما أقبح هذا وأشنعه وأبين كسره!

وقال الله عز وجل: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ وَكَدُءٍ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [النور: ٦٣] فزعم بشر أن الله قال لخلقه: «لا تخلقوا دعاء الرسول بينكم» ما أقبح هذا من قولٍ وأدحضه!

وقال الله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ ۖ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فالله يأمرُ بعد ولادته والرضاع له وأن تلقيه في اليم، وبعدها أن يرده إليها ويجعله من المرسلين، وبشر يزعم أنه وعدّها أن يرده إليها ويخلقه، وهذا مالا يعقله الناس، كيف يخلقه وهو مخلوق.

وقال عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ



وَنَجْعَلُهُمْ أَبَمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٤٠﴾ [القصص: ٤٠] وزعم بشر أنه يريد أن يَمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ويخلقهم، وهم مخلوقون مستضعفون في الأرض، هذا ما لا يعقله العرب والعجم.

وقال الله: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] فخاطبه بعد خلقه وبعد فهمه، فزعم بشر أنه تعالى قال لداود: «إنا خلقناك خليفة في الأرض» وهذا مما لو خُوطِبَ به داودُ ما عقله.

وقال الله مخبراً عن دعاء إبراهيم وإسماعيل حين قالَا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فأخبر أنهما دَعَوَا ربهما وهما مخلوقان، وزعم بشر أنهما دَعَوَا ربهما إن يخلقهما مسلمين، بعد أن كان قد خلقهما.

وقال الله عز وجل مخبراً عن دُعَاء إبراهيم وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقد كانت مكة مخلوقة قبل آدم عليه السلام وقبل إبراهيم، فكيف يدعو إبراهيم بخلقها وهذا مما لا يعقله الناس.

وقال الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَاكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٣] فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ مَا جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وزعم بشرٌ أن الله ما خلق البحيرة ولا السائبة ولا الوصيلة ولا الحامي، وإنما خلقهما الكفار من دون الله، ومن قال هذا فقد كفر بالله عز وجل.

## الفرق بين الجعل والخلق، ومسألة الفصل والوصل

### في القرآن

قال عبد العزيز: فأقبل عليّ المأمون فقال: حسبك يا عبد العزيز، فقد ثبتت حجتك في هذه المسألة كتيبانها في المسألة الأولى، وانكسر قول بشرٍ فيها، وبطل دَعَوَاهُ، فارجع إلى بيان ما قد انتزعت به وشرحه واذكر معانيه وما أراد الله به، وما هو من الجعل مخلوق وما هو غير مخلوق، وبيان الأعلام والشواهد، وما هو مخلوق، وما هو غير مخلوق، وما يتعامل به العرب في لُغَاتِهَا وما يُفَرِّقُ به بين الجعَلين في كلامِها؛ ليسمع من في المجلس ذلك، فيقفوا على مذهب العرب في ذلك ومعنى ما أراده الله عز وجل بقوله في ذلك.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، إن ﴿جَعَلَ﴾ في كتاب الله عز وجل يحتمل<sup>(١)</sup> معنيين عند العرب، معنى «خَلَقَ» ومعنى «صَيَّرَ» غير خَلَقَ، فلما كَانَ «خَلَقَ» حرفًا مُحْكَمًا لا يحتمل معنى غير الخلق ولم يكن من صناعة العِبَاد؛ لم يتعبَّد الله به العِبَاد فيقول لهم: «اخلقوا» أو «لا تخلقوا» إذ كَانَ الخلق ليس من صناعة المخلوقين وكان من شغل الخالق سبحانه وتعالى.

ولما كَانَ «جعل» على معنى «صَيَّرَ» لا على معنى الخلق؛ خاطَبَ الله به العِبَادَ بالأمر والنهي فقال: «اجعلوا» و«لا تجعلوا» وَلَمَّا كَانَ جَعَلَ كلمةً تحتمل معنيين، معنى «خلق» ومعنى «صَيَّرَ»؛ لم يَدْعِ الله في ذلك اشتباهًا على خلقه وَلَبَسَا على عبادِه فيُلحِد المُلحدون في ذلك، ويشبهون على خلقه كما فعل بشرٌ وأصحابُه، حتى جعل على كل كلمة علما ودليلا فَرَّقَ به بين الجَعْلِ الذي يَكُونُ على معنى الخلق، وبين الجَعْلِ الذي يَكُونُ على معنى التَّصْيِيرِ.

فأما الجعل الذي هو على معنى الخلق فإن الله عز وجل جَعَلَهُ مِنْ

(١) بالتذكير لأن ﴿جعل﴾ فعل.

القول المُفَصَّل وأنزل القرآن به مُفَصَّلًا<sup>(١)</sup> وهو بيانٌ لقوم يفقهون.

والقول المُفَصَّل يَسْتغني به السَّامِعُ إذا أُخبرَ به قبل أن تُوصَلَ الكلمةُ  
بغيرها من الكلام إذ كانت قائمة بذاتها تدل على معناها، فمن ذلك قوله:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

فسواء عند العرب قال «وجعل» أو قال «وخلق» لأن العرب قد  
علمت أنه أراد بهذا الجعل: الخلق، لأنه أنزله من القول المفصل.<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَيْنَ وَحَفَّةٍ﴾ [النحل:  
٧٢] فعقلت العرب عنه أن معنى هذا: «وخلق لكم» إذ كان هذا قولاً

(١) أي كلمة «جعل» مستقلة، كما لو قلنا «الله جعل الأرض» أي خلقها، وهذا من المفصل، لأن الجملة  
تمت بدون حاجة لإضافة، أما الموصّل فهو وصل كلمة بالمجْعول لا تتم الجملة إلا بها، ويتغير المعنى  
بدونها كما لو قلنا «الله جعل الأرض خضراء» هذا من الموصّل، لأن كلمة السماء وصلت بها كلمة  
خضراء، وبدون الكلمة الموصولة يتغير معنى الجملة، فقلنا هذا موصول، وسيأتي بيان أكثر من  
الشيخ.

(٢) فلو كان «جعل الظلمات كثيرة» كان من الموصّل.

مُفَصَّلًا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [سورة النحل: ٧٨] فعقلت العربُ عنه أنه أراد بهذا الجعل: الخلق، إذ كان من القول المفصل، وسواءً عندها قال «خلق» أو «جعل» لأنها قد علّمت ما أَرادَه وما عني، ومثلُ هذا في القرآن كثيرٌ جداً يا أمير المؤمنين، فهذا وما كان على مثاله من القولِ المُفَصَّل الذي يستغني المخاطبُ به والسامعُ له بِكُلِّ كلمة عما بعدها.

وأما «جعل» الذي هو بمعنى التصيير الذي هو غير الخلق فإن الله عز وجل أنزله من القولِ المَوْصَل الذي لا يدري المُخاطَبُ ما أَرادَ المخاطب حتى يصل الكلمة بكلمة بعدها فيعلم ما أَرادَ بها، وإن تَرَكَهَا مُفَصَّلَةً لم يصلها بغيرها من الكلام لم يعقل السامع لها ما أَرادَ بها ولم يفهمها ولم يقف على ما عني بها حتى يصلها بغيرها.<sup>(١)</sup>

فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي

---

(١) كذلك قول الله تعالى: ﴿هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ فقد وصل «في السماء» بكلمة «إله» ووصل «في الأرض» بكلمة «إله» فإن قيل «إن الله في الأرض» اختلف المعنى وفسد لأنها من الموصّل، فلا بد من قول «الله في الأرض إله».

الْأَرْضِ ﴿ص: ٢٦﴾ فلو قال: «إنا جعلناك» ولم يصلها بما بعدها؛ لم يعقل داود، ولا أحدٌ ممن سمع هذا الخطاب ما أراد الله به ولا ما عني بقوله، لأنه خاطبه بهذا القول وهو مخلوق، فلما وصلها بـ «خليفة في الأرض» عَقَلَ داود وكلٌ من سمع هذا الخطاب ما أراد الله بقوله وما عني به.

وكذلك حين قال عز وجل لأم موسى: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴿القصص: ٧﴾ فلو لم يصل «جاعلوه» بـ «المرسلين» لم تعقل أم موسى ما خاطبها به ولا ما عني بقوله، إذ كان خلق موسى عليه السلام قد تقدم رده إليها، فلما وَصَلَ الكلمة بـ «المرسلين»؛ عقلت أم موسى ما أراد بخطابها.

وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ ﴿الأعراف: ١٤٣﴾ وقد كان الجبل من قبل أن يتجلى له مخلوقاً، فوصل الجعل بـ «دكا»، ولو لم يصله لم يعقل السامع له ما أراد الله بقوله.

وكذلك قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ ﴿البقرة: ١٢٨﴾ وقد كانا قبل دعوتيهما مخلوقين، فوصل ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ ولو لم يصل الكلمة وفصلها، فقال ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾؛ لم يعقل أحدٌ ممن سَمِعَ ما أَرَادَ

بَدَعُوهُمَا، فلما وصلها بـ «مُسْلِمِينَ» علم كل من سمع ذلك ما أراد بدَعُوهُمَا.

وكذلك قول إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] فوصله بـ «ءَامِنًا» ولو لم يصله بـ «ءَامِنًا»؛ ما عقل أحد ممن سمع ذلك ما عني بدعوته، إذ كان بلد مكة مخلوقًا قبل ذلك، فلما وصل بـ «ءَامِنًا»، عقل السامع لذلك ما أراد إبراهيم عليه السلام بدعوته، ومثل هذا كثير في القرآن جدا يا أمير المؤمنين، والذي تتعارفُه العرب وتتعاملُ به في لُغَاتِهَا وَخُطَابِهَا ومعنى كلامِها ومخارج ألفاظِها وهو الذي جَرَتْ به سُنَّةُ اللَّهِ عز وجل في كتابه، إذ كان إنما أنزلَ بلسانها واكْتُتِبَ على تبيينها، فخطبهم الله عزَّ وجلَّ بما عَقَلُوهُ وعرفوه ولم ينكروه ولم يكونوا يعرفون سواه، وهو القول المَوْصَل والمُقَصَّل.

فأرجعُ أنا وبشر يا أمير المؤمنين فيما اختلفنا فيه من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وإلى سُنَّةِ اللَّهِ في كتابه في الجعلَيْنِ جميعًا، وإلى سنة العرب أيضًا، وما تتعارفُه وتتعاملُ به، فإن كان من القول المَوْصَل؛ فهو كما قلتُ أنا إن الله جعله قرآنًا عربيًا بأن صيره عربيًا أنزله بلغة العرب ولسانها، ولم يصيِّره أعجميًا فينزله بلغة العَجَم.

وإن كَانَ من القَوْلِ الْمُفَصَّلِ فهو كما قَالَ بشر، ولن يَجِدَ ذلك أَبَدًا، وإنما دخل الجهلُ على بشرٍ وَمَنْ قَالَ بقوله -يا أمير المؤمنين- لَأَنَّهُمْ ليسوا مِنَ الْعَرَبِ ولا عِلْمَ لَهُمْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ ومعاني كلامها، فأولوا القرآن على لغة الْعَجَمِ ومعاني كلامها التي لا تفقه ما تقول، وإنما تتكلم الْعَجَمُ بالشيء كما يجري على ألسنتها، وكلُّ كلامهم يَنْقُضُ بعضُه بعضًا، لا يتفقَدون ذلك من أَنفُسِهِمْ، ولا يَنْتَقِذُهُ عليهم غيرُهم لكثرتِه.

**قال عبد العزيز:** وسمعتُ الأصمعيَّ، عبدَ الملكِ بنَ قريب، وسأله رجل فقال له: «أَتُدْعِمُ الفاءُ في الياءِ؟» فتبسَّم الأصمعيُّ وقبض على يدي - وكانَ صديقي- فقال لي: «أما تَسْمَعُ!» ثُمَّ أَقْبَلَ على السَّائِلِ وهو متعجَّب من مسأَلته وقوله فقال له: «تُدْعِمُ الفاءُ في الياءِ في لغة إخواننا بني الأنبياء بني ساسان، يقولون: «كَيْصَبَحَتْ»، فيدغمون الفاء في الياء، أما العرب فلا تعرف هذا».

**قال عبد العزيز:** فاشتد تبسُّمُ المأمونِ من قول الأصمعيِّ ووضع يده على فيه.

**قلتُ:** وهذا الذي يأتينا به بِشَرٍّ-يا أمير المؤمنين- من لُغَةِ أَصْحَابِنَا بني الأنبياء.



## الموصل والمفصل في القرآن الكريم

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- يذمُّنا ويكفِّرنا ويقول أنا نُحَرِّفُ القرآن عن مواضعه، وهو قد وضع قدرَ القرآنَ وشأنه وسماهُ بأنقِصَ اسمٍ ووَصَفَهُ بأخسَّ صِفَةٍ وأقلَّها ولقد خالفَ بقوله كتابَ الله وحَرَّفَهُ عن مواضعه لأنَّ الله عز وجل سَمَّاهُ كتابًا عزيزًا، وسمَّاهُ كريمًا، وأخبرَ عنه أنه تامٌّ كاملٌ بقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وسماهُ عبدُ العزيز مُوصَّلًا ومُفَصَّلًا، فخالَفَ كتابَ الله تعالى وصِفَتَهُ، وذمَّ ما مدَّحَ الله تعالى.

لأنَّ المُوصَّلَ عند العرب والعجم وسائر الخلق: دُونَ التَّامِّ الصحيح الكامل، إذ كان المُوصَّلَ عندهم جميعًا هو المُلقَّقُ الذي قد وُصِّلَ بَعْضُهُ ببعضٍ ولُقِّقَ بَعْضُهُ ببعضٍ، فإذا أرادَ الرَّجُلُ من العرب وغيرهم أن يضع مِن قدرِ الشيء قال: «هو مُوصَّلٌ وليس هو صحيح». وقد سَمَّى كتابَ الله اسمًا ناقصًا وقال فيه بُهتانًا وإثماً عظيمًا، ولو قلتُ أنا هذا وما هو دُونَهُ لكانَ قد حَظَبَ وكَلَّمَ واستغاثَ بأمرِ المؤمنينَ وأخرَجَنَا عن الإسلام، وهو يقولُ العِظائمَ ويُحِيلُ على العَرَبِ، وأمرِ المؤمنينَ -أطال الله بقاءه- يحلِّمُ عنه بِفَضْلِهِ وهو يَتَقَوَّى بِحِلْمِهِ علينا.

**قال عبد العزيز:** فَقُلْتُ لبشرٍ: وهذا أيضًا من جهلك بما في كتاب

الله عز وجل، تذمني وتزعمُ أني سَمَّيْتُ كتابَ الله -تعالى- اسماً ناقصاً، وتُغري<sup>(١)</sup> بي أميرَ المؤمنين، وهو أعلمُ بما قلتُ وما تكلمتُ مِنِّي وَمِنْكَ، وما قُلْتُ إلا ما قاله الله، وما نَسَبْتُ إلا ما نسبَه إليه وارتضاهُ له، وهو عند العرب الفصحاء كلامٌ جيدٌ صحيحٌ مُرتضى، وأنت تزعمُ أن كلامَ الله الذي هو مِن ذاته<sup>(٢)</sup> مخلوقٌ وتُشَبِّهه بكلامَ المخلوقين من الشعرِ وقولِ الزورِ وغيره، وتُنكِرُ عليَّ أن سَمَّيْتُهُ بما سماه الله تعالى به.

**فقال بشر:** وأين سَمَّاهُ اللهُ مُوصَّلاً ومُفَصَّلاً؟

**قلت:** في كتابه مَن حيثُ لا تفهمُه ولا تعلمُه.

**فقال:** فهاتِه.

**فقلت:** قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

**يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١]** فهذه تسميةُ الله -عزَّ وجلَّ- لكلامِه وتسميته له

(١) بغريه بمعنى يحرِّشه أو يحرضه.

(٢) كلمة «ذاته» يريد بها نفسه ولم ترد هذه الكلمة بهذا المعنى في الكتاب أو السنة أو لغة العرب. ولي بحث حول استخدامها منشور باسم «كلمة الذات ونسبتها لله تعالى».

بِنَصِّ التَّنْزِيلِ بَلَا بَتَاوِيلَ وَلَا تَفْسِيرَ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ وَلِكَلَامِهِ  
وَارْتِضَاهُ لَهُ.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]  
فامتدحهم بِصِلَةٍ مَا وَصَلَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ وَوَعَدَهُمْ  
عَلَى ذَلِكَ أَحْسَنَ عِدَةٍ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ  
وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً  
وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ جَنَّتْ عَدْنٍ  
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ  
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ  
عُقْبَى الدَّارِ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ  
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ  
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤] فَهَذِهِ مِدْحَةُ اللَّهِ وَهَذَا ثَنَاءُ اللَّهِ،  
وَهَذَا جَزَاءُ اللَّهِ لِمَنْ وَصَلَ مَا وَصَلَ اللَّهُ.

وَلَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ قَطَعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِصِلَتِهِ وَذَمَّهُمْ وَلَعَنَهُمْ  
وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ  
بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي

الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ [الرعد: ٢٥] وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ۖ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۖ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧] فهذا دَمُ اللَّهِ لِمَنْ قَطَعَ مَا وَصَلَ اللَّهُ وما أَمَرَ بِصَلَتِهِ وهو وَعِيدُ اللَّهِ لهم بالنار.

ثم ذَكَرَ اللَّهُ ما في الْقُرْآنِ مِنَ الْمُفْصَلِ فقال عز وجل: ﴿الرَّ كُتِبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ وَثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقال عز وجل: ﴿حَمَّ تَنْزِيلُ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [٢] كُتِبَ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ وَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٣] [فصلت: ١-٣].

وقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٢٧] [الروم: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [٩٩] [الأنعام: ٩٨] فهذا قولُ اللَّهِ، وهذه أخبارُ اللَّهِ، وهذه تسميةُ اللَّهِ لكلامه، وهذه نسبةُ اللَّهِ عز وجل لكلامه، وهذا اختيارُ اللَّهِ عز وجل لكتابه ولكلامه، وهذا ما ارتضاه الله ورضي به من قائله.

**قال عبد العزيز:** ثم أقبلتُ على أمير المؤمنين المأمون **فقلت:** يا أمير

المؤمنين يزعمُ بشرُّ أني سميتُ كتاب الله اسماً ناقصاً مذموماً وأنّي ذهبْتُ بقدره وسميته بما لم يسمّه الله عز وجل، وإنّي أتيتُ بذلك بهتاناً وإثماً عظيماً، ويدّعي عليّ الدعاوى وأنا حاضرٌ معه، وإنما ينبغي له إذا تكلمتُ بشيء بأن يطالبني بإقامة الحُجّة عليه والدليل على كل الفظ بها لفظتُ بها، فإن لم أفعل ذلك، فليتكلم بما شاء.

ولقد أكذبه الله عز وجل في كتابه وذمّ قوله وأبطله بما أنزل الله في كتابه من ذكر الموصل والمفصل، وما قصّدَ بِشَرٍّ-يا أمير المؤمنين- بقوله هذا إلا إلى تنقيص العرب كلّها وذمّ كلامها ولغاتها وما تتعامل به في خطابها، إذ كانت تُسمي كلام الله تعالى موصلاً ومفصلاً، وتسمي كلامها مفصلاً وموصلاً، وتختارُ هذه الأسماء لكلامها وترتضيها، وهي عندنا جميلةٌ حسنّةٌ صحيحةٌ المعنى لا خلاف بينهم في ذلك.

**قال بشر:** ما تتعارف العرب من هذا شيئاً، وما أنت بأعلمَ بلغة العرب مني، وكل شيء نسبته اليوم إلى العرب فهو مخالف لقولها ولغتها ومذهبها في كلامها.

**فقلت:** وما تنفعني البيّنة وأنت جاحد؟!

**قال عبد العزيز:** فأقبلتُ على المأمون **فقلت:** يا أمير المؤمنين -أطال

الله بقاءك- أنت بيت اللغة وأعلم خلق الله بلغة العرب وكلامها وما تتعارفه وتتعامل به في خطابها، وأنت الحاكم بيننا، فإن أكن تزيّدت على العرب منذ اليوم في شيء حكيته عن العرب أو نسبته إليهم أو عدلت عن سنّتهم ومذهبهم في شيء من كلامهم وخطابهم ومخارج ألفاظهم فقد استحققت العقوبة من جهتين:

إحداهما: جرأتي على أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- وقولي بين يديه، وحكايتي عن قومه ما يعلم خلافه مع علمي أنه أعلم خلق الله بذلك.

والأخرى: لكذبي على سائر العرب وادعائي الباطل عليهم وأمير المؤمنين يشهد عليّ بكذبي وتزيدي، وهو أعلم خلق الله تعالى باللغة، وهو في حل وسعة من دمي ومن كل ما يُعاقبني به؛ إن كان قد وقف على ذلك مني.

وإن يكن بشرّ قد تزيّد في القول، وادعى عليّ الباطل؛ كان أمير المؤمنين أعلى عينا بالردّ عليه ومنعه من قول الزور والكذب.

**فقال المأمون:** ما قلت يا عبد العزيز منذ اليوم إلا ما تقوله العرب وما تتعارفه وتتعامل به، وما خرجت عن مذهبها، ولو عدلت عن ذلك ما سوغت لك الكذب عليها.

**قال عبد العزيز: فقلت:** الله أكبر، الله أكبر، كَذَبَ بِشْرُ وَاللَّهِ، بشهادة أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- لي عليه، أفلحتُ وَرَبَّ الكعبة، أفلحتُ ورب الكعبة، وظهر أمرُ الله وهُم كارهون.

**فقال بشر:** وعلى الخلق أن يتعلموا لغات العرب؟ ما تعبدنا الله بهذا، كلُّ إنسان يقول بلغته وعلى قَدْر معرفته، وما كَلَّفَ اللهُ الخلقَ فوق طاقاتهم، ولا طَالَبَ أولادَ العجم بلغات العرب، بل يقولوا بلغة المريسين.

**قال عبد العزيز: فقلتُ لبشرٍ:** فكَلَّفَ اللهُ الخلقَ أن يتكلموا بما لا يعلمون؟ حيثُ ادعيتَ العلمَ وتكلمتَ في القرآن العظيم، وتأولت كتاب الله على غير ما عناه الله، ودعوت الخلق إلى إِتِّبَاعِكَ، وَكَفَّرْتَ من خالفك وأبْجَحْتَ دمه، والله قد نهى الخلقَ جميعاً فلم يُحَاشِ نبياً مُرسلاً، ولا صِدِّيقاً، ولا عبداً مؤمناً أن يقولوا ما لا يعلمون، أو يتكلفوا ما لا يعلمون، فقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال عز وجل لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْعَلَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فقال نوح معذراً إلى ربه معترفا بخطيئته مستغفراً منها: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ

أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ [هود: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ وَأَيَّتُ  
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ  
فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ  
إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا  
يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧] يذمهم الله بهذا الخبر، وذم فعلهم  
وطريقهم التي سلكوه.

**فقال بشر:** اخطب حتى تشبع من الكلام ثم أخطبك.

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** يا أمير المؤمنين، إن بشراً قد تحير في  
ضلالته، وعمي عن رُشده، وبانت فضيحة قوله ومذهبه، وانقطع فما يأتي  
بجحة.

**فقال بشر:** ما انقطعت ولا تحيرت ولا بانت فضيحة مذهبي، وإني  
لعلي بينة من أمري، وما دعوت الناس ولا أدعوهم إلا إلى سبيل الرشاد،  
ولا أنا وهم إلا على سداد، وكل من خالفني فكافر حلال الدم.



**قال عبد العزيز: فقلت:** يا أمير المؤمنين، ما كان بقي على بشر غير هذا، قد قال كما قال فرعون، ولجأ إلى طريق فرعون فاتبعها، وإلى سبيله فسلكها.

فَتَبَسَّمَ المأمونُ حتى وضع يده على فيه، ثم **قال:** كيف قلت يا عبد العزيز؟

فَأَعَدْتُ عليه القول؛ فازداد تبسماً، ثم **قال:** كيف قال بشر ما قال فرعون ولجأ إلى سبيله؟

**فقلت له:** إني لما قرأت على بشر القرآن وأوضحت السبيل والبرهان ودلّته على طريق النجاة، ونطقت بالحق الذي أنطقني الله به؛ قال بشر «إني لعل بينة من ربي وما دعوت الناس إلا إلى سبيل الرشاد» وكذلك قال فرعون حين أنطق الله من وفقه لقول الحق، فقال عز وجل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ۖ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ ۖ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ

ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ [غافر: ٢٨-٢٩] فلما قال هذا المؤمن الحق الذي أنطق الله به لسانه وسدّد به قوله وسمعه فرعون وقومه؛ قال فرعون لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] وكذلك قال بشرٌ يا أمير المؤمنين حين سمعني أقول الحق الذي وفقني الله إليه وأنطق به لساني؛ فقال: «إني لعل بينة من ربي وما دعوت إلا إلى سبيل الرّشاد» فأجاب بمثل ما أجاب به فرعون عند سماع الحق، وأتبع سبيله وما عدل عنها، فبشر مرةً يتبع سبيل الشيطان ويأمر بما أمر به الشيطان، وقد قال الله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] ومرة يتبع سبيل اليهود في تحريف القرآن عن مواضعه، وقد قال الله عز وجل: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: ٥٢].

وقال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] ومثل هذا كثير؛ ومرة يتبع سبيل الكفار في التسوية بين الله وبين خلقه في خلق الأشياء، ومرة يتبع سبيل عبدة الأصنام في الحيدة عن الجواب، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥] ومرة يتبع سبيل فرعون والقول بمثل قوله، وقد قال الله عز وجل:

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧].

وقال عز وجل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقال عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاكم- إنما يتكلم ويخطب لئِنسي خصمه حُجَّتَه، ويشغله بغيرها، ولولا بسط أمير المؤمنين له؛ لم يقدر أن يدير لسانه في فيه، وكانت الحجة عليه ظاهرة.

ثم أقبل بشرٌ عليّ **وقال:** لو خطبتَ إلى غد؛ ما تركتُ مطالبتك بما قلت، فدع عنك الهذيان وأقبل عليّ.

**فقلت له:** يا بشر بعد نداء القرآن تهدم كل ما أسست وصاحه في سمعه<sup>[١]</sup>، وتكذب ما زخرفت، وتشير إلى الكلام، فإن كنت لا تستحي

[١] وردت هكذا في المخطوط.

من أمير المؤمنين، وقد وقعت من ذلك على ما قلت، فلا تستحي من الله تعالى وقد أبطل كفرك بكتابه وبكلامه.

أورد يا بشر ما شئت فعليّ الإصدار،<sup>(١)</sup> وتكلم بما شئت فإني مجيبك.

**فقال بشر:** تَعَبَدَ اللَّهُ الخلقَ أن يعرفوا المَوْصَلَ والمُفَصَّلَ! وما يَضُرُّ الخلقَ أن لا يعرفوا ذلك ولا يتعلموه؟

**فقال له المأمون:** قد رجَعْنَا إلى الكلام الأول!

**فقال بشر:** إنه أدهشني بكلامه وخُطِبِه عن تمام الكلام في هذا، وهو يتوهم أنه كسرَ قولي بهذا المَوْصَلَ والمُفَصَّلَ الذي لا يُحتاجُ إلى معرفته ولا يُطالبُ أحدٌ به.

**قال عبد العزيز:** فقلتُ لبشري: بل قد تَعَبَدَ اللَّهُ الخلقَ أن يعرفوا ذلك ويتعلموه لئلاَّ يَصِلُوا ما فَصَلَ اللَّهُ أو يفصلُوا ما وَصَلَ اللَّهُ.

**قال بشر:** وما الحُجَّةُ في ذلك والدليلُ على صدقِ قولك؟

(١) أي عليّ أن أرد ما تورده. والإصدار الإرجاع.

**قال عبد العزيز: فقلت له:** أما سمعتَ ما قرأتُ عليكِ من كتابِ الله وما تَلَوْتُ عليكِ من الآياتِ المُحْكَمَاتِ فيمن وَصَلَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَمَنْ قَطَعَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يَقْطَعَ، وما وَعَدَ اللهُ هؤلاءِ من حُسْنَى وَعُقْبَى الدارِ، وما تَوَعَّدَ اللهُ بِهِ هؤلاءِ من اللَّعْنَةِ والعذابِ وسوءِ الدارِ؟

**فقال بشر:** دَعْ ذَكَرَ ما مَضَى، فما لَكَ فيه حُجَّةٌ، واحتجَّ الساعةَ بشيءٍ أَفْهَمُهُ.

**قال عبد العزيز: فقلت له:** صدقتِ إِنَّكَ ما فهِمْتَ ما مَضَى، ولو فهِمْتَ ما قُلْتَ ما قُلْتَ، ولأَقْنَعَكَ بعضه.

وأقبلْتُ على المأمون **فقلتُ:** يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ في دُونِ ما قد مَضَى لَكُفَايَةً وَبَلَاغًا، وَلَكِنْ بَشَرًا يَزْعَمُ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا مِمَّا مَضَى، وَأَنَا أَتَكَلَّمُ في ذِكْرِ الْمُفْصَلِ وَالْمُوَصَّلِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَحْتَجُّ لِلْعَرَبِ في صَحَةِ لُغَاتِهَا وَمِزَاجِهَا في كَلَامِهَا وَخِطَابِهَا.

**فقال لي المأمون:** إِنْ كانَ بَشَرٌ لَمْ يَفْهَمْ ما مَضَى؛ فَكَذَلِكَ لَا يَفْهَمُ إِعَادَةَ ما يَأْتِي، فَدَعْ إِعَادَةَ شَيْءٍ قد مَضَى وَظَهَرَتْ لَكَ الْحُجَّةُ فِيهِ، فَإِنْ هَذَا وَقْتُ الصَّلَاةِ.

**[أَمثلة على الموصول]**

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تأذن لي أن أتكلّم بشيء لم أتكلّم به في هذا المعنى أقيم به الحُجّة على بشرٍ، وأرجو أن يستحسنه أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- من غير إطالة الكلام.

**فقال:** تكلّم وأوجز.

**قال عبد العزيز:** فأقبلت على بشرٍ **فقلت:** يا بشرُ قلت إن الله لم يتعبد الخلق بمعرفة شيء من غيره أو زاد فيه أو نقص منه كان كافراً؟

**قال بشر:** ما قلت هذا يا أمير المؤمنين، وهو ذا يدّعيه علي.

**فقلت له:** أخبرني عمّن قال: «إن الله عز وجل لم يتعبد الخلق بمعرفة شيء من غيره، أو زاد فيه أو نقص منه أو غيره عما هو عليه كان كافراً» فكان فاعل ذلك كله يكون صادقاً أو كاذباً؟

**فقال:** بل كاذباً، وأنا أقول: كل شيء إذا أزيّد فيه أو نُقص منه أو غيّر عما هو عليه فكان فاعل ذلك كافراً، إن الله تعبد الخلق بمعرفته وعلمه.

**فقلت له:** قد وافقتني وأجبت نفسك عني، وأقررت بما أنكرت.

**فقال لي بشر:** دع الكلام والتشبيه عنك وأقم الشاهد والدليل على ما

تقول.

**قال عبد العزيز فقلت له:** قال الله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] فأخبر الله أنه لا إله إلا هو وشهد بذلك لنفسه وشهدت الملائكة وأولو العلم بِمِثْلِ ذلك، فلو قال رجل: «شهد الله أنه لا إله» وقطع الكلام والصلة عَمِدًا؛ كان كافرًا حلال الدم لأنه زعم أن الله شهد أن لا إله، وشهدت له الملائكة وأولو العلم بذلك، ومن قال هذا عَمِدًا؛ كان كافرًا حلال الدم لأنه أعظم على الله الفرية، وأبطل الربوبية، وجحد أن يكون الله تعالى إلهًا، واستشهد الله وملائكته وأولي العلم على قوله، فإذا وصل الكلمة كما وصلها الله عز وجل فقال: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم» كان صادقًا وكان قد قال كما قال الله عز وجل وشهد به لنفسه وشهدت له به الملائكة وأولو العلم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكذلك كل ما في القرآن من التهليل<sup>(٢)</sup> وهو أربعون موضعًا فعلى هذا المعنى

[١] في المخطوط «وأولو» وهي خطأ لأنها منصوبة معطوفة على ما قبلها

(٢) التهليل: هو قول: لا إله إلا الله.

مِنْ فَصْلَهُ مِنْ صَلَاتِهِ وَزَادَ فِيهِ أَوْ نَقَصَ مِنْهُ؛ كَانَ كَافِرًا.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] فلو أَنَّ رجلاً قال: «إن الله لا يستحي» وقطع الكلام عامداً؛ كان كافراً لأنه زعم أن الله لا يستحي، ومن قال هذا فقد أعظم الفرية إذ أخبر عن الله أنه أخبر عن نفسه أنه لا يستحي فقد كفر وحل دمه بقوله هذا.

وكذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ أَحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فلو قال رجل: «والله لا يستحي» وقطع الصلة عامداً كان كافراً حلال الدم حتى يصل ما وصل الله في الحرفين<sup>(١)</sup> جميعاً فيقول في الأول: «أن يضرب مثلاً» ويقول في الآخر «من الحق» فيكون قد وصل ما وصل الله ولم يقطعه، وإن لم يصله كان كافراً حلال الدم.

وقال الله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] فلو قال رجل: «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها» وقطع الصلة عامداً، كان كافراً

(١) كلمة حرف تعني الوجه، وتطلق أحياناً على الكلمة أو العبارة.



حلال الدم لأنه زعم أن الله لا يعلم الغيب، ومن زعم هذا فقد ردَّ أخبار الله عز وجل، وردَّ قول الله عز وجل بشهادته لنفسه بعلم الغيب بأنه قال: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

وقال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ۖ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۖ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨] فمن قال «إن الله لا يعلم الغيب» فقد كفر وحل دمه، فإذا وصل ما وصل الله عز وجل ولم يقطعه فقال: «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» كان صادقًا، وكان قد قال ما قال الله عز وجل، ووصل ما وصل الله عز وجل، ومثل هذا في القرآن كثير.

قال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

### [أمثلة على المفصل]

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: استمعل باقي مسألتك.

فقال بشر: هاته.

**قال عبد العزيز:** وأما المُفَصَّلُ الذي لا يجوزُ صَلَتهُ؛ فقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ [النحل: ٦٠] هاهنا تمَّ الكلامُ، ثم يبتدئ القاري فيقول: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠] فلو قال رجلٌ «للذين لا يؤمنون بالآخرة مثلُ السَّوِّءِ والله» وقَطَعَ الكلامَ عامِداً؛ كان كافراً حلالَ الدِّمِّ لَأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ مَثَلُ السَّوِّءِ وشَبَّهَهُ - جل جلاله - بالذين لا يؤمنون بالآخرة، وأدخله معهم في المَثَلِ السَّوِّءِ - تعالى الله عن ذلك - فإذا فَصَلَ الكلامَ كما فَصَلَهُ اللهُ ولم يصله بما لم يصله اللهُ به، فقال: «للذين لا يؤمنون بالآخرة مثلُ السَّوِّءِ» وقطع الكلامَ كان صادقاً وكان قد وَقَفَ على تمام الكلام، وفَصَلَ ما فَصَلَ اللهُ عز وجل، ولم يصلْ ما فَصَلَ اللهُ.

**قال الله عز وجل:** ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ [التوبة: ٤٠] هاهنا تمَّ الكلامُ ثُمَّ يبتدئ القارئُ فيقرأ: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] فلو قال رجلٌ: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله» وقَطَعَ عامِداً؛ كان كافراً حلالَ الدِّمِّ لَأَنَّهُ قد أعظم الفرية على الله عز وجل، وزعم أن الله قد أخبر أنَّ كلمته سُفْلَى مع كلمة الذين كفروا، فشَبَّهَ اللهُ تعالى بالذين كفروا، فإذا فَصَلَ الكلامَ مِنَ الصَّلَةِ فقال: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى» وَوَقَفَ على ذلك، وقَطَعَ الصَّلَةَ؛ كان صادقاً، وكان فصل ما قد

## فصل الله.

قال عبد العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ فقال: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز، وقد أبلغت فلا تحتاج إلى زيادة.

ثم أقبل على بشرٍ فقال: يا بشرُ، هل عندك شيءٌ تحتاجُ تسأل عنه عبد العزيز أو تحبُّج عليه به، فقد ظهرت حُجته ووضح قوله عندنا.

## [استيعاب القرآن لمهمات الدين]

قال بشر: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- هذا يُريدُ نصَّ التنزيلِ بكل ما يتكلَّم به أو يلفظُ به، وليس كل ما يتكلَّم به الناسُ ويحتجُّون به يجدون به نصَّ التنزيلِ، وإنما يجدونه في التأويلِ والتفسيرِ، وهذا لا يقبلُ التأويلَ، ويُبطلُ التفسيرَ، حتى كأنه كان مُشاهدَ التنزيلِ، وهذا مالا أُسَوِّغُه أنا للمتناظرينَ، ولا أُطلقُه للمتكلِّمينَ، إذ كان الناسُ لا يجدونَ علمَ كل ما يختلفون فيه ويتنازعون من أمر دينهم في كتاب الله بنص التنزيلِ، ولو كان هذا كما يقولُ عبدُ العزيزِ لبطلَ التفسيرُ كُلُّه، وبقيَ الناسُ في حيرةٍ من أمر دينهم، والناسُ جميعًا يوافقوني على قولي ويُخالفون عبدَ العزيز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، كلُّ ما يتكلَّم به الناسُ من علم دينهم وما يختلفون فيه ويتنازعون فيه؛ فهو

موجودٌ في القرآن وفي غيره من كُتُبِهِ، لقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقوله: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٤-١٤٥] فأخبر الله عز وجل أنه ما فرط في الكتاب من شيء، يعني القرآن، وأخبر أنه كتب في الألواح لموسى من كل شيء، فليس من شيء يحتاج إليه-يا أمير المؤمنين- إلا وهو موجودٌ في القرآن، عقله من عقله، وجهله من جهله.

### [إنكارُ جهميٍّ علمَ الله تعالى ما سيكون]<sup>[١]</sup>

قال عبد العزيز: وكان خلفَ ظهري-وأنا في مجلس أمير المؤمنين المأمونِ أناظرُ بشرًا على ما قد ذكرته في هذا الكتاب- رجلٌ ممن يعرف بالكلام والنظر، فجعلَ كُلَّمَا سَكَتَ بشرٌ وانقطعَ عن الكلام؛ يُحرِّضُه على

[١] هذه الفقرة كانت في آخر الكتاب فأُتيَتْ بها إلى هنا لأنه موضع الكلام.

الكلام، وإذا أردتُ أنا أن أتكلم؛ لا يزال يهذي خَلْفِي ويُقَرِّبُ رَأْسَهُ مِنْ أُذُنِي لِيُسَمِعَنِي وَيُدْهِشَنِي وَيَقْطَعَنِي بِذَلِكَ عَنْ حُجَّتِي، فشكوتُ ذلك إلى المأمون فصاح به وباعده مِنِّي.

فَلَمَّا قُلْتُ لبشر: «ما من شيء كان أو هو كائن مما يحتاجُ الناس إلى معرفته وعلمه إلا وقد ذكره الله عز وجل في كتابه، عقله من عقله، وجهله من جهله» فإذا ذلك الرجل يضربُ يده على فَخِذِهِ **ويقول**: «يا سبحان الله تزعم أن كل ما هو كائن مما يحتاج إليه قد ذكره الله في كتابه؟! ما أعظمَ هذا! وكيف يعلمُ ما هو كائنٌ فيذكره؟»

**قال عبد العزيز**: فالتفتُ إليه **فقلت له**: أنت جَهْمِي قَدَرِي أيضًا، وأنت تهذي دائماً.

ثم أقبلتُ على المأمون **فقلت**: يا أمير المؤمنين-أطال الله بقاءك- إن هذا الذي شكوتُ إليك أذاه منذ اليوم؛ هو جَهْمِي قَدَرِي قد جَمَعَ الأمر من جهتين، يُنكَرُ أن يكونَ الله يعلمُ ما يكونُ قبل أن يكونَ.

**فقال المأمون**: هذا قوله.

**فقلت له**: إن رأى أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- أن يأذنَ لي حتَّى أُكْذِبَهُ وأُكْسِرَ قوله، وأدحضَ حجته، وأبطلَ مذهبه بنص التنزيلِ الساعة.

**فقال المأمون:** لهذا وقتٌ غيرُ هذا، تتكلمُ معه ومع غيره في القدرِ خاصة.

**قال عبد العزيز:** فقلتُ: يا أمير المؤمنين لست أطوّل، إنما أحتجُّ عليه بآيةٍ واحدةٍ من كتاب الله تعالى.

**فقال المأمون:** قل ما تريد.

**قال عبد العزيز:** فأقبلت عليه **فقلت له:** أتُنكرُ أن الله يعلم ما يكونُ قبل كون.

**قال:** نعم، أنا أنكرُ هذا.

**فقلتُ:** والله يا أمير المؤمنين، لقد عَلِمَ الله ما لم يكنْ ولا يكونُ أن لو كانَ كيف كانَ يكونُ.

**فصاح الرجل:** سبحان الله ما أجرأكَ على الكذبِ، الحمد لله الذي أخذكَ بلسانك.

**فقال المأمون:** أعد هذا الكلام يا عبد العزيز.

**فقلت له:** نعم والله لقد عَلِمَ الله ما لم يكنْ ولا يكونُ أن لو كان كيف كان يكون.

**فقال لي المأمون:** يا عبد العزيز، هذا شيءٌ تقولُهُ مِن نفسك أو شيءٌ تحكيهِ عن غيرك؟

**فقلت له:** هذا شيءٌ أخبر الله به في غير آية في كتابه الذي أنزله على نبيه ﷺ.

**فقال لي المأمون:** فأين ذلك من كتاب الله عز وجل؟

**قال عبد العزيز فقلت:** قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٢٨)</sup> بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٩﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨] فأخبر الله عنهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون في قولهم هذا.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ <sup>(٣٢)</sup> [الأنفال: ٢٣] فأخبر الله تعالى لو أسمعهم لتولوا وهم معرضون.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ <sup>(٧٦)</sup> [المؤمنون: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

[الحجر: ١٤-١٥].

وهذا ما لم يكن ولا يكون لأنهم لا يُردُّون، لا هم ولا غيرهم، فأخبر عز وجل بعلمه السابق فيهم أن لو ردُّوا ما كانوا فاعلين، ولن يُردُّوا أبداً، ولا يرحموا أبداً، ولا يسمعهم أبداً، ولا يفتح لهم باباً إلى السماء أبداً، فهذا ما لم يكن ولا يكون، فأخبر تعالى أن لو كان كيف كان يكون.

**فقال لي المأمون:** أحسنت أحسنت يا عبد العزيز، فما قلت في يومك هذا أحسن ولا أدق من هذا.

**فقلت:** قد أكذبتُ والله أهل هذه المقالة وكسرت قولهم، ودحضت حجَّتَهُم، وأبطلت مذهبهم بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.

**لفصل: احتجاج ابن الجهم بأقوال القرآن لم ينص على**

**خلق الحصور].**

قال عبد العزيز: فجئني محمد بن الجهم على ركبتيه وقال: يا عبد



العزیز، زعمت أن كل شيء يتكلم به الناس ويحتاجون إلى معرفته موجودٌ في كتابِ الله بنصّ التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير، فأوجدنا أن هذا الحَصِيرَ مخلوقٌ أو غير مخلوقٍ من كتابِ الله تعالى بنصّ التَّنْزِيلِ.

ووضع يده على حصير مدني<sup>[١]</sup> كان تحتنا مبسوطا في الإيوان.

**فقلت له:** نَعَمْ، عليّ أن أُوجِدَكَ ذلك.

**قال عبد العزيز:** فأقبلتُ عليه **فقلت له:** أخبرني عن هذا الحَصِيرِ، أليس هو من سَعَفِ النَّخْلِ وجُلودِ الأنعام؟

**قال:** بَلَى.<sup>(٢)</sup>

**قلتُ:** فَهَلْ فِيهِ شيءٌ غيرُ هذا؟

**قال:** لا.

**فقلت له:** هل هاهنا شيءٌ غيرُ هذا؟

[١] في الأصل هكذا، وفي المطبوع مري.

(٢) فائدة: إذا قيل «أليس كذا» فإن أجبتَ بالمُوافقة؛ فلا تقل: «نعم» فإنَّ هذا خطأ شائع، بل قل: «بلى»

قال: لا.

**فقلت له:** بل هاهنا شيءٌ به صارَ حَصِيرًا يُجْلَسُ عليه.

قال: فما هو؟

**قلت:** الإنسان الذي صَنَعَهُ وَأَلْفَهُ وَأَحْكَمَهُ.

قال: نعم.

**قال عبد العزيز:** **فقلت له:** قال الله عز وجل وقد ذكر الأنعام فقال:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:

٥] وأما السَعْفُ فَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَهُ فقال: ﴿أَنْتُمْ أَذْشَأُكُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ

الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧٢] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ

طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] فَقَدْ كَمَلَ خَلْقُ الْحَصِيرِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ بِلَا تَأْوِيلٍ وَلَا

تَفْسِيرٍ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِثْلُ هَذَا فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ تَذَكُّرُهُ وَتَحْتِجُّ بِهِ؟ وَإِلَّا فَقَدْ

بَطَلَ مَا تَدَّعَوْنَهُ فِي خَلْقِهِ، وَصَحَّ قَوْلِي أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَمْ يَزَلْ صَحِيحًا أَنَّ

الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ مَخْلُوقًا مِنْ كُلِّ جَهَةٍ.

قال **فصاح المأمون** بمحمد بن الجهم: مالك وللکلام؟ خلّ بين الرجل وبين صاحبه حتى يكلمه.

وأقبل على بشرٍ **فقال**: يا بشرُ، هل عندك شيءٌ تناظرُ به عبدَ العزيز قبل أن نصرِفَه ونقومَ، فقد طال المجلسُ وصُلِّيتِ الظهرُ.

### [فصلٌ: ردُّ شبهات بشر الكَلَامِيَّة]

**فقال بشر**: يا أمير المؤمنين، عندي أشياء كثيرة، إلا أنه يقول بنص التنزيل، وأنا أقول بالتَّظَرِ والقياس، فليدعْ مُطالبتي مناظرتي بنص التنزيل ويناطرنِي بغيره، فإن لم يدعْ قوله ويرجع عنه ويقول بقولي ويُقرَّ بحلْق القرآن الساعة فدمي حلال.

**فقال له المأمون**: لهذا مجلسٌ بعد هذا تتناظرون فيه.

**قال عبد العزيز** فقلت: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- إن رأيت أن تأذن لي فأناظرَه كما سأل على جِهَةِ النَّظَرِ والقياس، وأدعْ مطالبته بالقرآن ونص التنزيل، ويكون أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- الشاهد علينا والمُتَحَقِّظُ لكلامنا، فإن أقامَ بشرٌ عليَّ الحُجَّةَ كما زعمَ وأقررتُ بشيءٍ ممَّا قال أو رجعتُ عن شيءٍ مما قلتُ؛ فدمي حلالٌ كما قال بشر،

وإن ثَبَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ مِنَ الْقِيَاسِ وَالنَّظَرِ كَمَا ثَبَّتَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ وَشَهِدَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ؛ فَقَدْ حَلَّ دَمُهُ بِمَا شَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ.

**فَقَالَ الْمَأْمُونُ** أنا الشاهدُ عليكما والحكمُ بينكما، فأوجِزَا واقصِرا ولا تُطِيلَا فيخرجُ وقتُ الصَّلَاةِ.

**قال عبد العزيز لبشرٍ:** أتسألني أم أسألك؟

**فقال:** سَلْ أَنْتَ.

**[قال عبد العزيز:]** وطَمَعَ فِيَّ هُوَ وَجَمِيعُ أَصْحَابِهِ، وَتَوَهُمُوا أَنِي إِذَا خَرَجْتُ عَنِ التَّنْزِيلِ؛ لَمْ أَحْسَنْ أَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ غَيْرِهِ.<sup>(١)</sup>

---

(١) وهذا حال الزنادقة المتكلمين، إذا لم يجاريهم السُّنِّيُّ بشيءٍ من أصولهم ومُصطلحاتهم المبتدعة؛ ظنوا ذلك جهلاً منه بها. وإن الأصل أن لا يُؤافَقُونَ ولا يُجَارُونَ عليها، ويُقَرَّعُونَ وَيُبْكَتُونَ بالوحي والآثار كما فعل عبدُ العزيز -طَيَّبَ اللهُ ثَرَاهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ- فإن موافقتهم عليها، ومجاراتهم عليها فيها نوع من القبولِ بها، والإقرارِ لها، والرَّضَى بِهَا فِي الظَّاهِرِ، فَإِنَّ الْأَصْلَ أَنْ تُنْكَرَ عَلَيْهِمْ، وَتُرَدُّ بِوَجْهِهِمْ، وَيَقَالَ لَهُمْ إِنَّهَا بَاطِلٌ، وَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَلُوكُ الْبَاطِلَ، وَأَمَّا رَضَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بِهَا الْآنَ فَقَدْ كَانَ بَعْدَ أَنْ بَكَّتْهُمْ بِنُصُوصِ الْوَحْيِ، وَأَقْرَأُوا لَهُ بِعِزِّهِمْ عَنِ الْحُجَّةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَبْطُلَ حُجَّتُهُمْ بِسِفْهِمُ الَّذِي هُوَ الرَّأْيُ وَالْقِيَاسُ، وَذَلِكَ لِيُظْهَرَ عِزَّهُمْ وَخَوَرُهُمْ حَتَّى فِي الْعَقْلِيَّاتِ، وَلَأَنَّ الْمَأْمُونَ وَحَاشِيَتَهُ مِتَّائِرُونَ بِهِمْ وَبِكَلَامِهِمْ، وَهَذِهِ مِنْهُ مَخَاطَرَةٌ لِأَمْرَيْنِ: الْأَوَّلُ: إِنَّهُ لَوْ كَسَرُوهُ بِحُجَّةٍ فِلْسَفِيَّةٍ بَاطِلَةٍ

**قال عبد العزيز: فقلتُ:** يا بشر تَقُولُ إن كلام الله مخلوق؟

**فقال بشر:** أنا أقول إن القرآن مخلوقٌ.

**قال عبد العزيز فقلت له:** يلزمك واحدة من ثلاثٍ: لا بُدَّ منها:

أن تقولَ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْقُرْآنَ -وهو عِنْدِي أنا كلامُهُ-<sup>(١)</sup> في نَفْسِهِ.

أو خَلَقَهُ في غَيْرِهِ.

أو خلقه قائمًا بِذَاتِهِ وَنَفْسِهِ.

وغير معتبرة شرعاً؛ فإنَّه لا يستطيع أن يخرجَ مِنْهَا بقوله إن أصل الاحتجاج بالأدلة الفلسفية باطل بعد أن رضي محاجتهم فيه. والثاني: قدرتهم على الإنيان بمجديّات جديدة لاحقاً، ولا نهاية لذلك، وهذا يجعل لهم حجة بها وكلما زادوا جدلاً، احتاج أهل السنة إلى الإغراق معهم أكثر في جدلهم هذا، وأما الوحي فليس لهم قدرة على أن يأتوا بمجديد فيه. وترى أن أحمد ابن تيمية حاربَ الجهميّة بسيفهم الفلسفي، وكسّر حججهم بأصولهم، فجعل بعض المنتسبين لأهل السنة هذه المصطلحات التي جاراها بها: سُنّة، وجعل بعضُ الأغبياء عِلْمَ الكلام علماً حسناً لأن ابن تيمية كان عالماً به واستخدمه بالرّدّ عليهم، ولم يفهموا أن ذلك كان بمثابة أكل الميتة.

(١) أي عند عبد العزيز، فقد أكد على ذلك لكيلا يفهم غيبي أنه حينما قال «خلق القرآن» فإنَّه أقر بخلقه.

فقل ما عندك.

**قال بشر:** أقول إنه مخلوق وإنه خلقه كما خلق الأشياء كلها.

**قال عبد العزيز:** فقلت: يا أمير المؤمنين، تركنا القرآن والسُنَنَ والأخبارَ عند هروبه منها، وناظرناه بالقياس والكلام لِمَا ادَّعَاهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ يُقِيمُ الْحُجَّةَ عَلَيَّ بِهَا، فطمع أني أَقِرُّ مَعَهُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَقَدْ رَجَعَ بَشَرٌ إِلَى الْحَيْدَةِ عَنِ الْجَوَابِ وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ، فَإِنْ كَانَ بَشَرٌ يَرِيدُ أَنْ يَنَظُرَنِي عَلَى أَنَّهُ يَجِيبُنِي عَمَّا أَسْأَلُهُ عَنْهُ، وَإِلَّا فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى عَيْنًا فِي مَا يَرَاهُ فِي إِصْرَانِي، فَإِنَّمَا يَرِيدُ بَشَرٌ أَنْ يَقَعَ مَعَهُ مَنْ لَا يَفْهَمُ فَيَخْدَعُهُ عَنْ دِينِهِ، وَيَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِمَا لَا يَعْقِلُهُ فَتَظْهَرُ حُجَّتُهُ عَلَيْهِ فَيُبَيِّحُ دَمَهُ بِذَلِكَ.

قال عبد العزيز: فأقبل عليه المأمون **فقال:** أجب عبد العزيز عما سألك، فقد ترك قوله ومذهبه وناظرك على مذهبك وما ادَّعَيْتَ أَنَّكَ تُحْسِنُهُ وَتُقِيمُ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَيْهِ.

**فقال بشر:** قد أجبتُه ولكنَّه يَتَعَنَّتْ.

**فقال له المأمون:** يأبى عليك عبدُ العزيز إلا أن تقولَ واحدةً من

ثلاثٍ.

**فقال:** هذا شرٌّ من مُطالبته لي بنص التنزيل، وما عندي غير ما أجبته به.

قال عبد العزيز: فأقبل عليّ المأمونُ **فقال:** يا عبد العزيز، تكلم أنت في شرح هذه المسألة وبيانها، ودع بشرًا فقد انقطع عن الجواب من كلِّ جهةٍ.

**فقلت:** نعم يا أمير المؤمنين، سألتُه عن كلام الله عزَّ وجلَّ مخلوق هو؟ قال: «نعم» فقلت: يلزمه في هذا القولِ واحدة من ثلاثٍ لا بد منها:

إما أن يقول: إن الله خلق كلامه في نفسه.

أو خلقه في غيره.

أو خلقه قائما بذاته.

فإن قال «إن الله خلق كلامه في نفسه» فهذا مُحالٌ لا يجدُ السَّبِيلَ إلى القولِ به من قياسٍ ولا نظيرٍ ولا معقولٍ، لأن الله عزَّ وجلَّ لا يكون مكانًا للحوادثِ،<sup>(١)</sup> ولا يكون فيه شيءٌ مخلوقٌ، ولا يكون ناقصًا فيزيده

(١) الحوادث في لغة أهل الكلام: أي المخلوقات.

فيه شيء إذا خلقه، تعالى الله عن ذلك وجل وتعظم.

وإن قال: «خلقهُ في غيره» فيلزمه في النَّظَرِ والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلام الله عز وجل، ولا يقدر أن يُفَرَّقَ بينهما، فيجعل الشَّعرَ كلامًا لله، ويجعل قول الزور كلامًا لله، ويجعل الكُفْرَ والفُحْشَ وكلَّ قولٍ ذمُّه الله وذمَّ قائله؛ كلامًا لله عز وجل، وهذا مُحَالٌ لا يجدُ السبيلَ إليه ولا إلى القولِ به لظهورِ الشناعةِ والفَضِيحةِ والكفرِ على قائله، تعالى الله عن ذلك.

وإن قال: «خلقهُ قائما بنفسه وذاته» فهذا هو المُحَالُ الباطلُ الذي لا يجدُ إلى القولِ به سبيلاً في قياسٍ ولا نَظَرٍ ولا مَعْقُولٍ، لأنه لا يكونُ الكلامُ إلا مِنْ مُتَكَلِّمٍ<sup>(١)</sup> كما لا تكونُ الإرادةُ إلا مِنْ مُرِيدٍ، ولا العِلْمُ إلا مِنْ عَالِمٍ، ولا القُدرةُ إلا مِنْ قَادِرٍ، ولا رُئيٌّ ولا يُرى كلامٌ قَطُّ قائماً بِنَفْسِهِ يَتَكَلَّمُ بِذَاتِهِ، وهذا ما لا يُعْقَلُ ولا يُعْرَفُ، ولا يَثْبُتُ في نَظَرٍ ولا في قِيَّاسٍ ولا غَيْرِ ذَلِكَ، فلما استحالَ مِنْ هذه الجِهَاتِ الثلاث أن يكونَ مخلوقاً؛

---

(١) وهُنَا قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ: اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ أَمْوَاجًا صَوْتِيَّةً فِي الْهَوَاءِ تَكُونُ كَلَامًا يَسْمَعُهُ النَّاسُ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا يَسْمَى صَوْتًا لَا كَلَامًا، وَلِهَذَا يَقُولُ الشَّيْخُ: لَا يَكُونُ الْكَلَامُ إِلَّا مِنْ مُتَكَلِّمٍ.



ثَبَّتَ أَنَّهُ صِفَةٌ لِلَّهِ، وَصِفَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، فَبَطَلَ قَوْلُ  
بَشَرٍ- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ- مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ، كَمَا بَطَلَ مِنْ جِهَةِ الْقُرْآنِ وَالتَّنْزِيلِ.

**فقال المأمون:** أحسنت يا عبد العزيز.

**فقال:** سَلْ عَنْ غَيْرِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَلَعَلَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا شَيْءٌ.

**فقلت:** نَعَمْ، أَنَا أَدْعِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، وَأَسْأَلُ عَنْ غَيْرِهَا.

**فقال:** سَلْ.

**قال عبد العزيز:** **فقلت** لِبَشَرٍ: تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَا شَيْءَ، وَكَانَ  
وَلَمَّا<sup>(١)</sup> يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَمَّا يَخْلُقُ شَيْئًا؟

**قال:** بَلَى.

**فقلت له:** بِأَيِّ شَيْءٍ حَدَّثْتَ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ؟ أَهِيَ أَحَدَثَتْ  
نَفْسَهَا أَمْ اللَّهُ أَحَدَثَهَا؟

**قال:** بَلِ اللَّهُ أَحَدَثَهَا.

(١) كلمة «لَمَّا» بمعنى «لَم» مع فرق يسير، وهو أن «لَمَّا» تفيد أن ذلك الفعل المنفي سيقع بعد ذلك.

**فقلت له:** فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَحَدْتُهَا؟

**قال:** أَحَدْتُهَا بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ<sup>(١)</sup>.

**قلت له:** صَدَقْتَ، أَنْ اللَّهَ أَحَدْتُهَا بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ.

**قلت:** أَفَلَيْسَ تَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ قَادِرًا؟

**قال:** بلى.

**قلت له:** أَفَتَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ؟

**قال:** لَا أَقُولُ هَذَا.

(١) معنى ((لم تزل)) بلغة أهل الكلام: أي هي صفة لله تعالى لا أوَّل لها، فهو متصف بها بدون بداية لذلك. تنبيه: وجوابُ بِشَيْءٍ هذا حَرَفُ مَسَارٍ احتجاج عبد العزيز - رحمه الله - إذ أن الحجة كانت ستكون بأن يسأله: ((بأي شيء خلق الخلق)) فيكون الجواب: بقوله: «كن» فيقول عبد العزيز: «فهذا إقرار بأن قوله (كن) غير مخلوق، فكلامه غير مخلوق» لكن يبدو أن بشرًا منتبه إلى هذه المسألة، فأجاب بهذا الجواب، إلا أن عبد العزيز - رفع الله منزلته - عَرَفَ كيف يرد عليه، وهذا ما يجب أن ينتبه إليه المناظر، أن لا يظن أنَّ الأمر سهل، فإذا حفظ حجة؛ ظن نفسه قادرًا على المناظرة بها، فإن لم يكن ذكيًا وسريع البديهة بحيث إنَّه يقدر على مُجَاراة خصمه حيث ذهب؛ فإنه لا يُناظر.

**قلتُ له:** فلا بدَّ مِنْ أن يلزَمَكَ أن تقولَ: إنه خَلَقَ بالفعلِ الذي كَانَ عَنِ القُدْرَةِ، وليسَ الفعلُ هُوَ القُدْرَةُ، لأنَّ القُدْرَةَ صِفَةُ اللَّهِ تعالى، ولا يُقَالُ لَصِفَةِ اللَّهِ هي اللَّهُ، ولا هي غيرُ اللَّهِ.

**فقال بشر:** ويلزُمُك أيضًا أن تقولَ: إن الله لم يزل يفعلُ ويخلقُ؟<sup>(١)</sup> وإذا قُلْتَ ذلكَ فقد ثَبَّتَ أن المخلوقَ لم يزل مع الله عز وجل.

**قال عبد العزيز:** فقلتُ له: ليسَ لك أن تحكُمَ عَلَيَّ وتُلزِمَنِي ما لا يَلزِمُنِي، وتحكي عني ما لم أَقُلْ، إني لم أَقُلْ إنه لم يزل الخالقُ يخلقُ ولم يزل الفاعلُ يفعلُ؛ فيلزمُنِي ما قلتُ، وإنما قُلْتُ: إنه لم يزل الفاعِلُ سَيَفْعَلُ، ولم يَزَلِ الخالقُ سَيَخْلُقُ، لأنَّ الفعلَ صِفَةُ اللَّهِ يَقْدِرُ عليه ولا يمنعه مِنْهُ مَانِعٌ.<sup>(٢)</sup>

(١) أي في الماضي بدون بداية.

(٢) وجه الحجة هنا أن الله تعالى إذا كان لم يخلق ثم خلق، فإن هذا لا يعني أنه اكتسب صفة جديدة وهي الخلق، فصفته هذه غير مخلوقة، وفعله الذي هو فعلُ الخلق حينَ خَلَقَ لم يكن ذلكَ الفعلُ مِنْهُ مخلوقًا، وكذلك فإنه إذا تكَلَّمَ بكَلَامٍ حينَ تكَلَّمَ فَإِنَّ كلامه غيرُ مخلوق. وأصل الجهمية الكبير أنهم يقولون إن كل ما كان بعد أن لم يكن فَإِنَّهُ مخلوق، وعلى هذا فإنهم قالوا إن القرآن مخلوق، وعندما ألزمهم أتباع الأنبياء بلوازم، كقولنا لهم: قال الله ﴿لقد سمع الله قول التي تجادلك

**قال بشر:** أنا أقول إنه أحدث الأشياء بِقُدْرَتِهِ، فقل أنت ما شئت.

**قال عبد العزيز:** فقلت: يا أمير المؤمنين، قد أقرب بشر إن الله كان ولا شيء معه، وأنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن شيئاً بِقُدْرَتِهِ، وقلت أنا إنه أحدثها بِأَمْرِهِ، وقوله عَن قُدْرَتِهِ، فلن يخل - يا أمير المؤمنين - أن يكونَ أَوَّلَ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللهُ تعالى بقولِ قاله، أو بِإِرَادَةٍ أَرَادَهَا، أو بِقُدْرَةٍ قَدَرَهَا، فأني ذلكَ كان فَقَدْ ثَبَتَ أن هاهنا إرادةٌ ومُريدًا ومُرادًا، وقولًا وقائلًا ومَقولًا، وقُدْرَةٌ وقَادِرًا ومَقْدورًا عليه، وذلكَ كُلُّهُ مُتَقَدِّمٌ قَبْلَ الخَلْقِ، ومَا كَانَ قَبْلَ متقدمًا فليسَ هو مِنَ الخَلْقِ في شيءٍ.

**قال عبد العزيز:** ثم قلت: يا بشر، من ادعى للعلم ولم يحوه فحظه منه الجهل.

في زوجها ﴿أَسَمِعَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا؟ قَالُوا «نَعَمْ» قُلْنَا وَقَوْلُهُ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا﴾ أقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ قَبْلِ﴾ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ؟ فَقَالُوا «نَعَمْ»! كُلُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَوْ أَقْرَأُوا أَنَّ اللَّهَ فَعَلَ فعلا لم يكن فعله من قبل؛ فهذا دليل عندهم أَنَّ اللَّهَ مخلوق! وهذا الذي علمتهم إياه الفلاسفة وضحكوا عليهم به، فوالله لو أَنَّهُمْ تعلموا أصوات البهائم لكان خيرا لهم من أن يتعلموا هذه الفلسفة التي ظنوها علما، فأخرجتهم مِنَ الدين. وسيحتج عليهم عبد العزيز الآن بآثِهِ إِذَا لم يكن فعله الذي فعله بِقُدْرَتِهِ مخلوق؛ فكلامه الذي تكلم به بِقُدْرَتِهِ غير مخلوق أيضا.

كَسَرْتُ وَاللَّهِ - يا أمير المؤمنين - قَوْلَ بَشْرٍ، وَدَحَضْتُ حُجَّتَهُ بِإِقْرَارِهِ  
بِلِسَانِهِ، فَقَدْ كَسَرْتُ قَوْلَهُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالنَّظَرِ وَالْمَعْقُولِ،  
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِيَاسُ، وَأَنَا أَكْسِرُهُ بِالْقِيَاسِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

### افصل: كسر قولهم بالقياس

**قال عبد العزيز:** وكان المأمون قد جلس منّا مقعد الحاكم من  
الخصمين، فقال المأمون: هاته يا عبد العزيز في القياس وأوجزه.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، لو كان لبشر غلامان، وأنا لا أجد علمهما  
من أحدٍ من الناس إلا من بشر. يُقال لأحدهما: خالدٌ، وللآخر: يزيدٌ، وكان  
بشرٌ غائباً عني، فكتب إليّ ثمانية عشر كتاباً يقول في كلّ كتابٍ منها:  
«ادفع إلى خالدٍ غلامي هذا الكتاب» وكتبَ إليّ أربعة وخمسين كتاباً يقول  
في كلّ كتابٍ منها: «ادفع إلى يزيدٍ - ولم يقل: (غلامي) - هذا الكتاب»، ثم  
كتب إليّ كتاباً جمعهما فيه فقال: «ادفع إلى خالدٍ غلامي، وإلى يزيدٍ هذا  
الكتاب» ولم يقل: «يزيد غلامي» ثم قدّم بشرٌ من سفره، فقال لي: «أليس  
تعلم أن يزيداً هذا غلامي؟» فقلت له: «قد كتبتَ إليّ أربعة وخمسين كتاباً  
تقول في كلّ كتابٍ منها «ادفع هذا الكتاب إلى يزيد» ولم تقل «غلامي» ولم  
أسمعك تقول إنه أحدُ غلاميك، وأنا فلم أجد علمه عن أحدٍ غيرك،

وكتبت إلي ثمانية عشر كتابا تقول في كل واحد منها: (ادفع إلى خالدٍ غلامي هذا الكتاب) فعلمتُ أنه غلامُك، ثم كتبت إلي كتابا جمعتهما فيه فقلت: «ادفع إلى خالدٍ غلامي هذا الكتاب، وإلى يزيد» ولم تقل: «غلامي» فَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ أَنَّ يَزِيدًا غلامُك وأنت لم تَقُلْ لي قَبْلَ هذا الوقتِ إنه غلامُك فمن أين أَعْلَمُ خبرَهُما مِنْ غيرك؟ فقال: بشر «فَرَطْتُ»<sup>(١)</sup> فحلفتُ أنا أنْ بِشْرًا فَرَطَ. وحلفَ بِشْرٌ أَنِي أنا فَرَطْتُ حيثُ لم أَعْلَمُ أَنَّ يَزِيدًا غلامُهُ مِنْ كُتْبِهِ، فَأَيْنَا الْمُفَرِّطُ يا أمير المؤمنين؟

**فقال المأمون:** بِشْرٌ والله هو الْمُفَرِّطُ.

**فقال بشر:** وأيُّ شيءٍ هذا مما نحن فيه؟

**قال عبد العزيز:** إن الله أخبر في كتابه عن خَلْقِ الإنسانِ في ثمانية عشر موضعًا، ما ذَكَرَهُ في موضع منها إلا أَخْبَرَ عَن خَلْقِهِ.

**قال عبد العزيز:** إن الله أخبر في كتابه عن خَلْقِ الإنسانِ في ثمانية عشر موضعًا، ما ذَكَرَهُ في موضع منها إلا أَخْبَرَ عَن خَلْقِهِ.

(١) قَصَّرْتُ في كونه لم تعطه ليزيد.

ثم جَمَعَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِنْسَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَأَخْبَرَ عَنِ خَلْقِ  
 الْإِنْسَانِ، وَنَفَى الْخَلْقَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ  
 الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١-٣] ففَرَّقَ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ الْإِنْسَانِ فِي  
 مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، فَزَعَمَ بَشَرِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَّطَ فِي الْكِتَابِ،  
 وَكَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُخْبِرَ عَنِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا  
 فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فهذا كسر قول بشرٍ بالقياس.

**فقال المأمون:** أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، فحَمَلْتُ بَيْنَ يَدَيَّ وَاَنْصَرَفْتُ مِنْ  
 مَجْلِسِهِ عَلَى أَجْمَلِ حَالٍ وَأَحْسَنُهَا، قَدْ أَعَزَّ اللَّهُ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَعَزَّ أَهْلَهُ،  
 وَأَذَلَّ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ فَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى نِعَمِهِ كُلِّهَا، وَعَلَى مَنْهُ وَتَوْفِيقِهِ  
 وَتَسْدِيدِهِ.

## لما جرى له بعض المناظرة

**قال عبد العزيز:** فسّر المسلمون جميعاً بما وهبهم الله من إظهار الحقّ وقمع الباطل، وانكشف عن قلوبهم ما كان قد اكتنفها من الغمّ والهَمّ والحزن، وجعل الناس يجيئون إليّ أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفاً على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا، فقالوا: لا بدّ أن تُملّي علينا ما جرى لنعرفه ونتعلّمه، فنهيت عن ذلك، وتخوّفت سوء عاقبته، فلمّا ألحوا عليّ؛ قلتُ: أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يكون عليّ حجة في ذكره؛<sup>(١)</sup> فرضوا بذلك، فأملتُ عليهم أوراقاً يسيرة مقدار عشر أوراقٍ مختصرة ممّا جرى لأقطعهم بها عني وعن مُلازمة بابي، ولم يتهيأ لي شرح هذا كلّهُ لِمَا تخوّفتُ على نفسي مما يلحقني بعضه، وأنا أذكر ما لحقني بعد هذا المجلس وما جرى عليّ بسبب تلك الأوراق التي كتبها الناس عني في كتابٍ مُفردٍ بعد هذا إن شاء الله تعالى.<sup>(٢)</sup>

(١) مما لا يُغضب عليّ الأمير فيؤذيّني.

(٢) هنا كلام جعلته في فصل [إنكار جهمي علم الله].



والحمد لله وحده

وصلواته على محمد نبيه

وآله وصحبه.

## الكتاب الثاني

### من الحيدة والإعتذار

[تحريض الجهمية المأمون على عبد العزيز]

[قال عبد العزيز:] [وها أنا أذكر ما جري لي بعد هذا المقام مما تطيش فيه الأحلام وينقطع الكلام، وبالله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله وحده.]

قال عبد العزيز بن يحيى الكناني:

ثم انصرفت من مجلس أمير المؤمنين المأمون في اليوم الذي جري بيني وبين مجلس بشر بن غياث المريسي ما جري في القرآن وما أظهر الله تعالى من كسر قوله ودحض حجته وبطلان مذهبه، ووقف أمير المؤمنين وسائر الأولياء وأهل الفقه والقرآن وأصحاب الحديث ومن بحضرة مدينة

السلام<sup>(١)</sup> من سائر الناس على ذلك، وما أعز الله به الإسلام وأهله وأذل الكفر وأهله وجميع أهل الضلالة والرذی والدعاة إلى مخالفة الإسلام ونقض أخبار القرآن والتشبيه على عباد الله تعالى، فقويت قلوب المؤمنين، وظهر سرورهم، وعلا الحق وظهر به القول، وامتحق الباطل وأخفي به الصوت، وكبت الله عز وجل أعداءه.

قال عبد العزيز: وصار إلي جماعة من الإخوان والشركاء في الدين فسألوني أن أُملي عليهم ما جري بيني وبين بشر المَريسي، ليتعلموه ويتعارفوه ويُشيعوه ويكتبوا به إلى الأمصار، فدفعتهم عن ذلك، وأعلمتهم ما عليّ فيه = وما أتحوفه على نفسي من أمير المؤمنين إن بلغه ذلك، وأعلمتهم أن عامة من بحضرته قد اغتم بما جري من إعزاز الله لدينه وتسديده إياي وتوفيقه لي، وما انصرفت عليه من جميل الحال، وإنهم لا يدعون التسبب إليّ بمكروه بكل ما يجدون السبيل إليه، وإن هذا مما يتهياً لهم به كل شيء، يرونه من التشنيع والإغراء بي = فدفعتهم عن ذلك فأبوا عليّ، وقالوا: «هذا مما لا يحل كتمانُه ولا سترُه، إذ كان الخلق في حيرة لا يعرفون ما الحجة فيما هم مُتمسكون به من الحق، ولا كسر

(١) يعني: بغداد.

أهل الباطل والضلال ودحض حجتهم» وأكثروا عليّ ولم يدعوني حتى أملت عليهم بعض ما جرى بيني وبين بشرٍ وحذفت أكثر المجلس وعامة الكلام، واقتصرت على بعض ذلك ليقّل التشنيع عليّ، وكتبه عني خلق كثير، وكتبه قوم عن قوم، وشاع وذاع وكثر في أيدي الناس، وكتب به إلى سائر البلدان والأمصار، وظهر القول به، واتصلت بهم الأخيار،<sup>(١)</sup> فشق ذلك على بشر المريسي وأصحابه وسائر من يقول بقوله ويعتقد مذهبهم، وغلظ عليهم وعظم عندهم ما ظهر للناس من كسر قولهم ودحض حجتهم وفضيحة مذهبهم، فاجتمعوا عليّ وتأمرؤا وتشاوروا فيما قد نزل بهم، فاجتمع رأيهم على إعلام أمير المؤمنين وإغرائه<sup>(٢)</sup> بي، واستعدوا ليوم مجلسه الذي يجلس فيه في بيت الحكمة = وكان له مجلس في كل جمعة يجتمع فيه أهل الحديث والفقه والعربية، وأهل النظر وأصحاب الكلام، ويقعد المأمون من رواء السّتر بحيث يسمع كلامهم ومناظرتهم لبعضهم البعض، ولا يخفى عليه منها شيء = فاجتمعوا جميعاً على رأي واحد، فلما تكامل بهم المجلس وقعد أمير المؤمنين حيث كان يقعد؛ أمرهم الخادم

---

(١) أي وصل إليهم.

(٢) الإغراء هو التحريش والاستعداد.

بالكلام حسبما كان يفعل قبل ذلك اليوم، فقالوا جميعاً: «يا أمير المؤمنين - أطل الله بقاءك- لم يبقَ فينا للكلام موضعٌ لِمَا قد لحقنا في أنفسنا من المَكروه والذُّلّ وتوثُّبِ العامة علينا وندائهم علينا في المساجد والأسواق والمواضع والطرق، وقد ضاق هذا البلد مع سعته علينا.

فقال لهم المأمون: وممّ ذلك؟

فقالوا له: يا أمير المؤمنين، مما يفعل ذلك الجاهل عبدُ العزيز المكي، فإنه خرج من مجلس أمير المؤمنين -أطل الله بقاءه- واجتمع عليه العوام والغوغاء واللَّفيفُ، فأملى عليهم ما جري في مجلس أمير المؤمنين، وزاد عليه مثليه مما لم يكن، ولم يزل يتجملّ عندهم ويتسوّق ويقول بين كلّ كلمتين: «قال لي المأمون» و«قلت للمأمون» و«قال لي بشر» و«قلت لبشر» ولا يفرق بين أمير المؤمنين وبين غيره بدعاء لأمر المؤمنين، ولا يذكر الخلافة وجلالتها ولا يذكر اللقب،<sup>(١)</sup> فأزال هيبة أمير المؤمنين من قلوب الرعيّة وأغراهم بسائر أوليائه وخدمه وحشمه، وجميع أهل النظر من

(١) يريدون أن يحرّضوه عليه بأن يقولوا إن عبد العزيز يتكلّم عن المأمون كما يتكلم عن عامة الناس، فلا قول عنه «أمير المؤمنين» أو «الخليفة». وهذه عادة أهل الباطل في استعداد السلاطين على أهل الحق.

أوليائه وعبيده، وأمرهم أن يشيعوا ذلك ويذيعوه ويكتبوا به إلى سائر الأمصار، ووضع لنفسه كتابًا ترجمه<sup>(١)</sup> «كتاب الحيدة» وأقعد جماعة من الوراقين في مسجده فنسخوه للناس نُسخًا.

ولم يزالوا يُكثرون عليه ويغلظون بقلبه ويُعظمون الأمر عنده حتى أغاظه ذلك، فأمر بعض الخدم بإحضاري، فجاءني الخادم ومعه جماعة، وقد كنتُ قبل ذلك استترت في بيتي، وأغلقتُ بابي ومنعتُ الناس من المجيء إليّ، فلم يوافق مجيئه أحداً على بابي ولا في مسجدي، فدق علي بابي، فأعلمت بمكانه فخرجت إليه مسرعًا، فقال: «أجب أمير المؤمنين» **فقلت:** «السمع والطاعة لأمر المؤمنين» وكنتُ مُترقبا لذلك ومتخوفاً منها، فركبت معه فصرْتُ إلى دار أمير المؤمنين، فأدخلني وقد جلس أمير المؤمنين وهم بحضرته في بيت الحكمة، فلما رأيته أنكرت وجهه وعلمتُ أنه مُغضبٌ.

---

(١) ترجمه: أي سَمَّاه.

## استجواب المأمون لعبد العزيز

فلما صرْتُ بين يديه أقبل علي **وقال**: يا عبد العزيز، تُخرجُ خبري، وتحدّثُ عَمَّا كان في مجلسي، وتَتَفَكَّهُ بِذكري، وتقول: «قال لي المأمون» و«قلتُ للمأمون»<sup>(١)</sup> وتزيدُ في القولِ عليّ، وتضعُ الكُتُبَ، وتجمَعُ العوام وتغريهم بأوليائي،<sup>(٢)</sup> وتكفرهم وتذكر كسرَ قولِهِم وبُطلانَ مذهبِهِم، وإنما كان ذلك لِمَا أظهرتُهُ من تقريبيكَ وإيناسِكَ وتصديقِكَ وتخييرِ كلامِكَ ومنعِ المناظرين من إقامة الحجة عليك، وإنما جرى الكلامُ في جزء من أجزاء كثيرةٍ مما عندهُم، ومما يقولونُ إنهم يكسرونَ به قولكَ ويدحضونَ به حجَّتكَ، [ولو عدلتُ عَمَّا ظهر لك مني لَمَّا انطلقَ لسائِكَ] [٣] ولا انشرح صدركُ وَلَتَدْعُدَعُ<sup>(٤)</sup> ما في قلبِكَ، وَلَوْ قَرَّ في قلبِكَ من الرِّيبَةِ ما يُنسيكَ حُجَّتَكَ ويذهب بفهمِكَ، ولكني بسطْتُ لك حتى أُنِسْتَ إلى بَسْطِي، وقويت على خصمِكَ بَعْدِي ودَقَّةِ فَهْمي ومعرفتي بلُغَةِ قَومي، فضربتُ

(١) أي تتكلم عن الأمير وكأنك صاحبه.

(٢) أي: تحرضهم على جلسائي كثيرٍ وأمثاله.

[٣] الكلام في المخطوط غير مفهوم.

(٤) الدعدة: تحريك الإناء وهزُّه لكي يرسخ ما في داخله فيه وينضغط.

خصمك بسيفي، وظهرت عليه بظهور إقبالي عليك، أفكان هذا جزاءً منك  
بجميل فعلي، أم كُفراًاً لنعمتي، أم جراءةً منك على عُقوبتي، أم اغتراراً  
منك بتقديم حلمي وصفحي عما كان من عظيم زلتك الأولى من قِيامِك في  
المسجد الجامع والقول بخلاف مذهبي؟

**فقلت:** يا أمير المؤمنين أطل الله بقاءك، شأني أصغر من هذا، وأنا  
بنفسي أحقر من أن أتعرض لمخالفة أمير المؤمنين والخروج عن أمره  
ونهيهِ.

وإنَّ الله تعالى -وله الحمد- اختار الخفاءَ لِخَلْقِهِ وإِقامة دينه والذَّبَّ  
عن محارمه والاتباع لأمره والاجتناب لنهيهِ، والأمرِ بالمعروف والنهي عن  
المنكر، وَوَصَفَهُمْ في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ بأحسن صفة، وأثنى  
عليهم بأجمل الثناء، وخصهم بأكرم الأخلاق وأظهرها وأشرفها وأرفعها،  
فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ  
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:

[٥٥]

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ



وَعَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٣٩﴾ [الحج: ٤١] فأخبر جل ذكره عن وعده الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يستخلفهم في الأرض، فسبقت الصفة لهم والثناء عليهم قبل استخلافهم فثبتت بذلك الحجة من الله لهم ثم شهد لهم بما يكون منهم بعد استخلافهم، فهو مما هو موافق لما تقدم من أعمال الصالحات التي أجمعها في وصفهم فقال جل وعز: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١] فشهد لهم بما يكون من أعمالهم بعد استخلافهم، وكان ذلك موافقا للخبر الذي قدمه لهم قبل استخلافهم فثبتت الصفة من الله لهم قبل استخلافهم وبعد استخلافهم، فمن أصدق من الله قила، ومن أصدق من الله حديثا. <sup>(١)</sup>

---

(١) وهذا الكلام الذي قاله الشيخ عاَمٌ يظهر أنه يعرِّض به لاسترضاء المأمون، لأن الآيات ليست في الشهادة للحكام بالصلاح، بل قال الله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾، الآية، وهذا وعد لمن آمن وعمل الصالحات بأن يُستخلف، وليست وصفاً لكل من استُخلف، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٠﴾] [الحج: ٤٠-٤١] فالآية وعد بنصر من هذه صفته، وليست وصف من تولى الحكم. وإلا

ثم قال تبارك وتعال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فأمر المؤمنين جميعاً بطاعتهم،  
وتعبددهم<sup>(١)</sup> بها وأوجبها عليهم وقرنها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وجعلها  
نظاماً واحداً لم يفرّق بين ذلك بشيء، فمن أطاع أولي الأمر فقد أطاع  
الله عز وجل، ومن عصاهم فقد عصى الله عز وجل، وبذلك أمر رسول  
الله ﷺ في أحاديث كثيرة صحّت الرواية عنه فيها، وطاعة أمير المؤمنين  
على الخلق مفترضة واجبة، ومن خرّج عنه فقد خلّع ربة الإسلام من  
عنقه.<sup>(٢)</sup>

### أما ذكر للمأمون في النسب الشريف

وروى زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال «إني تارك فيكم الثقلين،

فقد تولّى الحكم زنادقةً على مرّ التاريخ، والمأمون منهم. ولهذا كان كلام عبد العزيز عامّاً في  
الخلفاء، ولعله قصد الصالحين، وساقه بهذا السياق استرضاءً للمأمون واجتناباً لشرّه.

(١) الله تعبدنا بكذا: أي جعل ذلك الأمر بالنسبة لنا عبادة أمرنا بها.

(٢) الرّبة: هي الحبل الذي يُربط في العنق، فمن خلّع ربة الإسلام؛ فقد ترك التّبع له، وفارق جماعة  
المسلمين.

كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» [١].

وقال أبو سعيد الخدري سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومَه، بلى والله، إن رحمة موصولة في الدنيا والاخرة» [٢].

وقال جعفر بن محمد عن أبيه قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «لا تهنوني؟ فقلنا: بماذا؟ قال: تزوجتُ بنتَ بنتِ رسول الله ﷺ وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (كل سب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسي وسبي)» [٣].

[١] رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم بلفظ مختلف وهو: وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: «أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَعَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

قال السندي: الثَّقَلُ: بفتحتيْن: كل شيء نفيس مصون.

[٢] رواه أحمد (١١١٥٤) وقال شعيب: «صحيح لغيره» ورواه الحاكم (٧١٥٣) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْأِسْنَادُ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وقال الذهبي: «صحيح»

(٣) وهي أُمُّ كُلثُوم بنت علي وفاطمة.

[٤] رواه عبد الرزاق (١٠٣٥٤) وسعيد بن منصور (٥٢٠) بإسنادين منقطعين، ورواه أحمد في فضائل

وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: «كانت امرأة من بني هاشم عند رجل من قريش، فقال لها ذات يوم: والله لا تغني عنك قربتك من رسول الله ﷺ شيئا، قال: فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فصعد المنبر مغضبا فقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تغني شيئا، فوالذي نفسي بيده إنه لترجو شفاعتي صداً وسلهَباً»<sup>(١)</sup> [٢]

فهذه رَجْمُ أمير المؤمنين، وهذا نسبه وقرابته الموصولة في الدنيا والآخرة.

الصحابة (١٠٧٠) وفي إسناده بشر بن مهران وقد تركه أبو حاتم.

(١) صَدَا وَسَلَهَبُ: حَيَّانٌ مِنْ أَحْيَاءِ الْيَمَنِ. والمعنى: هؤلاء سيرجون شفاعتي فكيف بأقاربي! كما جاء عند الشجري في ترتيب الأمالي: «أَتَرْجُو سَهْلَبُ شَفَاعَتِي وَلَا يَرْجُوهَا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

[٢] والحديث إلى قوله «يزعمون أن قرابتي لا تغني شيئا» ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٨٢٧) وقال: «رواه البزار وفيه إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل وهو متروك».

ورواه ابن عدي في الكامل في ترجمة عبد الله بن جعفر بن نجيح، وقال: وقال عمرو بن علي، وعبد الله بن جعفر بن نجيح أبو علي المدني ضعيف الحديث. وقال النسائي عبد الله بن جعفر بن نجيح والد علي بن المدني متروك الحديث.

وأما الجملة الأخيرة فقد ذكرها الهيثمي، وقال: «وفيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم؛ وبقية رجاله ثقات».

وقال عبد الملك بن الحارث بن نوفل: لقيني أبو هريرة رضي الله عنه، فأخذ بيدي ثم قال: يا ابن الحارث إن لي إليك حاجة، قال قلت: وما حاجتك يا أبا هريرة، قال: أحب أن تضمنها لي، قال قلت: وما هي؟ قال قلت: أن تشفع لي يوم القيامة، قال قلت رحمك الله تقول هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لكل رجل من ولد عبد مناف شفاععة يوم القيامة».[١]

وقال عبد الله بن عباس: جاء فتیان من بني هاشم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملنا على الصدقة حتى نصيب منها كما يصيب غيرنا، فقال النبي ﷺ: «إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة ولكن إذا دفعت إلى مفاتيح الجنان فهل تروني أوثر عليكم أحدا».[٢]

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل

[١] في نسخة: عبد المطلب. ولم أجده.

[٢] قال العقيلي في الضعفاء الكبير ج ٢ ص ٢٣٩: «أَمَّا أَوَّلُ الْحَدِيثِ فَقَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَآخِرُهُ لَا يُحْفَظُ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ» وذكره في ترجمة عبد الله بن جعفر بن نجيح.

بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»<sup>[١]</sup>

ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب، قال رسول الله ﷺ: لم يبقَ على وجه الأرض مؤمن بين النبيين إلا العباس وهو عمي وهو ابن إسماعيل بن إبراهيم، فلم يكن في الأمة كلها مؤمن بين نبيين إلا حمزة والعباس عمي رسول الله ﷺ<sup>[٢]</sup> وهما أبواه وهما ابنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وسبطان في أظهر نسب، [...] في أرفع بيوتات العرب.

وقال عكرمة: أتى العباس بن عبد المطلب النبي ﷺ فقال يا رسول الله لو اذنت لي فأتيت قريشاً فدعوتهم فأمنتهم وجعلت لأبي سفيان شيئاً يذكر به، فانطلق العباس فركب بغلة النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ردوا على أبي فإنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ، فاني أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيفُ بعروة بن مسعود، دعاهم إلى الله تعالى فقتلوه، ثم قال: أما والله لئن

[١] رواه أحمد (١١٢١١) وقال شعيب الأرناؤوط: «حديث صحيح دون قوله: «وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ورواه الحاكم (٤٥٧٦).

قال السندي: الثَّقَلُ: بفتح التين: كل شيء نفيس مصون.

[٢] لم أجده.

[٣] كلمة غير مفهومة.

ركبوها لأضرمها عليهم نارا» [١]

وقال ابن عمر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق سموات سبعا، فاختار العليا فأسكنها من شاء من خلقه، وخلق الأرض سبعا فاختار العليا فأسكنها من شاء من خلقه من خلق بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار العرب، ثم اختار العرب فاختار مضر، ثم اختار بني مضر فاختار قريشا، ثم اختار قريشا فاختار بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خيار من خيار» [٢]

وأمر المؤمنين -أطال الله بقاءه- من خيار الخيار، ثم اختاره الله عز وجل وارتضاه لخلقه، فصار خيار الخيار، فأتى الله تعالى لأمر المؤمنين نعمه وسوغه إياها لشكره، وجعل ما قلده من هذا الأمر رشيدا وعاقبة ما يورثك الله حميدا.

[١] رواه عبد الرزاق (٩٧٣٩) ابن أبي شيبة (٣٦٩٠٢)

[٢] قال أبو حاتم الرازي: «هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ» [«العلل» لابن أبي حاتم ج. ٦، ص. ٤٠٢ ت الحميد].

## أما ذكر المأمون في الحفو

قال عبد العزيز: فرأيت المأمون قد أطرق<sup>(١)</sup> يستزيدني من الكلام وقد سكن غضبه، وأحبّ أن أتكلّم بما يُخرج ما في نفسه، فجعلت أتكلّم بما يجري على لساني ويوفّقني الله تعالى له.

**فقلت:** قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ<sup>ج</sup> وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ<sup>ج</sup>﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال تعالى لنبیه محمد ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

(١) أطرق: سكت.



فلما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ، خرج وهو يقول: «أمرني ربي أن  
أأخذ العفو من أخلاق الناس» [١]

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «من  
كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله يوم القيامة قلبه رضاء».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظاً  
وهو يقدر على إنفاذه؛ ملأه الله أمناً وإيماناً» [٢]

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما جرع  
عبد جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظٍ كظمها ابتغاء وجه الله

[١] في صحيح البخاري (٤٦٤٤): ن عبد الله بن الزبير، قال: «أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، أو كما قال».

[٢] قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص. ١٠٧٢): حديث «من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاء» وفي رواية «أمن وإيماناً» أخرجه ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه، ورواها ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم.

عز وجل» [١٠]

وقال عبد الله بن عباس قال رسول الله ﷺ: «ان لهنم باباً لا يدخله إلا من شفا غيظه بمعصية الله تعالى» [٢]

وقال أنس بن معاذ الجهني قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه؛ دعاه الله تعالى على رؤوس الخلائق يخيره في أي الحور شاء» [٣]

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرّ رسول الله ﷺ وناس يتجاذبون مهوراساً<sup>(٤)</sup> فقال: «أتحسبون أن الشدة في حمل الحجارة إنما الشدة أن بمتلى أحدكم غيظاً ويغلبه» [٥]

[١] رواه ابن ماجه (٤١٨٩) قال الألباني: «صحيح».

[٢] قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص ١٠٤١): «أخرجه البزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف».

[٣] رواه أحمد (١٥٦٧٥) وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده حسن».

(٤) المهوراس حجر مستطيل منقور يتوضأ منه ويدق فيه.

[٥] رواه ابن المبارك في الزهد (٧٤٠) وقال الألباني: «ضعيف».

وقال الشعبي: «لم يعرف قدر الأئمة من لم يُجرِّعهُ الحِلْمُ غُصَصَ الغيظ».

وقال علي بن زيد بن جُدعان: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلاً، ثم قال: «أردت أن يستفزني الشيطان بعزِّ السُّلطان، فأنال منك اليوم، ما تناله منى غداً».[١]

وقال عبد الله بن عمر قال رجل لعمر بن الخطاب رحمه الله: «والله ما تقضي بالعدل، ولا تُعطي الجزل» فغضب عمر حتى عُرف في وجهه الغضب، فقال له رجل في جنبه: «يا أمير المؤمنين ألم تسمع الله يقول: ﴿حُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وهذا من الجاهلین»<sup>(٢)</sup> فقال عمر: «صدقت صدقت، قد عفوت قد عفوت».[٣]

[١] رواه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (ص ٤٠٥) وأسنده ابنُ الآبُنُوسِيِّ البَغْدَادِيُّ «مشيخة الآبُنُوسِي» (١١٢) بإسناد غير ثابت، لكنها قصة مشهورة.

(٢) الجاهل معلوم، وهي تستخدم فيمن يتصرف تصرفات هوجاء.

[٣] رواه عبد الرزاق في الكتاب المطبوع باسم «جامع معمر بن راشد» (٢٠٩٤٦) وإسناده صحيح.

وقال النبي ﷺ: «إن الله يحب الحليم الحي الغني» [١].

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «الحليم محباً في الناس مسوِّدٌ في الدنيا مرضي القول عند الله تعالى» [٢].

وقال عبد الله بن عباس: «الحلماء قليل والجهال كثير، فمن رد الجهل مجلم فقد أخذ بالفضل والأجر، وبُشِّرَ بالتي يرجي ذخرها وتحمد عاقبتها، ومن رد الجهل مجمل مثله فقد انتصر» [٣].

وقال الشعبي: «ما رأيت الله تعالى نَحَلَ في كتابه نَحْلاً<sup>(٤)</sup> هو خير من الحليم، إذ يقول: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

---

[١] رواه ابن أبي شيبة (٢٥٣٤٤) بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَيَّ الْعَفِيفَ الْحَلِيمَ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ» مرسل. ورواه غيره من طرق أخرى غير ثابتة، وقال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٣١٤٨): «رواه الطبراني من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبي هريرة إن الله يحب الغني الحليم المتعفف وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه».

[٢] لم أجده.

[٣] لم أجده.

(٤) نحل نحلا: أي أعطى عطية.

وقال بعض الخلفاء: «إني لأرفع نفسي أن يكون لأحدٍ عندي ذنبٌ لا يسعُهُ عفوي، أو جهلٌ لا يسعُهُ حِلْمِي، أو عورةٌ لا يسعها ستري».

وقال الأحنف بن قيس<sup>(١)</sup>: «يا أبا بجر، ما أحلمك!» فقال الأحنف: «تعلمتُ الحلم من قيس بن عاصم، بينما هو ذات يومٍ في مجلسه مُحْتَبِياً برِداءه يُحَدِّثُ القومَ؛ إذ أوتي بِقَتِيلٍ ومَكْتوفٍ، فقبلَ له: «هذا ابنك قتله ابن عمِّك هذا المَكْتوف» فما قَطَعَ حديثه، ولا حَلَّ حَبْوَتُهُ، فلَمَّا فرغ من حديثه التفت إلى ابن عمِّه، وقال له: (أما إنك ما أضرت إلا نفسك، عصيت ربَّكَ وقطعت رَحِمَكَ، ونقصت عددك<sup>(٢)</sup>) ثم قال لابن له: (قم فَوَارِ أَخَاكَ وحلِّ كِتَافَ ابنِ عمِّك، وسُقْ إلى أُمِّكَ مئةَ ناقةٍ ديةً أخيك)<sup>(٣)</sup>» [٣].

قال عبد العزيز: فرأيتُ المأمونَ قد مسحَ بيده على وجهه ونَظَرَ إلَيَّ؛ فعَلِمْتُ أنه قد رجَعَ وكَظَمَ غِيظَه، ثُمَّ أَطْرَقَ؛ فعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسْتَزِيدُنِي مِنَ

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي ت ٦٧هـ أو ٧٢هـ وهو من كبار التابعين، ثقةٌ في حديثه، وكان من أشراف بني تميم، ومن سارت أخباره في الحِلْمِ والفصاحة والشَّجاعة، بل كان مضربَ مَثَلٍ في الحِلْمِ.

(٢) أي أنقصت عدد أقاربك الذين يؤازرونك في الشَّدائد.

[٣] رواه الجوهري (٨٠٤) في «المجالسة وجواهر العلم» (٣/ ١٦٥).

الكلام.

فقلت: قال عبد الرحمن ابن شبيب<sup>[١]</sup>: حدثني أبي أنه كان يطوف حول بيت الله الحرام، فلحقه أبو جعفر المنصور، فأخذ بيده، ومسك يده في يده فطافا جميعا، قال فقلت: «يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أكلمك؟» قال: «هات» فقلت: «إن الله جل ثناؤه يومَ قسم أقسامه لم يرَضَ لك منها إلا بأعلاها وأسانها، فلا تجعل فوقك أحدا في الدنيا، ولا ترض لنفسك - إذ لم يجعل فوقك أحدا في الدنيا - أن يكونَ فوقك في الآخرة أحد.<sup>(٢)</sup> يا أمير المؤمنين، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك من الله ببعضها. يا أمير المؤمنين اتق الله فإنها وصية الله اليكم جاءت، وعنكم قيلت، وإليكم ترد. يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرَضَ من آل داود عليهم السلام وقد نفلهم الدنيا ورفعهم فيها، فلم يجعل ما أنفقوا إسرافا ولا ما أمسكوا

[١] في المخطوط «بن شيب» وهذا خطأ. وهو عبد الرحمن بن شبيب بن شيبة.

(٢) الموعظة التالية إلى قوله «بعضها» أسندوها إلى عمرو بن عُبيد المبتدع المعتزلي، كما في «أنساب الأشراف للبلاذري» (ج٤ ص٢٣١) ولم أجد ما بعدها. وكان عمرو من رؤوسهم، وكان يظهر التنسك، وله مواعظ. وبمثل هذا التنسك والتزهد وإظهار العبادة يروج أهل البدع عند الرُعا، فيغترون بإظهاره العبادة، أو بكونه لا مال له، حتى وجدت في زماننا ما لم أتوقعه، فعند تحذيري من بعض المبتدعة؛ يرد عليّ بعض الناس بنقولات أن فلانا قال عنه إنه فصيح اللسان!

كنزاً، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ﴾ [ص: ٤٠] ثم لم يرضَ منهم مع ذلك كله إلا بالشُّكر، فقال تعالى: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وإن شُكرَكَ في عبادِ الله انتُحسن إلى مُحسِنِهِم وتجاوز عن مُسيئِهِم وتحلَّم عن جاهِلِهِم.

وقال المبارك بن فضالة: إني لعند أبي جعفر المنصور إذا أوتي برجل فأمر بقتله فقلتُ: «يقتل رجل وأنا حاضر وهو من المسلمين»<sup>(١)</sup> فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك بحديث سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت: سمعتُ الحسن يقول: «إذا كان يوم القيامة، جُمِعَ الناسُ في صعيدٍ واحدٍ، يُسمِعُهُم الداعي وَيَنْقُذُهُم البصر، فيقومُ منادٍ من عند الله فيقولُ: (لِيَقُمْ من له عند الله يد)، فلا يقوم إلا من عفا» فقال لي المنصور آله<sup>(٢)</sup> لسمعته من الحسن؟ قلت: آله لسمعته من الحسن، قال: خلوا عنه، فخلي عنه.<sup>[٣]</sup>

(١) يكلم نفسه.

(٢) «آله» بمدّ الألف: استحلاف بالله، والحلف بالجواب عليه يكون بنفس الكلمة.

[٣] أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ج ١٥ ص ٢٧٩. إلا أنه في الزهد لأسد بن موسى (٨٠) وفي سيرة الإمام أحمد بن حنبل، لابنه صالح (ص ٦٥): «حدثني من سمع الحسن» وهو بكل حال مُرسَل.

وقال أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن الزبير: إني لعند سليمان بن عبد الملك إذ دخل عليه أعرابي، فقال له سليمان: «تكلم يا أعرابي»، فقال: «يا أمير المؤمنين إني أكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته، فإن وراءه ما تحبه إن قبلته» فقال له سليمان: «والله يا أعرابي، إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن عيبه، فقل» فقال: يا أمير المؤمنين إذ أمنتُ بادرَةَ غضبك فسأطلقُ لساني بما خَرَسَتْ الألسنة عن غضبك به تاديةً لحقِّ الله وحقِّ إمامتك، يا أمير المؤمنين، إنه قد تكتَفَكَ رجالٌ أساءوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دُنياك بدينهم، ورضاك بسخطِ ربِّهم، خافوك في الله ولم يخافوا اللهَ فيكَ، حربٌ للآخرةِ وسلْمٌ للدنيا، فلا تأتمنهم على ما ائتمنكَ الله عليه، فإنهم لم يألوا للأمانة تضييعًا وللأمة خسفًا وعسفًا، وأنتَ مسؤولٌ عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت، فلا تُصلح دُنياهم بفسادِ دينك وآخرتك، فإن أعظمَ الناس غبنًا مَنْ باع آخرته بدنيا غيره» قال: «فبكى سليمانُ بكاءً شديدًا»<sup>[١]</sup>.

ودخل -يا أمير المؤمنين- ابنُ السَّمَّاءِ على أمير المؤمنين الرشيد، فقال له: «عِظْني وأوجِزْ» فقال له: «يا أمير المؤمنين، إنَّه ليس أحدٌ من هذا

[١] رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ٦٨ ص ١٧٥) وابن خلكان في «وفيات الأعيان» (ج ٢ ص ٤٢٤).



الخلقِ إلا وله مقامٌ بين يدي الله تعالى ومُنصرف، فانظر إلى أين يكون منصرفك؛ إلى جنة أو إلى نار» فقال له الفضل بن الربيع -وهو قائم على رأسه-: «إلى أين يكون منصرفه؟! إلى جنة الله ورضوانه ومجاورة نبيه محمد ﷺ» فقال له ابن السمّك: «يا أمير المؤمنين، لا يغرنك هذا من نفسك، فإنك يومئذ لا تراه ولا يراك، وأنت أعلمُ بنفسك» فبكى أمير المؤمنين بكاءً شديداً.

ودخل -يا أمير المؤمنين- رجل على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: «تكلم» فقال: «ما أتكلم به وقد علمتُ أن كلَّ كلامٍ يتكلم به المتكلم وبألاً عليه إلا ما كان لله طاعة؟!» فبكى عبد الملك وقال: «يرحمك الله تعالى، لم يزل الناس يتواظون ويتواصون ويتراحمون» فقال له: «يا أمير المؤمنين، إن للناس في القيامة جولةً لا ينجو من غُصَصِ مرارتها ومُعَايِنَةِ الرَّذَى فيها إلا مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ نَفْسِهِ» فبكى عبد الملك حتى اشتد بكاءؤه، ثم قال: «لا جَرَمَ، لأجعلنَّ هذه الكلمات نُصبَ عيني ما عشت» ثم كتبها بيده.<sup>[١]</sup>

[١] رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (١٠٥).

ودخل رجلٌ على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال: «يا أمير المؤمنين، احذر قاتل الثلاثة» فقال عمر: «ويحك، وما قاتل الثلاثة؟» قال: «هو الرجل يأتي القومَ بالحديث الكذب فيقتلُ الإمامَ ذلكَ بحديثِ هذا الكذاب، فيكونُ قد قتل نفسه وصاحبه وإمامه» فبكى عمر رحمة الله عليه.<sup>[١]</sup>

قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: نظر عمر إلى رجل وقد أذنب ذنبا، فتناوله بالدرّة فقال الرجل: والله يا عمر لأن كنتُ أحسنتُ لقد ظلمتني ولأن كنتُ أسأت ما علّمتني، فقال عمر: صدقت، استغفر الله دونك، فافتد من عمر، والقي الدرّة إليه، فقال: بل هبها لله عز وجل.

قال عبد العزيز: فبكى المأمون بكاء شديداً، وأنا أتكلم لا أقطع الكلامَ حتى رأيته قد مسح وجهه بمنديلٍ فأمسكتُ وقطعتُ ما كنت فيه، فنظرَ إليّ، فقلتُ: يا أمير المؤمنين إنّما بدأتُ بحق الله عليّ بذكر ما خصّ الله به أمير المؤمنين من عظيم الأخلاق وجميل الأفعال، وما أوجبه الله تعالى على الخلق من طاعته، وصلّته بما شرفه الله تعالى من الحلم، وزيّنه

[١] رواه عبد الرزاق في الكتاب الذي طبع باسم جامع معمر بن راشد وهو جزء من المصنّف (٢٠٦٤٥).

به من العلم، وكرّمه بالعفو، وأتبع ذلك بما روي عن آبائه - رضوان الله عليهم - ليكون زائدا في نعم الله عنده، وموجداً للصفح عما كان مني من جهل أو خطأ، فاني أعتزُّ بالذنوب وأقرُّ بالإساءة وأستغيثُ بأمر المؤمنين وأسأله الصفح والتجاوز، فإنَّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق: ﴿وَعَاخِرُونَ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَاخِرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] والـ«عسى» من الله تعالى واجب، فأخبر تعالى باعترافهم<sup>(١)</sup> أنه يتوب عليهم ويغفر لهم لما اعترفوا على أنفسهم.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] فهذه أخبار الله تعالى عن نفسه أنه يغفر لمن اعترف واستغفر ولم يصِرَّ على ما فعله، ثم أنا بعد هذا أعتذرُ

(١) يعني: بسبب اعترافهم.

بِمَا يَوْجِبُ الْعَذْرَ لِي، وَيزِيلُ عَنِي اللُّومَ وَالْحُجَّةَ فِي مَا فَعَلْتُ إِنْ أَدْنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاهُ - فِي ذَلِكَ.

**فقال المأمون:** قل ما تريد بما يبينُ به عذرُك وتزيلُ فيه الحجة عنك فيما فعلت.

### [قاعدة: عدم المنع يستلزم عدم الذنب]

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى ذَكَرَ الملائكةَ بأَجْمَلِ ذِكْرٍ، ووصفهم فيه بأحسن صفة وامتدحهم بأفضل مدحة، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ١٩ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ٢٠ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ٢٦ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ١٦ [عبس: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ ١١

[الأنفال: ١٠-١١]

وقال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦] فأخبرنا الله تعالى عن طاعتهم له وقبولهم لأمره،  
 وشهد لهم أنهم لا يعصونه وأنهم من خشيته مشفقون.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>ط</sup> قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ<sup>ط</sup> قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠] فأخبرنا  
 تعالى عن مُراجعتهم إياه فيما أعلمهم أنه فاعله، ومُعاضيتهم له فيما  
 اختاره، وتعريضهم بأنفسهم لطلب الخلافة وأنهم أحقُّ بها ممَّن اختاره،  
 وهم أهل طاعته الذين قد أثبتها الله تعالى لهم ونفى عنهم العصيان، وكان  
 فعلهم هذا ومراجعتهم إياه عندهم مباحًا مطلقًا غير محرَّم ولا محظورٍ  
 لأنه لم ينههم عنه قبل ذلك ولم يحظره عليهم، فعلموا بإمساك الحظر<sup>(١)</sup>  
 عليهم ما لم يرضه منهم،<sup>(٢)</sup> فأراد تعالى أن يثبت عليهم الحجة، ويعلمهم  
 أن آدم عليه السلام أحق بالخلافة منهم، وأن مراجعتهم إياه مما قد كرهه  
 منهم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

(١) إمساك الحظر: أي عدم ذكر الحظر.

(٢) أي علموا أن ما حظره فإنه لا يرضاه، وما لم يحظره فإنه مباح.

الْمَلَكَةَ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾ [البقرة: ٣١]

يعني في قولكم أنكم أحق بالخلافة من آدم: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١]. فاعترفوا بالعجز عن علم الله وعما لم يعلمهم الله تعالى، قال: ﴿قَالَ يَعَادُمْ أَنْبِئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [٣٢] فدل هذا على أنه امتحن الملائكة بالمسألة عن الأسماء التي عجزوا عن علمها وعلمها آدم عليه السلام، ثم سأل آدم فأنبأهم بها ليعلمهم فضل آدم عليهم بالعلم الذي أودعه إياه وأنه أحق بالخلافة منهم لفضل علمه، وأثبت الحجة عليهم من أنفسهم، وبإقرار ألسنتهم، وباعترافهم بالعجز عما علمه آدم، وأنه كان أعلم بما اختاره منهم، ثم أعرض عنهم بعد إثبات الحجة عليهم، حتى لا ذوا بالعرش وطافوا حوله واستغفروه فغفر لهم، [١] ولم نجد الله تعالى ذمهم فيما كان من أمر مراجعتهم إياه، ولا ألزمهم ذنباً ذكره عنهم، ولا خرجوا بمراجعتهم إياه

[١] رواه أبو الوليد الأزرقى في «أخبار مكة» (ج١ ص ٢٢) عن علي السجاد ابن الحسين وفي إسناده علي بن هارون العجلي، ولم أجد له ترجمة، وفيه "القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري" وهو ضعيف.

من صفته ومِدَحَتِهِ لهم، إذ كانوا إنما عملوا ذلك بِإِمْسَاكِ الحُظَرِ عَلَيْهِمْ، وهم عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ غَيْرَ حَرَجِينَ وَلَا مَأْزُورِينَ، وَلَقَدْ تَمَتَّ مِدْحَةُ اللَّهِ لَهُمْ وَصِفَتُهُ لَطَاعَتِهِمْ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَامْتَدَحَهُمْ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ - وَهُوَ الْقُرْآنُ - وَأَخْبَرَهُ بِكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ وَأَنَّهُمْ لَا يَعُصُونَهُ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ.

وَلَمْ يَزَلِ الْأَنْبِيَاءُ أَجْمَعُونَ بَعْدَ الْمَلَائِكَةِ يَعْمَلُونَ فِيهَا لَمْ يُنْهَوْا عَنْهُ وَلَمْ يَحْرَمَ عَلَيْهِمْ بِإِمْسَاكِ الْوَحْيِ عَنْهُمْ، حَتَّى إِذَا نُهِيَ عَنْ شَيْءٍ أَوْ حُظِرَ عَلَيْهِمْ فَعَلُوهُ؛ انْتَهَوْا عَنْهُ، فَلَمْ يَفْعَلُوهُ وَلَمْ يَقْرُبُوهُ وَتَجَافَوْهُ وَجَانَبُوا مَنْ أَتَاهُ أَوْ فَعَلَهُ.

فَكَانَ آدَمُ ﷺ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ خَلَقًا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

و قال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥] فمن يبلغ عقله أو فهمه أن يصف قدر منزلة آدم عليه السلام عند ربه وقد أسجد له صفوته وأهل الكرامة عليه من خلقه، ثم أسكنه الجنة وأباحه إياها يأكل منها ما تمنى حيث شاء مُباحًا مُطلقًا غير ممنوع ولا محظورٍ عليه، ولا حرج عليه في ما يفعل، فقال تعالى: ﴿وَيَعَادُكُمْ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَعَادُكُمْ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥] فأخبر تبارك وتعالى أنه أباحهما الجنة يأكلان من حيث شاء، ثم أمرهما ونهاهما، فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] في غير موضع من القرآن.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٣﴾ فَقُلْنَا يَعَادُكُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٧] فلما جاء الأمر والنهي ووقع التحريم والحظر عليهما، كانا بذلك ممنوعين مما كان مُباحًا لهما مطالبين بالأمر



والنهي، وقد أعلمَهُمَا اللهُ عز وجلَّ أنهما إن خالفا أمره وارتكبا نهيَه؛  
 كنا من الظالمين، فأوجبَ عليهما بهذا الخبرِ الطاعةَ فيما أمرهما به،  
 والانتهاةَ عما نهاهُما عنه، والحذر مما حذرهما منه، والخوف مما توعدهما  
 به، وهما أعظم خلقه عنده قدرًا، وأرفعُهم منزلةً، وأعلاهم مرتبةً، فلمَّا  
 خالفا أمره وارتكبا نهيَه وسكنا إلى من حذرهما منه؛ حقَّ عليهما  
 عقوبته، فسلبهما لباسَ كرامته، وأخرجهما من داره، وباعدَهما من قُربه  
 وجواره، وأهبطَهُما من سمائه إلى أرضه، فكانَ فعلُهُ هذا بهما بعدَ مخالفتهما  
 للأمر، وارتكابهما للنهي، فقال عز وجل: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ يعني  
 الشجرة التي نُهاها عنها: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا  
 مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ﴿طه: ١٢١﴾.

وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا  
 سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ  
 أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ  
 مُبِينٌ﴾ ﴿الأعراف: ٢٢﴾ فأعلمنا عز وجل أنه إنما سلبهما لباسَ كرامته  
 وأخرجهما من داره، وأهبطَهُما مهبط العاصين، وأسكنهما دار الخاطئين  
 بعد مخالفتهما أمره وارتكابهما نهيَه، ولم نجد الله عز وجل احتجَّ عليهما  
 بعلمه السابق فيهما، وإنما احتجَّ عليهما بمخالفة الأمر وارتكاب النهي

بقوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] فلَمَّا سَمِعَا الخطاب من الله عز وجل عَلِمَا أَنَّهُمَا قَدْ أَخْطَاا وظَلَمَا أَنفُسَهُمَا لمخالفتهما أمره، وارتكابهما نهيه، فَنَدِمَا واعترفا بالخطأ، وقالَا مقالة الخاطئين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فكان اعترافهما لله بخطاياهما عند ثبات الحُجَّةِ لله عليهما ومخاطبته إياهما بها، ولم نجدِ الله عزَّ وجل ذمهما على شيء كَانَ مِنْهُمَا قَبْلَ مخالفتهما أمره وارتكابهما نهيه.

وبذلك جَرَتْ سَنَةُ الله عز وجل فِي وَلَدَيْهِمَا وذريتهما من بعدهما، وكان بعد آدم نوحٌ عليه السلام، وهو أبو الخلق بعد آدم، وهو صفوة الله، اصطفاه وارتضاه وسلم عليه، وأثنى عليه وسمَّاه عَبْدًا شَكُورًا، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩].

وقال عز وجل: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] فذكره الله بأجل ذكر، وأثنى عليه أحسن الثناء،

وَقَصَّ عَلَيْهِ قَصَصَهُ وَمَا لَيْثٌ فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] فصبر على أذاهم ومكرهم، محتسبا صابرا، رجاء أن يهديهم الله فيؤمنوا، وهو مع ذلك يكثر مخاطبة الله تعالى في أمرهم، ويسأله تأخير العذاب عنهم، ويذكر له ما يرجوه من إيمانهم، ولا يشكوهم ولا يذمهم، حتى جاء الوقت الذي أذن الله فيه بهلاكهم وقضى بغرقهم، فقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦ وَأَصْنَعَ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ ٣٧ [هود: ٣٥-٣٦].

وقال في موضع آخر: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ ٣٨ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ ٣٩ [المؤمنون: ٢٦-٢٧]. فأعلمنا جل وعز أنه لم يزل نوح يكثر خطاب ربه في أمر قومه ويسأله تأخير العذاب عنهم لما يرجوه من إيمانهم، لأن قوله تعالى في غير موضع: ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ٣٧-المؤمنون: ٢٧] دليل على خطاب قد تقدم كثير منه في أمرهم، فنهاه عن ذلك لئتم قضاءه عليهم، وكان نوح ﷺ يعمل في مخاطبة ربه، ومراجعته في أمر قومه بإمساك الوحي عن نهيه، وإن

ذلك له مباحٌ مطلق غير مُحَرَّم ولا محظورٌ، فلما جاء الأمر والنهي؛ وجب على نوحٍ ﷺ الطاعة لله جلَّ ذكره في اتِّباع أمره والانتهاه عما نهاه الله تعالى عنه، فانتهى ﷺ عن المُخاطبة لله عز وجل في أمر قومه ومعاودة المسألة له فيهم، وأيس من إيمانهم، وثقل عليه ما كان خفيفًا، وعظم عليه ما كان يسيرًا من الصبر على مكروههم الذي كان يتقرَّب به إلى ربه عز وجل، ويؤمل به عظيم ثوابه، وعلم عليه السلام أن الله جل اسمه قد أذن في هلاكهم، فأحب ما أراد الله فدعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٢٧﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ ﴿٢٨﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]. وقال [تعالى]: ﴿١﴾ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ ﴿١٠﴾ [القمر: ١٠] كان ذلك طاعة لله تعالى وتقرَّبًا إليه، ولم نجد أنَّ الله عز وجل ذمَّ نوحًا ولا أثبت عليه حجة فيما كان من خطابه - قبل النهي - في قومه، لأن ثبات الحجة إنما يكون بعد الأمر والنهي.

ثم ذكر عزَّ وجلَّ قصة نوح وابنه فقال جل من قائل: ﴿وَنَادَى نُوحٌ

[١] في المخطوطين: «ربِّ إني مغلوب فانتصر» وهي تجوز على سبيل حكاية الحال، لكن أثبت الآية هنا.

أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾  
 [هود: ٤٢] وقال في موضع آخر: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ  
 أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥] فلم يزل  
 نوح عليه السلام ينادي ابنه حتى آيس منه وعلم بغرقه فلما علم بغرقه  
 رجع إلى ربه يسأله في أمره، ويذكر له ما كان وعده من نجاة أهله وكان الله  
 تعالى وعد نوحاً عليه السلام أن ينجي أهله المؤمنين خاصة دون الكافرين،  
 وكان نوح يعمل في نداء ابنه ومناجاته ربه في أمره بإمساك الوحي عن نهيه  
 والحظر عليه، وهو يرى أن ابنه من أهله الذين وعده نجاتهم، وأنه غير  
 حرج ولا مأزور في فعله، فلما نهاه الله - عز وجل - عن ذلك، وحظره عليه،  
 وأعلمه أنه ليس من أهله المؤمنين الذين وعده نجاتهم بقوله عز وجل:  
 ﴿قَالَ يَنْتُحِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ يقول ليس  
 من أهلك المؤمنين الذين وعده نجاتهم ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا  
 تَسْأَلَنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ  
 الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فلما نهاه عن المسألة في أمر ابنه؛ وجب عليه  
 الطاعة لأمر ربه والانتهاز عما نهاه عنه، فأمسك نوح ﷺ عن معاودة  
 ربه بذكر ولده، والمسألة في أمره، وتقدم على ما تقدم في مسألة ربه، فاعتذر  
 إلى ربه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ

وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ [هود-٤٧] ولم نجد الله عز وجل ذمَّ نوحًا فيما كان من نِدائه لابنه، ولا في مراجعته لربه قبل النهي، ولا أوجب عليه بذلك ذنبًا، لأنه قبل النهي غير ممنوع ولا محذور، وإنما ثبتت الحجة بعد النهي.

وبذلك جرت سنة الله عز وجل في ولد نوح وذريته من بعده.

ثم ذكر الله عز وجل قصة إبراهيم الخليل وما كان من استغفاره لأبيه، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المتحنة: ٤] وقوله: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] وقوله: ﴿وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦] وقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] فلم يزل إبراهيم ﷺ يستغفر لأبيه وهو يعبد الأصنام من دون الله وهو يعلم أنه عدو لله بامساك الوحي عن نهيه والحظر عليه، وكان استغفاره له للموعود الذي وعده إبراهيم: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] فكان عليه السلام غير حرج ولا ملوم في ذلك لأنه لم يكن نُهي عن الاستغفار ولا حرَّم عليه، فلما نهاه الله

تعالى عن الاستغفار لأبيه، وأعلمه أنه عدو لله يموت على كفره فيدخله النار، فأمره بالتبري منه ومن قومه؛ فوجب على إبراهيم عليه السلام الطاعة لله، وقبول ما أمر به، والانتهاز عما نهاه عنه، فتبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه وقومه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] فانتهى عن الاستغفار لأبيه بقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَعْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴿١١٦﴾﴾ [التوبة: ١١٥] فأخبر جل ذكره عن انتهاء إبراهيم عن الاستغفار لأبيه طاعة لربه وانتهاء لما نهاه عنه، فدل =بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَعْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ = أنه وعد إبراهيم ﷺ في استغفاره لأبيه، وأنه إنما فعل ذلك لإمساك النهي والحظر عليه، وأنه كان في ذلك غير حرج ولا مأزور حتى وقع الحظر والتحريم وجاء النهي، ولم نجد الله تعالى ذمّه فيما كان من قبل النهي، ولا ثبت له عليه حجة، لأن الحجة له إنما تثبت بعد الأمر والنهي.

وبذلك جرت سنة الله في ولد إبراهيم عليه السلام وذريته من بعده.

ولم يزل النبي ﷺ يستغفر لأمه آمنة بنت وهب ما شاء الله تعالى من دهره إلى أن فتح مكة فركب إلى قبرها في ألف مُدَجِّجٍ<sup>(١)</sup> فنزل عند قبرها، ولم يزل يستغفر لها، وكان ذلك منه ﷺ بإمساك الوحي عن نهيه والحظر عليه، وهو في ذلك غير حرج ولا مأزور، وكان ذلك له مباحًا مطلقا إذ لم يُنه عنه، وكان في علم الله عز وجل أن من كان معه ممن قد سمعه يستغفر لها سيفترقون ويتحدثون بذلك عنه، فنزل الملك جبريل ﷺ فنهاه عن الاستغفار لأمه، فبكى رحمة لها، ودخله ما يدخل الولد لوالديه، فزجره ونهاه، فاشتد بكاءه وشهيقه، وجعل يُراجع ربه في أمرها، ويذكرُ استغفار إبراهيم لأبيه وأنه لم ينهه عن ذلك، ولم ينزل في القرآن عليه أنه نهاه عن ذلك فهبط جبريل عليه السلام بالوحي من عند الله وهو قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٤] فحرم الله تعالى عليه وعلى سائر المؤمنين، أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وحظر ذلك عليهم جميعًا، وعلم نبيه ﷺ أنه قد نهى إبراهيم عليه السلام عن الاستغفار لأبيه وأمره بالتبرؤ منه، وأن إبراهيم

(١) قال أبو عبيد: المُدَجِّج: لابسُ السلاح التام [لسان العرب].



عليه السلام قد أمسك عن الاستغفار لأبيه وتبرأ منه قَبُولاً من ربه، وانتهاءً عما نهاه عنه، وأن ذلك كان بوحى أنزله على إبراهيم ولم يُنزلْه في القرآن، ولم يذكرْه لنبيه ﷺ، فقال جل اسمه: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] فدل هذا على أن إبراهيم قد كان نهي عن الاستغفار لأبيه، وأمره بالتبري منه بوحى أوجب عليه قبوله، وأن إبراهيم عليه السلام قبل أمره وانتهى عما نهاه، وعلم النبي ﷺ أن إبراهيم الخليل ﷺ داخل في جملة المؤمنين الذين ليس لهم أن يستغفروا للمشركين، فوجب على النبي ﷺ الانتهاء عما نهاه الله عنه؛ فانتهى ﷺ عن الاستغفار لأمه وتبرأ إلى الله منها، وقال بحضرة أصحابه ومن حضر كلامه «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَبَرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَمْنَةٍ كَمَا تَبَرَأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَبِيهِ» [١] ولم نجد الله تعالى ذمَّ نبينا ﷺ فيما كان من استغفاره لأمه قبل الأمر والنهي، ولا ألزمه لَوْماً ولا أثبت عليه الحجة، إذ كانت الحجة إنما ثبتت بعد الأمر والنهي.

وبذلك جرت سنة الله في أمر أمته كلّها من بعده.

[١] روى نحوه الطبراني في الكبير (١٢٠٤٩) وصححه ضياء الدين المقدسي في المختارة (١٥٢) وقال ابن كثير قال ابن كثير: هذا حديث غريب وسياق عجيب" التفسير (ج٢ ص٣٩٤).

ولقد ذكر الله تعالى قصة إبليس وما كان منه في السماء مع الملائكة في الجنة، وهو في سابق علمه أنه ملعون رجيم عدو له ولخلقه مخالف لأمره مرتكبٌ لنهيه عاص له، خلقه من نار وجعل مصيره إلى النار، ولم يخرجْه [بـ] سابق علمه فيه من جنته، ولا باعده من قربهِ، ولا نفاه عن أهل طاعته، ولا أهبطه من سمائه إلى أرضه إلا بعد خروجه عن أمره ونهيه وثبات الحجة عليه بمخالفته وعصيانه، فقال تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٣٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٣٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَوْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الحجر: ٣١-٣٦].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

وقوله عز وجل: ﴿فَقُلْنَا يَكَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِرِجْكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٧] فأخبر الله عز وجل أنه أبى قوله

وخالف أمره، فغضب عليه ولعنه وجعله من المَرجومين، وأخرجه من الجنة وهو من الصاغرين، وأهبطه إلى الأرض، فصار من المَدمُوحين، بقوله عز وجل: ﴿قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٢].

وبقوله: ﴿قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [٣٤] وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ [الحجر: ٣٤-٣٥].

فأعلمنا عز وجل أنه إنما غضب عليه ولعنه وجعله من المَرجومين من بعد خروجه عن أمره ومخالفته إياه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] فدل هذا على أنه إنما وجبت الحجة عليه بعد خروجه عن أمره، ولم نجد الله عز وجل احتج على إبليس بعلمه السابق فيه،<sup>(١)</sup> وإنما احتج عليه بمخالفته أمره، وبذلك جرت سنة الله عز وجل في جميع خلقه.

(١) يعني أنه لم يطرد إبليس وبلعنه أو يعاقبه لأن الله تعالى تعلم أن إبليس سيعصي ويكون من الملعونين في المستقبل، بل لم ينزل عليه الأحكام قبل أمره ونهيه.

ولقد ذكر الله عز وجل قصة فرعون، وما كان من تجبره وعتوه وتكبره وادعائه الربوبية فقال جل اسمه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [الفصص: ٨٣].

وقوله: ﴿قَالَ لَيْنِ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنْ الْمُسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

وقوله عز وجل: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ۖ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤] وقوله: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقُومُ الْيَسَّ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١] وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [الفصص: ٤] وقوله: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣] فأخبرنا الله عز وجل عن كفره وادعائه الربوبية، وعلوه وتجبره في مواضع كثيرة من القرآن، وإمهاله إياه حتى أرسل الله عز وجل موسى ﷺ بالأمر والنهي والآيات والعلامات، فلما كذب وعصى وجحد ما جاء به موسى ﷺ وخالف الأمر وارتكب النهي أخذه الله عز وجل وغرقه وقومه بعد تكذيبهم وعصيانهم ومخالفتهم رسل ربهم وثبات الحجة بذلك عليهم وعصيانهم ومخالفتهم الرسل، وقال عز وجل: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ

وَأَلْمُوتِفَكْتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٨﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿٩﴾ [الحاقة: ٩-١٠] وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذَاً وَبِيلاً ﴿١٦﴾﴾ [الزمل: ١٦] وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٣-١٤] وقال عز وجل: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦] فأعلمنا عز وجل أنه إنما أهلك فرعون وقومه بعد تكذيبهم الرسل ومخالفتهم الأمر والنهي، ولم نجد الله تعالى احتج على فرعون بعلمه السابق فيه وإنما احتج عليه بادعائه الربوبية وما كان منه من عظيم الكفر والعتو والتجبر والتكبر عليه، لأن ذلك كان قبل ثبات الحجة عليه وعلى قومه، وإنما ثبتت الحجة عليه وعلى قومه بعد توجيه الرُّسل والأمر والنهي، وإنما احتج عليهم بعد إرسال رسله بأمره ونهيه.<sup>(١)</sup>

(١) هذا لا يعني عُذَرَ فِرْعَوْنَ بإطلاق، فمن الأفعال ما جعله الله قبيحًا بالفطرة، كقتل النَّفْسِ بِغَيْرِ

ولقد أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة وقصّ علينا أخبارهم وتوجيه الرسل إليهم وإنزاله الكتب عليهم بالأمر والنهي والوعيد والوعيد والترغيب والترهيب، فيلم نجد الله تعالى ذكر هلاك أمة منهم إلا بعد تكذيب الرسل ومخالفة الأمر والنهي، ولا وجدناه - عز وجل - احتج في هلاك أمة منهم وفي عذابهم إلا بمخالفة الأمر وارتكاب النهي وتكذيب الرسل فيما أدوا إليهم في ذلك عن الله تعالى، فقال تعالى:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سَلَالَةً﴾

[الفرقان: ٣٧].

وقال في قصة عاد: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾

[الشعراء: ١٣٩].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۚ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۚ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۚ﴾

[الحاقة: ٤-٦].

الحق، والكذب، ولهذا قال تعالى لموسى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ فأثبت له الطغيان قبل ذهاب موسى ﷺ إليه، لأنّ الفطرة والعقل يقتضيان كذب وشناعة أن يدعي المخلوق الألوهية.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالتُّذْرِ ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ وَحَاصِبًا﴾ [القمر: ٣٣-٣٤].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup>

[الشعراء: ١٧٦] إلى قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

وقال تعالى في موضع آخر، وقد ذكر الأمم فقَصَّ قصصها، ثم قال:

﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٤] يقول حقَّ عليهم

العقاب بتكذيب الرُّسل ومخالفه الأمر والنهي الذي جاؤوهم به.

وقال تعالى في موضع آخر وقد قص قصص الأمم: ﴿كُلُّ كَذَّبَ

الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤] يقول حق عليهم الوعيد بتكذيبهم الرسل

(١) فائدة: وردت «الأيكة» أربع مرات في القرآن، كتبت مرتين «لثيكة» ومرتين «الأيكة» ففي حرف قُرِئَتْ «الأيكة» في كل المواضع، وعند قراءتها فإننا نُقَدِّرُ ألفاً هي مِنْ «ال» التعريف و«الأيكة» هي الشجر الملتف.

وفي حرف قرئت بحسب خطِّ المصحف، فقرئت في الشعراء و ص: «لثيكة» بدون أن نُقَدِّرَ فيها ألفاً، فاللام هو أول الكلمة، والتاء مفتوحة، وكلمة «لثيكة» في هذا الحرف: اسم مدينة، وهو مضاف إليه ممنوع من الصرف.

ومخالفتهم الأمر والنهي.

وقال تعالى في موضع آخر وقد قص قصص الأمم: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠] فأعلمنا الله تعالى أنه ما أخذ أحدًا منهم إلا بذنبه، ولا أهلكهم إلا بعد استحقاقه، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ وَبَعَضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وقال في موضع آخر: ﴿تِلْكَ الْأَقْرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلِكَ ذَلِكَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [يونس: ٧٤].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْأَقْرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ



مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿١١﴾ [هود: ١٠٠-١٠١]

[١٠١]

وقال تعالى في موضع ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]

فأخبرنا عز وجل أنهم عتوا عما نُهوا عنه؛ فجعلهم بعد عُتُوِّهم قردةً خاسئين، وإنما قامت حجةُ الله تعالى على كل أمة بالكتاب الذي أنزله الله عليها، والرسول الذي أرسل إليها، لأن علم النبوة كان في الناس من قبل جهل الجاهلين، فلم يزل كل نبي يأتي أمته بحجة على أولها وحجة على آخرها بالبلاغ، إلى أن يبعث النبي الذي بعده، حتى بعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ إلى الناس كافةً، فكان حجة على الناس كلها إلى أن تقوم الساعة، وبيان ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] فإنما قامت الحجة على الناس لربهم تعالى بالكتب والرسول التي احتج بها عليهم وجعل تعالى الدلالة عليه بخبره عن نفسه الذي نطقت به كتبه وجاءت به رسله، وبذلك اهتدى إليه المهتدون الذين وفقهم الله

للهدى، واستنقذهم بتوفيقه من الردى، وبيان ذلك قوله تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ [سبأ: ٥٠] فأمر الله تعالى نبية ﷺ أن يُخبر أمتَه أنه إنما يهتدي بما يوحى إليه، وهو دليل الناس كافة الذين يهديهم الله تعالى، فأمتَه أخرى أن لا يهتدوا إلا بالوحي الذي به يهتدي نبيهم ﷺ.

وقوله تعالى لموسى ﷺ: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝١٧﴾ ﴿قُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات: ١٧-١٩]. فكانت الرسالة التي جاء بها موسى عليه السلام إلى فرعون فعرضها عليه أن يهديه بها إلى الله تعالى، وأبى فرعون أن يقبل الدلالة التي هي خبرُ الله تعالى عن نفسه التي يهتدي بها إليه، وبها احتجَّ الله تعالى على فرعون، فقال تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾ [الزمل: ١٦].

وقال: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝١٨٤﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝٢٥ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾ [فاطر: ٢٥-٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] فبدأ الله تعالى الناس بنعمته، وفطرهم على معرفته، ثم قَدَّمَ إِلَيْهِمُ الْأَمْرَ بِالْإِيمَانِ والنهي عن المنكر، فقال تعالى: ﴿يَبْنِي عَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٣] وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥-٣٦] فأخبرهم الله تعالى أَنَّ كِتَابَهُ وَرُسُلَهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَقَدَّمَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ لِيُثَبِّتَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا قَامَتْ بِذَلِكَ حُجَّتُهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَتْ مِنَ الْكَافِرِينَ مَعْصِيَةً وَمُخَالَفَةً لِأَمْرِهِ وَارْتِكَابَهُمْ [١] لِنَهْيِهِ؛ أَخْبَرَ جَلَّ وَعَزَّ أَنَّهُ جَعَلَ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ عِقَابَهُ، وَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ بِخَلْقِهِ مَا يَشَاءُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى أَنْ يَكُونَ حُكْمُهُ هَكَذَا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنِي عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [٥٩] وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١] فَحَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بَأَن يَحْتَجَّ عَلَى بَنِي آدَمَ بِالْحُجَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّتِي كَانَ قَدَّمَ عِلْمَهَا إِلَيْهِمْ، كَمَا احْتَجَّ عَلَى أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[١] في المخطوط: وارتكابها.

بالحجة التي قَدَّمَهَا عليه وعهدُها إليه في أكل الشجرة، فأمره ونهاه فأكلها، وكذلك قَدَّمَ إلى بني آدم الأمر والنهي ليكونَ ذلك حجةً عليهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رُسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فقَضَّ اللهُ تعالى على بني آدم علماً يَحْتَجُّ بِهِ عليهم يومَ القيامة، وأخبرهم بما كانوا يعتذرون به إليه= ويحتجون به عليه يومَ القيامة = لو لم يبعث إليهم الرسل ولم ينزل عليهم الكتب، فقال تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق قولَ حَقٍّ قَطَعَ بِهِ عُذْرَهُمْ ودَحَضَ بِهِ حُجَّتَهُمْ وأبطل به عليهم، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [القصص: ٤٧].

ثم أخبر عز وجل عن إقرارهم في النار واعترافهم بثبات الحجة عليهم، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ ۚ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يُتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ ۚ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى مخبرا عن قولهم في النار: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ ۖ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ﴾ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿٥٠﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

و قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبُشَسَ

الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ  
مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾  
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴿٩﴾ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن  
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي  
أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾

[الملك: ٦-١١] فلو كانت الحجة عليهم غير الرُّسُل والآيات التي تُتلى عليهم  
بالأمر والنهي؛ لقررتهم الحزنة بها واحتجت عليهم بها في جهنم، لأنَّ الله  
تعالى قضى عليهم بأن يدخلوها مُقرَّين له بالحجة التي كانوا لها في الدنيا  
جاحدين، ولولا أنَّ الحجة تقديمُ الله إليهم بالوعيد في كتبه التي جاءتهم  
بها رسله؛ ما احتجَّ عليهم بالوعيد، فإنما قامت حجةُ الله تعالى على الخلق  
جميعًا بالرسل والكتب ومخالفة الأمر وارتكاب النهي.

### أراحل الدعوة النبوية

فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ؛ أمره يدعو الناس كلهم إلى الإيمان  
خاصةً دون العمل، وهو القول وحده، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي  
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] فكانت الدعوة إلى الإيمان للناس عامةً وكانت الدعوة إلى الفرائض للمؤمنين خاصة، فأقام النبي ﷺ بمكة عشر سنين أو بضع عشرة سنة يدعو الناس إلى الإيمان فمن آمن بكل ما أمر وعقد على ذلك قلبه وصدق به جوارحه<sup>(١)</sup>؛ كان مؤمناً. وإن مات؛ مات مؤمناً، وليس عليهم في ذلك فرض يؤدونه، ولا ينتهون عن محرم يرتكبونه، وهم في ذلك غير مأزورين ولا عاصين لله تعالى، ولا يكتب عليهم شيء مما يفعلونه، ولا يطالبون به في الدنيا ولا في الآخرة، إذ كان الله تعالى لم ينههم ولم يحرم عليهم ما يفعلونه<sup>(٢)</sup>، وكان

(١) الجوارح: أعضاء الجسم، وتصديقها هو عملها، فإذا عملت بما اعتقده الإنسان فقد صدقت به. وهنا يتكلم عمّا قبل الفرائض، فيكون تصديق الجوارح في نطق اللسان، وترك عبادة الأوثان.

(٢) كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال أنس رضي الله عنه: كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَادِيًا يُنَادِي: «أَلَا إِنَّ الْحَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ» قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِفْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَفْتُهَا، فَجَرْتُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. رواه البخاري (٢٤٦٤) ومسلم (١٩٨٠).

ذلك تخفيفاً من الله تعالى عليهم وترقُّفاً بهم في بدء الإسلام وقُرب  
عهدهم بالجاهلية وجفائهم، ولو جعل الله تعالى الفرائض كلّها مضافةً إلى  
الإيمان وأمر النبي ﷺ أن يدعوهم إلى الإيمان والفرائض معاً في وقتٍ  
واحد؛ لَنَفَرَت قلوبهم وَلَصَّاقَتْ بها صُدُورهم وثقلت على أبدانهم؛ فلم  
يجيبوا إلى ذلك، وكذلك لو حَرَّمَ عليهم جميعَ المَحَارِمِ التي كانوا يتلذذون  
بها من الحَمَرِ، والزنا، والربا، وجميع الفواحش كلّها في وقت واحد؛ ما  
احتملت نياتهم ولا بلغه إيمانهم، وكان الله عز وجل غنياً عنهم قادراً على  
أن يهلكهم ويدمر عليهم إذا أبوا أن يؤدّوا فرائضه ويقبلوا أمره وينتهوا  
عن محارمه حتى لا يدع على الأرض منهم أحداً خرج عن أمره وركب  
نهيه، ولكنه تعالى بخلقه وعباده رحيمٌ، عالمٌ بتدبيرهم، صبورٌ على أذاهم،  
فلم يزل المسلمون كذلك إقامتهم بمكة وبضعة عشر شهراً بالمدينة بعد  
الهجرة.<sup>(١)</sup>

---

(١) عن الإمام الزهري، قال: قال هشام بن عبد الملك: أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر منادياً ينادي: «من  
قال: لا إله إلا الله فله الجنة».

قال: قلت: نعم، وذاك قبل أن تنزل الفرائض، ثم نزلت الفرائض، فينبغي على الناس أن  
يعملوا بما افترض الله عليهم. [السنة للخلال (١٢٣٧)].



فلما سارَعَ النَّاسُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَعَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى ثَبَاتَهُ فِي قُلُوبِهِمْ وَتَصَدِيقَ جَوَارِحِهِمْ بِهِ، وَصَحَّةَ عَقُودِهِمْ، وَحَسَنَ رَغْبَتِهِمْ فِي طَاعَتِهِ؛ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتِ، وَجَعَلَ عِدَّتَهَا خَمْسًا وَصَرَفَهَا إِلَى الْكَعْبَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

وقال تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] فلم يزل الفرض عليهم بالإيمان

وإقام الصلاة لا يؤمرون بشيء غير ذلك، ولا يُنْهَوْنَ عن المحارم التي يركبونها، وهم مع ذلك غير مأزورين ولا مطالبين بما يفعلون، ولا حُجّة عليهم في شيء مما أمروا به إلا إمساك الوحي عن نهيهم.

فلما أجابوا الله تعالى والرسول ﷺ إلى الصلاة وأقاموها، وحولوا قبلتهم إلى الكعبة كما أمروا، وثبتت نياتهم فيها وحسنت رغبتهم في إقامتها، وقويت عزومتهم فيها، وصارت عندهم بمنزلة الإيمان الذي وجب عليهم، وأنه من تركها كان عاصيا لله - عز وجل - مخالفا لأمره لا إيمان له،<sup>(١)</sup> وأقاموا على ذلك برهنة من دهرهم، وعلم الله تعالى صدق نياتهم؛ فرض عليهم الزكاة في أموالهم،<sup>(٢)</sup> وأضافها إلى الصلاة فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾

[البقرة: ٨٣].

وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(١) وهذا يفيد أنه على طريقة السلف في تكفير تارك الصلاة.

(٢) في السنة الثانية للهجرة. [السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥٤٦].

فصار الفرض عليهم بعد الإيمان: الصلاة والزكاة فقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ٥٠﴾ [البينة: ٥٠] فكان الفرض عليهم بعد الإيمان إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهم مع ذلك يأتون كلما حُرِمَ عليهم بعد ذلك، غير مأزورين ولا مأثومين ولا مُطالبين بشيءٍ ممَّا يأتونه، ولا يُكتب عليهم فيه ذنبٌ، ولا تجبُ عليهم حُجةٌ إلا بتضييع شيء من الصلاة أو بترك أداء شيء من الزكاة التي قد أمروا بها.

ثم فرض عليهم الصيام<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] يقول: فرض عليكم الصيام ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ثم فرض عليهم الحج<sup>(٢)</sup> بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ

(١) في السنة الثانية للهجرة. (زاد المعاد ج ٢ ص ٢٩).

(٢) «اختلف العلماء في السنة التي فرض فيها الحج، فقليل في سنة خمس، وقليل في سنة ست، وقليل في سنة تسع، وقليل في سنة عشر، وأقربها إلى الصواب القولان الأخيران، وهو أنه فرض في سنة تسع أو

مَنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿[ال عمران: ٩٧].

ثم أمرهم بالقتال وفرضه عليهم <sup>(١)</sup> بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ  
عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا  
يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

ثم تتابع نزول الأمر والنهي أولاً فاولاً.

سنة عشر، والله أعلم» فتاوى اللجنة الدائمة (ج ١١ ص ١٠).

(١) القتال أبيح في أول الهجرة، وفرض بعد ذلك.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

فقال المأمون: أقصر فهذا يطول جداً.

**قلت:** يا أمير المؤمنين، إنمّا أدرس درساً،<sup>(١)</sup> وأتكلم بما يُجْريه الله تعالى على لساني، وما أدعُ أكثر من ما أتكلم به، وأنا أريد بهذا وضوح العذر عند أمير المؤمنين- أطال الله بقاءه- ولا بُدَّ من ذكر ما حَرَّمَ الله لهم وما نُهِوا عنه.

**فقال له المأمون:** قُل، واقتصر على بعضه.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾<sup>ط</sup> [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>ط</sup> [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>ط</sup> [الأعراف: ٣٣].

(١) «الدَّارِسُ يَتَّبَعُ مَا كَانَ قَرَأَ، كَالسَّالِكِ لِلطَّرِيقِ يَتَّبَعُهُ» (مقاييس اللغة ج٢ ص٢٦٨).

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ<sup>ط</sup> إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا<sup>ط</sup> وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا<sup>ط</sup>﴾ [الأَنْعَام: ١٥١]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ<sup>ط</sup>﴾ [الإِسْرَاء: ٣٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ<sup>ج</sup> وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ<sup>ط</sup> رَحِيمًا<sup>٢٩</sup>﴾ [النِّسَاء: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ<sup>ط</sup> خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ<sup>ط</sup>﴾ [الإِسْرَاء: ٣١]

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ<sup>ط</sup> وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا<sup>٩٣</sup>﴾ [النِّسَاء: ٩٣]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ<sup>ط</sup>﴾ [الأَعْرَاف: ٣٣] يعني بالإِثْم: الخمر.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ<sup>ط</sup> وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ<sup>ط</sup> لَعَلَّكُمْ<sup>ط</sup> تَفْلِحُونَ<sup>٩٠</sup>﴾  
إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَيُضَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ

﴿٩١﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

وقال جل وعز: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ

سَبِيلًا﴾ ﴿٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَعَّفُ

لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ ﴿٦٩﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةٍ ۖ

وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ﴾ [النور: ٢].

وقال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا

يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾ [النور: ٣].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالُ الرِّبَا أَضْعَافًا

مُضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [ال عمران: ١٣٠].

وقال عز وجل: ﴿وَاحِلَ اللَّهِ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].



وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ  
الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٧﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمُ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا  
بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمُ  
بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى  
يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا  
يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي

الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٨﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ

بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّهُ <sup>ط</sup>وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا ﴿٢٤٦﴾ [الحجرات: ٢٤٦].

**فقال المأمون:** حسبك يا عبد العزيز، فإن هذا يطول.

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، فكان القوم يعملون في ارتكاب المحارم قبل نزول الأمر والنهي وهي مباحة لهم مطلقاً غير محظورٍ عليهم، فلما جاء الأمر والتَّهْيِ ووقع التحريم والحظر؛ صاروا ممنوعين مما كان مباحاً لهم وحُظِرَ عليهم ما كان مُطْلَقاً لهم، ووجِبَ عليهم الطاعة لله تعالى فيما أمروا به، والتناهي عما نُهوا عنه ولم يأمر بعقوبة أحدٍ ممن وجب عليه عقوبته أو أقام عليه حدّاً في الدنيا إلا بعد مُخالفة الأمر والتَّهْيِ وارتكابه النهي، كما وجب عليهم الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج، لا فرق بين ذلك، فمن أطاع أمر ربه وتناهى عما نهاه الله، فمن كان مطيعاً لله؛ له الثواب والجزاء. ومن خالف أمره وارتكب نهيه؛ كان عاصياً لله مُستحقاً للعقوبات والعذاب، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

وأنا أذكر ما وَعَدَ اللهُ لأهل طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وَمَنْ قَبِلَ ما أُمِرَ به وعمل به، وما تواعد به أهل الخلاف والعصيان مِنَ العذابِ والعِقَابِ في كُلِّ شيءٍ قَدَمْتُ ذَكَرَهُ في الأمر والنهي ليقف أمير المؤمنين- أطال الله بقاءه- عليه.

إن الله تعالى تجاوزَ عن الخلقِ في ما كانَ منهم قبل نُزول الأمرِ والنهي، ولم يُطالبهم بشيء كان منهم في ترك فرض ولا ارتكاب مُحَرَّم حتى أمرهم ونهاهم، ووجب عليهم الطاعةُ بالأمر والنهي، وقامت الحُجة عليهم بالأمر والنهي، ولم نجد الله تعالى احتج على أحدهم إلا بمخالفته للأمر والنهي، ولم يأمر بعقوبة أحدٍ ممن أوجب عليه العقوبة وأقام عليه حدًا في الدنيا إلا بعد مُخالفته الأمرَ وارتكابه للنهي، ولم يذم أحدًا من المؤمنين بشيء كان منه قبل نزول الأمر والنهي، فيبسط العذرَ لي في ما أتيتُ، إذ كان لي مُباحًا مُطلقًا يامسكُ النهي لي عنه، وتأخير الحظر لي فيه، وإن كنتُ غيرَ ملوم ولا مذموم في فعلي، وغيرَ مخالفٍ لأمير المؤمنين ولا مرتكبًا لنهيه، إلا ما جرَّت به سنةُ الله تعالى في ملائكته وأنبيائه وأعدائه.

فأما وعدُ الله تعالى أهلَ طاعته من عظيم الثواب فهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٨﴾

[النساء: ٦٩].

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- إنه لا يفرغ من هذا إلى الليل، وكلُّ من هاهنا يعلمُ ما وعدَ الله أهلَ طاعته من الثواب، وما توعده

به أهل معصيته من العقاب، وقد تكلم اليوم وهذَى ودرَسَ ما لو كُتِبَ في مئة ورقةٍ ما كفاه مما لا عذر له في شيء منه.

**قال عبد العزيز: فقلت:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- مَنْ أبلغ قولاً وأحسن قصصاً وأظهر عُذراً ممن تلا بعذره قرأناً، واحتج لنفسه وفعله بما أباحه الله تعالى وأطلقه ولم يجرمه ولم ينه عنه ولم يذم فاعله، وجرت بذلك سنته في كتابه لأهل ولايته وعداوته؟

**فقال بشر:** هذه خرافاتٌ قد عملها، يظنُّ أنَّ أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- يسمعها أو يقبلها أو يلتفت إليها، هذا متاعُ القصاص الذي يصلح للعوام، وقد حفظته لتجمعهم وتغريهم بأهل العلم.

**فقال عبد العزيز:** إني لم أخاطب بشراً ولم أعتذر إليه، وإنما اعتذرتُ إليك لما أوجبَه الله تعالى من طاعتِكَ وأسكَنَه قلبي من هيبتِكَ وإعظامِكَ وإجلالِكَ، وما وهبَه الله تعالى لك من دِقَّةِ الفهم، وكمالِ المعرفة، والتواضع للخلق، والرقَّة والوجل عند تلاوة القرآن، وحسن الاستماع والقبول لما جاء في كتاب الله تعالى وعن سنة رسول الله ﷺ.

وألزمتُ نفسي ذنباً وأنا غير مذنبٍ، واعترفْتُ بالخطأ وأنا غير مخطئٍ، خضوعاً وتذللاً لطاعتِكَ، واستكاثَةً لأمرِكَ، وبشرٍ يعارضني بردّ

كتاب الله والتكذيب به، يزعمُ أنَّ كتابَ الله تعالى وكلامه وكلامَ رسول الله ﷺ خرافاتٍ عملتها، وأنَّما جرى مُنذُ اليومَ متاعُ القُصَّاصِ الذي لا يصلح إلا للعوام، يقول قول الكفار، ولقد ذمَّ الله تعالى من قال مثل قوله، ولعنه في كتابه وأكذبه في غير موضعٍ منه، فإن أذن لي أميرُ المؤمنين- أطال الله بقاءه- انتزعت مئة آية أُبين فيها كَذِبَ بِشْرٍ وكفره وافتراءه على الله تعالى.

**فقال المأمون:** لهذا وقتٌ غير هذا، وقد صفحتُ عما كان منك وقبلتُ عذرَكَ، ولقد أبلغتُ في الاعتذارِ، وأوضحتُ الحُجَّةَ فيما كان لك مُباحًا قبل الأمر والنهي، والآن فقد نهيتُك عن مُعاوَدَةِ مثلي ذلك وحظرتَه عليك.

**فقلتُ:** السمع والطاعة، فمتى خالفْتُ هذا الأمرَ وارتكبتُ النهي لزمَنِي الذنبُ ووجبت علي العقوبة.

**قال بشر:** وكل من قتل، أو زنى، أو شرب خمرًا، أو أتى مُحَرَّمًا فقد نهاه الله تعالى نهيا خاصًا ودخل في عموم النهي؟

**قال عبد العزيز:** كلُّ شيء نهى الله عنه في كتابه على لسانِ نبيه ﷺ، وحرَّمه على خَلْقِهِ فهو حرامٌ على جميعِهِم، وعلى كل واحد منهم، وقد

خوِطَبَ به الجميعُ، وخوِطَبَ بِهِ كُلُّ واحدٍ منهم، وهو عامُّ التحريم على الخَلْقِ، وخاصًّا على كل واحدٍ منهم، وقد دخل في النهي كل واحد، وصار حراما على كل أحد.

**فقال بشر:** وكل مَنْ خَرَجَ على أمير المؤمنينَ وَمَرَقَ مِنَ الدينِ وَشَقَّ عصا المسلمين قد أمره أمير المؤمنينَ أو نهاه عن ذلك نهيا خاصًّا؟ إنَّما هو داخل في عموم النهي، وكذلك أنت داخلٌ في عُموم نهيه الذي تقدَّم منه - أطل الله بقاه- في أن لا تُخْرِجَ له سرًّا، ولا تتحدث عنه حديثًا، ولا تذكر شيئًا ممَّا جرى في مجالسِهِ وبين يديه إلا ما أمر بإذاعته.

**قال عبد العزيز: فقلت لبشر:** أما سمعتَ ما قُلْتُ منذ اليوم واحتججتُ به، أنما تثبتُ الحجةُ على الخلقِ بالرُّسُلِ والکُتُبِ والأمرِ والنهي، فما جاءني لأمر المؤمنين رسولٌ ولا كتابٌ، ولا أمرني ولا نهاني مُشافهةً، ولا تقدَّم له إلى رعيَّتِهِ رسولٌ ولا كتابٌ فنهاهم عن ذلك فتثبت علي الحجةُ وتجب علي الطاعةُ لأمره والانتهاؤُ عن نهيه.

فإن يكن هذا حقًّا وقد تقدَّم به أمير المؤمنينَ إلى أوليائه وأهلِ مَجَالِسِهِ ومن يحضُرُ بين يديه ومَنْ يَأْتِيْنُهُ على سِرِّهِ خاصةً دُونَ سائر الناس، فأولى الناس باتِّباع أمير المؤمنينَ مَنْ قد بلغَ إِلَيْهِ أمرُ أمير المؤمنين وتناهى إِلَيْهِ خبرُهُ وصحَّ عِنْدَهُ نهْيُهُ، وقد أقررتَ يا بشرُ أنك ممن قد بلغه

أمر أمير المؤمنين ونهيه، وصح عندك، ووجبت عليك الطاعة لأمره والانتهاء عن نهيه، ثم إنك بعد ذلك أول من خالف أمير المؤمنين، وخرج عن طاعته، وارتكب نهيه، وعدل عن موافقته، وأبدأ<sup>(١)</sup> أخباره، وأظهر أسرارَه، وأباح كتمانَه، والدليل على ذلك والشاهد عليك به: وضعك الكتاب الذي سميتَه بـ «كتاب الكمال في الشرح والبيان بخلق القرآن رداً على أهل الكفر والضلال» تذكر فيه مذهب أمير المؤمنين، واعتقاده، وما جرى في سائر مجالسه من الكلام، ومناظرة كل من ناظرته بين يديه، حتى بلغ ذلك الكتاب إليّ فألحقتني في آخر الكتاب تذكر أنك أكفرتني وأثبت الحجة عليّ في خلق القرآن بالشرح والبيان، وأنّ أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أقالني واستبقاني بعد وجوب القتل عليّ، وصفح عما كان مني لِميله إلى العرب، فمن أشدّ خلافاً لأمر المؤمنين وخروجاً عن طاعته ممن عصاه وارتكب نهيه وقد عرفه ووقف على صحته وشهد على نفسه أنه قد بلغه نهيه؟ ومن أنصف وأعدل ممن أقام الشاهد على خصمه من كتابه وقوله؟<sup>(٢)</sup>

---

(١) أبداً: أظهر.

(٢) بشرُ أساء للمؤمن في كتابه هذا حينما قال إنه صفح عن عبد العزيز لأنه عربي، وعبد العزيز عرف هذا، ولو أنّه لمّا سمع بالكتاب سارع وأخبر به المؤمن لغضب المؤمن من بشرٍ، إلا أنه لم



**قال عبد العزيز:** ثم أقبلت على المأمون **فقلت:** يا أمير المؤمنين، دمي مرتَهْنُ بما قُلْتُ، فليأمر أمير المؤمنين بإحضارِ هذا الكتابِ الذي قد ترجمه «كتاب الكمال» فإنَّك ما قد وصفتُ؛ علِمَ أن بشرًا قد خالف أمره، وارتكب نهيه، ويَبِّنَ أخباره، وأظهر أسرارَه، وتَكَذَّبَ عليه، وباحَ بما يجب كتمانَه، وأشاعَ ما كان في سائر مجالسِه كلها، ونسبَ أمير المؤمنين إلى مُوافِقَتِه على قولِه بخلق القرآن، وقد أجل اللهُ قدرَ أمير المؤمنين عن أن تظهر له مقالةٌ أو يقفَ له على مذهب غير موافقة الكتاب والسنة وما مضى عليه الراشدون المهتدون، ثم هو -أيده الله- تعالى أعلى عينا بما يراه بعد وقوفه على صحه قولي، وهذا كتابي الذي ذكرَ بشرٌ أني وضعتَه وأمليتَه على الناس وتكذبت فيه وحكيت أضعاف ما جري بيننا، (فأخرجته من كُمي ورميتُ به بين يديه) فليأمر أمير المؤمنين بقراءتِه عليه، فإن يكونَ فيه زيغٌ ممَّا جرى في المجلس، أو يكون حرقًا زائدًا غير ما جرى أو حرفان زائدان مم لم يسمعه أمير المؤمنين؛ فهو في حلٍ وسعةٍ من دمي، وإنمَّا كتبتُ هذا الكتاب -يا أمير المؤمنين- ليقف الخلقُ كُلُّهم على عدلٍ

---

يتكلَّم به حتَّى تكلمَ بشر في الأمر، وهذا دليل على أنَّ أهل السنَّة ليس مِن منْهَجهم الوشاية بخصوصهم إلى السلاطين.

أمير المؤمنين ونصفت<sup>(١)</sup> وميله إلى الحق، وموافقته إياه واتباعه له حيث كان، وعدوله عن الباطل وانحرافه عن أهله حيث كان.

**قال عبد العزيز:** فاقبل المأمون على بشرٍ فقال له: قد وضعت هذا الكتاب الذي ذكره عبد العزيز مترجماً بـ «كتاب الكمال»؟

**قال:** نعم يا أمير المؤمنين، وأنا وضعته أحتج به على من خالفني في خلق القرآن، وأذكر الشرح والبيان، وأما ما حكى عبد العزيز مما فيه، فقد أبطل، وما فيه مما حكاه شيء، وأنا أحضره حتى يقف أمير المؤمنين على بطلان قوله.

قال عبد العزيز: فلما علم المأمون أنه كما قلتُ وأناي ما تزيدت فيه، وأنه كذب في ما قال، فأقبل عليه فقال: أنت تضع مثل هذا الكتاب وتقرؤه على الناس وتُمليه عليهم، وتجيء وتذكر ما فعله غيرك مما تقدم فعلك فعله، فأني حجة أبلغ لخصمك عليك من أن يكون تأسّى بك واقتدى بك وفعل مثل فعلك، وما الحجة عليه بأثبت منها عليك، إلا أنه أعلم بما يأتي منك، فما الحجة له بالزم منها لك.

(١) النصفة: الإنصاف.

## التفريق بين الاسم واللقب

**فقال بشر:** يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- أنا أمدح أمير المؤمنين في كُلِّ كلمة، وأدعو له، وأنسبه إلى الخلافة التي لا شيء أجل منها، وعبدُ العزيز يُلقَّبُ أمير المؤمنين في كل كلمة،<sup>(١)</sup> ولا ينسبُه إلى الخلافة، ولا يدعو له، وإنما جعل اللقب للخلفاء بعد الأسماء والتُّعوتِ والصفاتِ ليفرِّقُ بها بين بعضهم وبعض<sup>(٢)</sup>، لا لأنها تُذكر عن أحد منهم مُفردًا، فمن أفرَدَ أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- باللقبِ فإنما أراد تنقصه وعيبه، وهذا هو الذي أباح دمه وأوجب عقوبته، وكل شيء يقع فيه الاعتذار إلا هذا فلا عُذر فيه لقائلٍ ولا حجة فيه لمُحتج.

**قال عبد العزيز:** فقلت له: اسكت، أخرسَ الله لسانك وأعمى بصرَكَ كما أعمى قلبَكَ يا عدوَّ الله، تستقبلُ أمير المؤمنين بهذه الألفاظِ

---

(١) أي يقول «المأمون» وهذا ليس اسمه الأصلي، فاسمه عبد الله، والمأمون هي التسمية التي كان يشتهر بها.

(٢) الألقاب: يقصد مثل الأمين والمأمون والرَّشيد والمعتصم، فكانوا يتسمون بمثل هذه الأسماء تشريفًا لأنفسهم، ولأن أسماءهم الأصليَّة تتشابه.

القبیحة الدّمیمة<sup>(١)</sup> التي تُشبهك وتُشبه أسلافك، التي لم يرضها الله تعالى لعباده المؤمنين ونهاهم عنها في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] فنهى الله تعالى المؤمنين عن الألقاب والتنابز،<sup>(٢)</sup> فتزعّم -يا عدوّ الله تعالى- أنّ النبي ﷺ خالف أمر

(١) الدميم (بالدال) هو القبيح الحقيق. «عن ابن الأعرابي قال: الدميم بالدال في قده، والدميم في أخلاقه» (تهذيب اللغة ج ١٤ ص ٥٩).

(٢) هذا بناء على أن الألقاب مذمومة مطلقاً، والأسماء هي المدحوة، فما كان من نعت حسن يضاف إلى الشخص فإنه اسم وليست لقباً، وقد قال محمد بن يحيى الصولي (المتوفى: ٥٣٥هـ) عن الأسماء: «وإني لأعجب من إطباق الناس على تسميتها ألقاباً فيقولون لقب بكذا وهذا عندي خطأ، كبير، وزلل عظيم، لأن الألقاب مكروهة ومنهى عنها في كتاب الله جل وعلا، وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله جل وعز ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾» في كتاب الأوراق قسم أخبار الشعراء (ج ٢ ص ٢).

وقال ابن فارس (لَقَبَ) اللَّامُ وَالْقَافُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ. اللَّقَبُ: النَّبَرُ، وَاحِدٌ. وَلَقَبْتُهُ تَلْقِيبًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

وقال الشاعر «أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبه، والسوء اللقب» والكنية كقولنا «أبو فلان» أو «أبو فلانة» أو «أم فلان» أو «أم فلانة» وباختصار، الكنية: كل ما صدر بأبي أو أم.

ربه، ولم يقبل قوله وارتكب نهيه لأنه لَقَّبَ أبا بكرٍ بالصدِّيق<sup>(١)</sup>، ولَقَّبَ عمرَ بالفاروق، ولَقَّبَ عثمانَ بذِي النورين، وقد حَلَّ دُمُكَ -يا عدو الله- بدعواك هذا على رسول الله ﷺ، وعلى أصحابه رضي الله عنهم، وعلى الخلفاء الراشدين إذ اختاروا الألقاب لأنفسهم ولأولادهم خلافاً لأمر الله -عز وجل- وارتكاباً لنهيه، وقد برَّأهم الله تعالى من ذلك ووصفهم ونعتهم بغير ما قُلْتَ، فقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ١٧] فقد حل دُمُكَ بردَّكَ على الله تعالى قوله وأخباره ونعته وصِفَّته ومدحه لخلفاء في أرضه، ولقد امتدَّحَ اللهُ أَهْلَ وَلَايَتِهِ وذمَّ أَهْلَ عداوته وفرَّقَ بين مدحه وذمه، فجعل = ما كان من حَسَنٍ وجميل وخيرٍ وفضل وثَقَى وعَمِلَ صالح = مديحاً لأهل وَلَايَتِهِ، فقال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ٥١-٦١].

على أن هذا التفريق ليس لازماً بالضرورة، فقد قال الله تعالى عن الفسوق اسماً ﴿يُنْسَى الْأَسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾.

(١) أي: «الصدِّيق» اسم وليس لقباً، فمن قال عنه إنه لقب؛ فقد اتَّهَمَ النبيَّ بإطلاق كلمة قبيحة على أبي بكر رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الأنفطار: ٣١]

وقال تعالى: ﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ﴾ [٤٤] إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ [٤٥] وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ [٤٦]

[ص: ٤٥-٤٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥/الذاريات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فامتدحهم تعالى بهذه الأسماء وصيَّرها مديحاً وصفةً لهم ونعتاً لهم وزينا لهم، وذكر تعالى أعداءه فقال: «المشركين» و«الكافرين» و«المنافقين» و«المجرمين» و«الفاسقين» و«الظالمين» و«الطاغين» و«الخابسين» فذمَّهم بهذه الأسماء وصيَّرها ذماً لهم وغيباً لهم وشيناً لهم.

ثم قال تعالى: ﴿أَمَنَ جَعْلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٧﴾ [ص: ٢٨] نفى الله جل وعز عن نفسه الشريفة أن يجعل أعداءه كأوليائه أو يمتدح أعداءه كما امتدح أوليائه.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً فَأَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الحج: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [٣٥] مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وأنت تزعم أن مدحة الله تعالى وذمه واحد، وأن المدح الذي أمتدحه أوليائه لقب لهم، وإن الله تعالى نهى عن اللقب وتواعد عليه ولقب أنبياءه وأصفياءه وأوليائه وارتضى لهم اللقب كما ارتضاه لأعدائه.

فقد أعظم الفرية على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى خلفائه الراشدين من جعل المدح لقباً والذم لقباً ولم يفرق بينهما، لأنه من سنة العرب ولغايتها وما لم تزل تتعامل به في خطابها أن كل شيء من الثعوت

والصفات الصالحة الزاكية والخير والفضل والثقي والورع والخشوع والتواضع وأشباه ذلك تُسميه مدحا وزينا، وكل شيء من الأعمال القبيحة والشر والاذى والردى والحقى والفسوق والفجور والظلم وأشباه ذلك تُسميه ذما وعيبا وشينا، وتُفرق بين المدح والذم بأن تنسب كل ما كان عندها من المدح إلى الاسمىة، فتقول: «هذا أُسميه» لأن الاسمىة هي غاية المدح عندها وأعلها وأرفعها درجة، وتنسب الذم وكلما كان عندها من جنسه إلى اللقب، وهو عندها غاية الذم والنهاية في العيب: وأعلى درجات العيب والذم: اللقب،<sup>[١]</sup> فكان الفرق عند العرب في المدح والذم بهذا، تجعل غاية المدح والنهاية في الوصف الاسمىة، وتجعل غاية الذم والنهاية في العيب اللقب، فهذا كان الفرق بين المدح والذم عند العرب، وبذلك خاطبها الله تعالى فعقلت عنه ما أراد، وكذلك كان فعل رسول الله ﷺ في مدح أبي بكر بالصديق، وعمر بالفاروق، وعثمان بذي النورين، وعليا بالرضي<sup>[٢]</sup> - رضوان الله تعالى عليهم - أنه بالغ في مدحتهم وشرّفهم، وجعل

[١] في المخطوطين: «واللقب» والسياق لا يقتضي العطف.

[٢] لا شك أنّه رضي، إلا أنّ نسبة هذا الاسم لأُمير المؤمنين غير موجود في مخطوط جامعة الملك سعود، ولم أجد هذا اللقب إلا قريبا منه في رواية شيعية ذكرها شهاب الدين الشافعي الإيجي (عاش في القرن التاسع، وهو غير العضد الأشعري الإيجي صاحب كتاب المواقف) في كتابه «توضيح



ذلك اسميَّةً لهم، وكذلك فعل الخلفاء من ولدِ العباس- صلوات الله عليهم- اقتدوا بنبيهم محمد ﷺ وسلكوا مسلك الخلفاء الراشدين المهتدين وأخذوا على مثالهم وتشبهوا بهم ورغبوا في سنتهم وأتباع مناهجهم، ولم يرغبوا في سنة من تقدَّمهم من خلفاء بني أمية الذين رغبوا عن سُنَّة الخلفاء الراشدين المُهتدين وعن مِدحتهم، فجُعِلت المِدحة للخلفاء من بني العباس- رضي الله عنه- وتمت النعمة عليهم، وتكاملت الصفاتُ الجميلة فيهم، وأمير المؤمنين يعلم ويشهد لي بذلك وبصحة ما أقول إذ كان بيتَ اللغة وأعلمَ خلق الله بقول العرب، وإنه لَيَعْلَمُ- أيده الله- أن قولي «المأمون» أعلى وأجلُّ من قولي «الخليفة» و«المَلِك» إذ كانت هذه الصفاتُ قد وقعت على غير مستحقها ممن تقلَّد

---

الدلائل» (ص ١٥٠) وقال فيها: «روت الثقات: أَنَّهُ لَمَّا وَلَدَ عَلِيٌّ (عليه السلام) أَتَى أَبُوهُ أَبُو طَالِبٍ الْبَيْتَ، فَقَالَ:

يَا رَبَّ ذَا الْغَسَقِ الدَّجِي \* \* \* رَبَّ الْبَلَدِ الضَّحِي

وَالْقَمَرِ الْمُبْتَلَجِ الْمُضِي \* \* \* بَيْنَ لَنَا بِاسْمِ ذَا الصُّبِيِّ

فأجابه الهاتف:

خَصَّصْتُمَا بِالْوَلَدِ الزَّكِيِّ \* \* \* الطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ الرُّضِيِّ

وَإِنَّ اسْمَهُ مِنْ شَامِخِ الْعَلِيِّ \* \* \* عَلِيٌّ اشْتَقَّ مِنَ الْعَلِيِّ

هذا الأمر من قَبْلِ وَلَدِ الْعَبَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَّفَ وَلَدَ الْعَبَّاسِ بِأَنْ شَرَعَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ الَّتِي هِيَ غَايَةُ الْمَدْحِ وَالنِّهَايَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَحَبَّبَهَا إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَهَا بَاقِيَةً فِيهِمْ يَتَوَارَثُونَهَا وَاحِدًا عَنْ وَاحِدٍ وَهِيَ الْأَسْمِيَّةُ.

**فقال بشر:** ليس كلما تحكيه عند العرب نقبله منك، لأنك تحكي شيئاً كثيراً ليس هو من قولها، فإن كان هذا كما تزعم من قولها فأخبرنا بشيء من قولها تستدل به على صدق قولك.

**قال عبد العزيز:** كيف يتهيا لي التزيد على العرب وبيت اللغة ومعقلها يسمعي، فافهم واسمع جواب ما سألت عنه.

إنَّ العرب تقول اسم واسميَّة، ولقب.

فأما الاسم: فعبدُ الله، ومحمد، وزيد، وبكر، وما أشبهه.

وأما الاسمية: فما كان مدحاً مثل قولهم: المهدي، والرشيدي، والمأمون، ومثل قولهم: البطل<sup>[١]</sup> والكامل.

وأما اللقب: في مثل قولهم: رأس الكلب، ووجه النعجة، وذنب العنز،

[١] في المخطوطان: «البطال» ومعناها قبيح، وهو الفارغ الفاشل، فأثبتها: البطل.

وأشبه ذلك مما يَغضِبُ منه من نُسب إليه، وما هو ذم، وهو الذي نهى الله تعالى عنه بقوله ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] فهذا الذي تتعارفه العرب في لُغَاتِهَا وكَلَامِهَا.

### [أمثلة على الإسم واللقب]

**فقال بشر:** فأوجدنا من كلامها شيئاً مَدَحَتْ به إنساناً أو ذمته أو غيرت ذمّه بمدحٍ نقلته إليه.

**قال عبد العزيز:** **فقلت:** قد فعل ذلك رسول الله ﷺ، بزيد، كان لقبه «زيدُ الخيل» وكان يكره ذلك اللقب، فنقله رسول الله ﷺ إلى المدح فقال: نجعله «زيد الخير» فصار بهذا مِدْحَةً له، وأزال عنه اللقب الذي كان يُغضبه، وكان بنو لَأي بن شماس يلقبون ببني أنفِ الناقة فيغضبهم ذلك ويبلغُ منهم، فَمَدَحَهُم الحُطَيْثَةُ الشاعر فقال:

قوم هم الأنف، والأذنبُ غيرُهم      ومن يساوي بأنفِ الناقةِ الذنبا؟!

فمدحهم وصيَّره اسميَّةً لهم، وأزال عنهم اللقب الذي كان يغضبهم، فصار مديحاً لهم حتى أن أهلهم يمتدحونهم بذلك، وزال عنهم اللقب، وهذا أكثرُ موجودٍ في كلام العرب وخطابها وأشعارها، وإنما يجب أن يُطالب بإقامة الدليل والشاهد على ما يقع فيه خلافٌ، فأما ما لا اختلاف

فيه فما مطالبتي بإقامة الدليل عليه وأمير المؤمنين يعلم ويشهد لي بصحة قولي إذ كان بيت اللغة؟!

**فقال المأمون:** قد أحسنت يا عبد العزيز في الاعتذار وإقامة الحجة، وقد صفحت عما كان منك، وما قلت إلا ماتعارفه العرب وتعامل به في خطابها ولغاتها.

قال عبد العزيز: ثم أقبل المأمون على بشرٍ، **فقال له:** الخطأ لك ألزم منه لعبد العزيز في كل حال، ولكني أرجع إلى قلة معرفتك باللغة، واختلاطك بالعوام، ومذهبك في كلامك، وكثرة خطئك وزلك، فأنت تخطئ من حيث لا تدري ومن حيث ترى أنك تصيب، وقد صفحت عنك أيضا كما صفحت عن عبد العزيز.

### [نتيجة الجلسة]

ثم أقبل المأمون عليّ **فقال:** يا عبد العزيز، تلاف ما كان منك مما تستقبل، ولا تدعن أحداً ممن كتب بهذا الكتاب عنك إلا طالبته برده إليك حتى لا يبقى عند أحدٍ منه نسخةٌ يُخرجُها بعد اليوم، ولا يذكر شيئاً مما كان، فإنه متى اتّصل بي أن عند أحدٍ منه نسخة، أو بلغني أن أحداً أخرج هذا الكتاب؛ لحقك مني ما تكره، ولم أقرّك على ذلك بعد الأمر والنهي الذي كان قد شافهتك به.

**قال عبد العزيز: فقلت له:** يا أمير المؤمنين، أطل الله بقاءك، أما أنه في خاصة نفسي قد سمعت ما أمر به أمير المؤمنين وما نهى عنه، وقد وجب عليّ قبول أمره والانتهاء عما نهاني عنه، فلا أذكر شيئاً مما جرى في المجلس، ولا مما يجري في مجالس بعد هذا الوقت، ولا أكتبه لأحد من الناس [ولا] [١] يسألني عنه أحد من الناس فأخبره به. وأما استرجاع ما كتبت عني وأخذك لنسخة في أيدي الناس حتى لا يبقى في يد أحد نسخة يذكرها ولا يظهرها بعد هذا الوقت؛ فهذا والله -يا أمير المؤمنين- ما لا تقدر عليه أنت وقد مكنك الله وأعلى يدك وبسطها على الخلق، فكيف أقدر أنا في ضعفي ومهائتي وعجزتي وقصور ידי، ولست أضمن لأمر المؤمنين ما لا أفي به ولا أقدر عليه؛ فيقف مني على خلف موعدي وتزيد في كلامي، فإن هذا مما لا أقدر عليه وإن اجتهدت.

**فقال المأمون:** ولم ذلك؟

**فقلت:** يا أمير المؤمنين، قد كتبه واحد عن واحد، وقد دار في أيدي الناس، ولا يعرف من كتبه ولا من هو عنده فيقصده بمطالبتها، فإن أحب

[١] ليست في المخطوط، ولكن السياق يقتضيها.

أمير المؤمنين أن لا يظهر منه نسخة ولا يذكر منها شيء بعد هذا الوقت؛ فليأمر -أيده الله تعالى- بالنداء في الجانبين: أن من أظهر لهذا المجلس نسخة أو ذكر منه شيئاً؛ عوقب بأغلظ عقوبة، فإن هذا ينتشر وينجّع، ولا يتهياً لأحد إظهار شيء منه بعد النداء، فإن اتصل لأمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- أني ذكرت حرفاً واحداً بعد هذا اليوم، أو أملتته على أحد، أو دفعت إلى أحد نسخة يكتب منها؛ فدمي لأمير المؤمنين حلالاً.

فلم يرض هذا الجواب مني، وأظهر السخط **وقال**: إن كنت لا تقدر على هذا فالزم بيتك، ولا تخرج إلا إلى الصلاة والجمعة أو حاجة عرضت لك، ولا يجلس إليك جماعة في المسجد الجامع ولا في غيره من المواضع، ولا يدخل إلى منزلك أحد، واحذر أن تتكلم بشيء تستوجب به عقوبي.

**فقلت**: السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين.

قال عبد العزيز: فانصرفت على تلك الحالة.

فلما خرجت من بين يديه؛ أقبل على بشرٍ وغيره ممن كلمه في أمري وأغراه بي قبل إحضاري، **فقال لهم**: هذا الرجل أوحده في دهره، والله لا اعتذاره في حاله الخوف والجزع -على غير أهبة كانت منه- أحسن من

كلامه ومناظرته، ولقد اعتذر بما لو خرج علينا وفارقنا وفارق عصا المسلمين ثم اعتذر بمثله لَوَجَبَ الصفحُ عنه وقبولُ عذره، فكيف ولا ذنبَ له! وإنما تزيدتم عليه وأغريتموني به، وإنه لمن دميم الأخلاق أن ينصرف من بين يدي بعد حسن الاعتذار على مثل هذه الحالة، ولكني فعلتُ به ما فعلتُ ليسكنَ عنكم ما شكوتُموه من تَوَثُّبِ الرعية عليكم وما يتصل بكم عنهم فينكسروا إذا بلغهم ذلك بسخطي على عبد العزيز ويرجعوا إلى الخوف والرهب.

قال عبد العزيز: أخبرني بهذا الكلام = الذي ذكرته أنه كان منه بعد خروجي من بين يديه، وما كان من الكلام الذي جعلته أول كتابي مما تكلم به أمير المؤمنين قبل توجيهه إليّ = أبو كامل الخادم، وكان من أهل السنة شديد المحبة لي والميل لي، وكان له من المأمون محل لطيف جداً، يقوم على رأسه فلا يخفى عليه شيء مما يجري.

### امراجعة عبد العزيز المأمون

قال عبد العزيز: فلم أزل في منزلي أياماً لا يدخل عليّ أحد، وجُعِلَتِ الأرصَادُ عليّ رجاءً أن يقفوا على دخول أحد عليّ أو كلامٍ لأحد فيجدوا السبيل إلى مكروهي، وحذرتهم حذراً شديداً.

فلما كان بعد أيام اتصل بي ذكرُ أمير المؤمنين لي إذ حضروا

وتكلموا بين يديه، فكتبتُ إليه قصيده واستعنتبه<sup>(١)</sup> فيها ودفعها الى أبي كامل الخادم وسألته أن يضعها بين يديه إذا خلا ورآه طيبَ النفس، فلم يزل أبو كامل يتربد ذلك منه حتى وجده، فوضع الرقعة بين يديه، فأخذها وقرأها وجعل يردد شيئاً فيها لم يقف عليه، وكان عالماً بالغريب من الشعر وغيره، فلماً لم يقف على ما فيها ولم يعرفه؛ قال لأبي كامل: «اركب فجنني بعبد العزيز الساعة» فجاءني أبو كامل فقال: «أجب أمير المؤمنين» وعرفني الخبر وما عمله وما كان من المأمون وحيرته عند قراءة الرقعة وطول فكره، فعلمت ما خفي عليه منها.

وهذه القصيدة التي كتبتها إليه [من الطويل]

أَيَا جَاعِلَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ جُنَّةً<sup>(٢)</sup>      فَدَلَ بِهَا لِلدِّينِ غَاوٍ وَطَامِعُ<sup>(٣)</sup>

(١) استعنتبه: أي استرضيه، و«أصل العُتْبَى رجوعُ المُسْتَعْتَبِ إِلَى مُحَبَّةِ صاحبه» [لسان العرب]

(٢) الجُنَّة: هي الوقاية، فكأنه يقول: استعملت منصبك الديني لحماية الدين.

(٣) فدللت (من الدلال) في الدنيا أناساً لأجل حسن ظنك بهم وانتسابهم للدين، منهم من هو غوي ضال، ومنهم طامع.

(في المطبوع «فذلّ» وقد أثبتُ ما في المخطوطين عندي، وفي المطبوع اختلافات أخرى، وكأني به أثبت القصيدة من كتاب «روضة الإعلام بمنزلة العربية من الإسلام» والله أعلم).



- هَلِ الْعُذْرُ إِلَّا مَا اعْتَذَرْتُ بِمِثْلِهِ      إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ الْعُذْرَ أَدَّاهُ سَامِعٌ<sup>(١)</sup>
- إِذَا لَمْ يَكُنْ قَوْلِي لَدَيْكَ بِمُسْمَعٍ      وَلَمْ تَرَ سَعِيًّا مِنْكَ عَيْنٌ تُطَالِعُ<sup>(٢)</sup>
- فَإِنِّي وَمَنْ قَدْ ضَرَّ ضِعْفًا رَعِيَّةً<sup>(٣)</sup>      يَرَى اللَّهُ أَنِّي فِيهِمْ لَكَ نَافِعٌ<sup>(٤)</sup>
- غَدَاةَ تَجَلَّى سَاعِيًّا لِشَتَاتِهَا      وَيَرَدُّعُنِي عَنْ جَمْعِهَا مِنْكَ رَادِعٌ<sup>(٥)</sup>

(١) أي: هل يوجد عذر أبلغ مما اعتذرت لك به، لكن لو كان المؤدي لهذا مسموعاً عندك لعذرتك. وجاءت «سامع» بمعنى «مسموع» مثل «عيشة راضية» أي «مرضية» وهو مما لا يستخدم إلا قليلاً عند العرب.

(٢) إذا لم يكن قولي مسموعاً عندك، ولم أر سعيّاً منك إلى قبول كلامي والتخفيف عني وأنا أطلع هذا وأنتظره.

(٣) فاعلم أنني ومن قد تضرر غيري من رعيتك، وهو تضرروا ضعف ما تضررت أنا، فضرري مجبسي وتخويفي ومنعي من الكلام، وهم تضرروا بتخويفهم ومنعهم من الكلام إضافة إلى وجود من يضلهم عن الحق فكان ضررهم الضعف.

(٤) الله تعالى يرى ويعلم أنني أنفعم بوجودي فيهم، بدفاعي عن الدين فأخفف عنك وزر المضلين الذين أطلقت يدهم ليضلوا الناس، ومع ذلك فأني لا أحرصُ النَّاسَ عليك.

(٥) أي كأن الناس كانوا أشتاتاً متفرقين بسبب الفتنة، وأنا تجليت وظهرت لأجمعهم على الحق، لكنك ردعتني ومنعتني.

- كُمُسْتَعْتَبِ النُّعْمَانِ مِمَّنْ وَشَى بِهِ<sup>(١)</sup> فَقَالَ بِيْزِي نَاصِحَ الْجَيْبِ خَاضِعُ<sup>(٢)</sup>
- حَمَلْتَ عَلَيَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتَهُ كَذَاكَ يُدَاوِي الْجِسْمَ مِنِّي مُصَحِّحًا
- كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ<sup>(٣)</sup> وَذَاكَ لَهُ الْجِسْمُ بِهِ الدَّاءُ نَاقِعُ<sup>(٤)</sup>
- فَلَمْ يَشْفِهِ أَتَى تَجَرَّعْتُ دَوْنَهُ أَمَرَ دَوَاءٍ طَعْمُهُ مُتَقَاصِعُ<sup>(٥)</sup>

(١) أي حالي كحال النابغة الذبياني وهو من مشاهير شعراء الجاهلية حينما استعتب الأمير النعمان بن المنذر، وقد كان النابغة مُقَرَّبًا جدًا إلى النعمان، وقد طلب منه النعمان أن يصف له زوجته، ففعل النابغة إلا أنه بالغ في وصف زوجة النعمان حتى وصف فرجها، وكان هناك رجل متَّهَمٌ بأنه على علاقة بها، فقال: «والله ما يصف هذا الوصف إلا مَنْ جَرَّبَ» فغضب النعمان وأراد قتل النابغة، فهرب. [انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٦٤]

(٢) أي النابغة قال وهو ناصح الجيب، والجيب: القلب.

(٣) البيت للنابغة، وصدره هكذا جاء في كتاب الأمثال للقاسم بن سلام، ولكن الأشهر أنه قال «وكلفني ذنب امرئ وتركته» ومعناه حملتني جريرة المذنب وتركته، كذي العُرِّ، وهو الجمل المصاب بمرض العر، وهو شبيه بالجرب، فالعرب يركون الجمل المريض ويُركون بجنبه جملاً صحيحاً ويكونون الصحيح، بينما المريض راتع، أي متنعم لا يصيبه شيء.

(٤) كذلك كان حالي، فقد عالجني أنا بالكَيِّ طلباً للصحة، وتركْتُ بشراً الذي اجتمع فيه المرض.

(٥) لكن هذا الذي فعلته من عقوبة لي -شَبَّهَهَا بالدواء المر- لم يشفِ بشراً.

متقاصع: يقال: «قَصَعَ الماء» ابتلعه جَزَعاً [لسان العرب] وفي مخطوط شستريتي وفي المطبوع

وَذُو الْعُرِّ يَشْفِيهِ مُدَاوَاةٌ غَيْرُهُ إِذَا مَا اكْتَوَى عَنْهُ الصَّحِيحُ الْمُضَارِعُ<sup>(١)</sup>

قال عبد العزيز: فلَمَّا دخلتُ على المأمون إذا هو جالس والقصيدة بين يديه على فخذِه وهو ينظر فيها، فلَمَّا دخلتُ **قال لي**: «اجلس» فجلستُ بين يديه ثم **قال لي**: أَيْشَ هذا الذي كتبته في قصيدتك مما لا يُعرَفُ في كلام العرب؟

**فقلت**: وما هو يا أمير المؤمنين؟ فأني ما كتبت إلا ما تتعارفه العرب وتعامل به في لغاتها وأشعارها.

فوضع يده على البيت الذي قلت فيه

حَمَلْتُ عَلَيَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتُهُ كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ<sup>(٢)</sup>

«متقاطع» ولا معنى لها.

(١) أما الجمل المصاب بالعر فإنه يُشفى بكَيِّ غيره، وبشر لم يُشف، فأني نفع لما فعلته بي؟!

(٢) البيت للنابغة، وصدره هكذا جاء في كتاب الأمثال للقاسم بن سلام، ولكن الأشهر أنه قال «وكلفني ذنب امرئ وتركت» ومعناه حملتني جريرة المذنب وتركت، كذي العر، وهو الجمل المصاب بمرض العر، وهو شبيهه بالجرب، فالعرب يُبركون الجمل المريض ويُبركون مجنبه جملاً صحيحاً ويكونون الصحيح، بينما المريض راتع، أي متنعم لا يصيبه شيء.

**فقلتُ:** يا أمير المؤمنين، هذا من أصحّ بيتٍ تقوله العربُ وأوضحه معنى لكثرة مشاهدتها لِمَا ذكرته منه.

**فقال المأمون:** أيش معنى قولك: «كَذِي العَرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ»؟

**فقلتُ:** يا أمير المؤمنين، عندنا في البادية داء يقع على الجمَلِ يُقال له العُرُّ، من جنس الجرب، إلّا أنه ليس بجربٍ، فإذا أصابَ البَعِيرَ وظَهَرَ به؛ لم يكن له دواء في الدنيا إلّا أن يُجاء بهذا البعير الذي قد أصابه العُرُّ فَيُبْرَكُ، ثم يُجاء ببعيرٍ صَحِيحٍ ليس به عِلَّةٌ فَيُبْرَكُ بِجِيَالِ البَعِيرِ، فلم يزل يكوى أبداً الصحيح حتى يبرأ السَّقِيمُ.

**فقال المأمون:** هذا شيء لا أقبله ولا يكون مثله.

**فقلتُ:** يا أمير المؤمنين، هذا شيء تتعارفه العرب، ولا تدفعه ولا بينهم فيه خلاف، يشاهدونه كلّ يومٍ وكلّ ساعةٍ.

**فقال المأمون لعمر بن مَسْعَدَةَ:** انظر مَنْ هاهنا مِنَ العربِ فأحضره. فتوجّه فأحضر جماعةً مِنْهُمْ.

**فقال:** سلُّهُمْ: أيش هو العُرُّ عندكم؟

فقالوا بأجمعهم: هو داء يقع على الجمَل، قريبٌ مِنَ الجَرَبِ.

فقال لهم: فما دواؤه عندكم؟

قالوا: ليس له دواء في الدنيا إلا أن يُبرَك البعيرُ السقيمُ، ويحيا ببعيرٍ صحيحٍ فيبرك بجياله فلم يزل يكوى الصحيحُ أبداً حتى يبرأ السقيمُ.

ثم أمرهم فانصرفوا.

قال عبد العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمونُ **وقال**: يا عبدَ العزيز، ما أعجبَ هذا! ولمعرفتي به اليومَ أحبُّ إليَّ من مئة ألف دينارٍ.

ثم **قال**: فأيش أردت بقولك: «حَمَلْتُ عليَّ ذنبَهُ وَتَرَكْتُهُ».

**فقلت**: نعم يا أمير المؤمنين، حملت عليَّ ذنبَ بشرٍ وقد وقفت على أنه خالف كتابَ الله تعالى وسنةَ رسولِ الله ﷺ وبدَّلَهَا وَحَرَّفَهَا عن مواضعها وخالف أمرَ الله تعالى وأمرَ رسوله ﷺ وأمرَ خليفته وأمرَ المُسلمين، وأنه قد حلَّ دمه وعقوبته، وغضبَ أميرُ المؤمنين وسخطَ عليّ، فحملت على ذنبه وأنا بريء منه، وسخطت عليَّ وتركته، كذي العُرْيُكوى الصحيح حتى يبرأ، وكذلك أكوى أنا وأنا صحيحٌ حتى يبرأ بشرٌ وهو سقيم ويشتفي مني.

قال: فأيش معنى قولك:

كَذَاكَ يُدَاوِي الْجِسْمَ مِنِّي مُصَحِّحًا      وَذَاكَ لَهُ الْجِسْمُ بِهِ الدَّاءُ نَاقِعٌ<sup>(١)</sup>

**فقلت:** نعم يا أمير المؤمنين، إنما سخطت عليّ وأنا بريء الساحة ليرضى بشرّ وهو سقيم، وقد ظهر كفره وضلاله وقبح مذهبه ودحض حجته بين يديك.

**فقال المأمون:** قد قبلتُ عذرَكَ وصفحتُ عمّا كان منك كلّهُ، فارجع إلى القعود في المسجد الجامع ومسجدك، وتكلم معهم فيما شئت من الكلام فقد أجزئكَ ذلك وأطلقته لك، وزدْتُ في رزقك<sup>(٢)</sup> مثله. فاحضر الدار واقعد مع المتكلمين وناظر وتكلم بما تُريد، فليس لك مني إلا ما تُحب.

قال عبد العزيز: فأكثرْتُ من الدعاء له وانصرفت على أجمل حال، وكنتُ أقعد للناس ويجتمع إليّ خلقٌ كثير، وأحضر مجالس أمير المؤمنين

(١) كذلك كان حالي، فقد عالجتنِي أنا بالغيّ طلبًا للصحة، وتركت بشرًا الذي اجتمع فيه المرض.

(٢) الرزق هنا المراد منه المال الذي يصرفه الحاكم بشكل دوري لأهل العلم.

كلّها ولا أخلو منها، وأناظر وأرد عليهم في كل شيء يتكلمون فيه.

## الخاتمة

قال عبد العزيز بن يحيى المكي رحمه الله تعالى: إنما كتبت ما جرى كما جرى، وما تركت مما لم أحتجّ به ولم أذكره أكثر مما احتجت به، وإنما كنت أدّرس درساً ما يُجْريه الله تعالى على لساني، فمن قرأ كتابي هذا أو قرئ عليه؛ فلا ينسبني إلى قلّة الفهم ويقول: «هذا مَبْلَغُ علمه» فإنه كان وقتاً يُلْحَق في مثله الحيرة، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أنه ما بقي عليّ شيء إلا قد أتيت عليه؛ فليقرأ رسالتي في «فضل بني هاشم الكبيرة» ويطرأ كتاب «السّنن والأحكام» وكتاب «الاعتذار» فإنّه يقف على دِقّة فهمي وحُسن انتزاعي<sup>(١)</sup> وفضل علمي.

جعل الله جميع ذلك خالصاً لوجهه وفي سبيل مرضاته،

(١) يعني بالانتزاع: استخراج الفوائد والشواهد من الكتاب والسنة.

إنه سميع الدعاء

فعال لما

يشاء

لا إله إلا الله العزيز الحكيم، وصلواته على محمد خاتم النبيين

وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلّم

ورضي الله عنهم أجمعين.

آخر كتاب

الحيدة

.



## مناظرة أحمد ابن حنبل

### مقدمة

هذه مناظرة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد عام ١٦٤هـ في بغداد، ومات فيها عام ٢٤١هـ وهو أشهر من أن نتكلم عنه.

قال ابن ماكولا عن الإمام أحمد: كان أعلم الناس بمذاهب الصحابة والتابعين.

وقال ابن حبان: كان حافظًا مُتَقِنًا فقيهاً ملازمًا للوَرَعِ الخَفِيِّ مُوَاطِبًا على العبادة الدائمة، أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ وذلك أنه ثبت في المِحْنَةِ [يعني محنة خلق القرآن] وبذل نفسه لله حتى ضُرِبَ بالسَّيَاطِلِ لِلْقَتْلِ فعصمه الله تعالى عن الكُفْرِ وجعله علمًا يُقْتَدَى به وملجأً يُلجأ إليه.

وهذه المناظرة من كتاب سيرة الإمام أحمد، من رواية ابنه صالح، مطبوع بتحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط. دار الدعوة، وهو الذي اعتمدت عليه هنا. وقد نقلها أبو نعيم في الحلية (ج. ٩، ص. ١٩٧) والذهبي في السير.

وقد اختصرت منه ما لا يلزم.

## المناظرة

قال الشيخ صالح بن أحمد ابن حنبل:

قَالَ أَبِي رَحْمَةُ اللَّهِ لَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةُ تِسْعِ عَشْرَةٍ خَلَّتْ مِنْهُ  
حَوْلَتُ مِنَ السَّجْنِ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ<sup>(١)</sup> وَأَنَا مُقَيَّدٌ بِقَيْدٍ وَاحِدٍ،  
يُوجِبُهُ إِلَيَّ كُلُّ يَوْمٍ رَجُلَيْنِ، وَهُمَا أَحْمَدُ بْنُ رَبَاحٍ وَأَبُو شُعَيْبٍ الْحُجَّامُ  
يَكْلِمَانِي وَيَنَظُرَانِي، فَإِذَا أَرَادَا الْإِنْصِرَافَ دُعِيَ بِقَيْدٍ فَقُيِّدْتُ، فَمَكَثْتُ عَلَى  
هَذِهِ الْحَالِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَصَارَ فِي رَجُلِي أَرْبَعَةُ أَقْيَادٍ.

فَقَالَ لِي أَحَدُهُمَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فِي كَلَامٍ دَارَ وَسَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ،  
فَقَالَ: عِلْمُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

**قلت:** يَا كَافِرٌ، كَفَرْتَ!

فَقَالَ لِي الرَّسُولُ الَّذِي كَانَ يَحْضُرُ مَعَهُمْ مِنْ قِبَلِ إِسْحَاقَ: هَذَا رَسُولُ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

**قال:** **فقلت:** إِنَّ هَذَا قَدْ كَفَرَ.

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَبِ الْخُزَاعِيِّ.

وَكَانَ صَاحِبُهُ الَّذِي يَجِيءُ مَعَهُ خَارِجًا، فَلَمَّا دَخَلَ؛ **قُلْتُ**: إِنَّ هَذَا زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَالْمُنْكَرِ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

**قَالَ أَبِي**: وَأَسْمَاءُ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ.

[ثُمَّ نُقِلَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْمَعْتَصِمِ وَأُدْخِلَ عَلَيْهِ، قَالَ:] وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَابْنُ أَبِي دَوَادٍ حَاضِرٌ وَقَدْ جَمَعَ أَصْحَابَهُ وَالِدَارُ غَاصَّةٌ بِأَهْلِهَا، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ؛ سَلَّمْتُ.

**فَقَالَ**: أَدْنِهِ، أَدْنِهِ.

فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِينِي حَتَّى قُرْبْتُ مِنْهُ.

ثُمَّ **قَالَ لِي**: اجْلِسْ.

فَجَلَسْتُ وَقَدْ اثْقَلْتَنِي الْأَفْيَادُ، فَلَمَّا مَكثْتُ هُنَيْهَةً؛ **قُلْتُ**: تَأْذَنُ فِي الْكَلَامِ؟

**قَالَ**: تَكَلِّمْ.

**قلت:** إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُهُ؟

**قَالَ:** إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

**فقلت:** وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

**قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ:** إِنْ جَدُّكَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَكِيَ أَنْ وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ لِمَا قَدَّمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ؟» قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ» قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ»<sup>[١]</sup>

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: قَالَ أَبِي: **فَقَالَ لِي عِنْدَ ذَلِكَ:** لَوْلَا أَنِّي وَجَدْتُكَ فِي يَدِ مَنْ كَانَ قَبْلِي مَا عَرَضْتُ لَكَ، ثُمَّ التَّفْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ **فَقَالَ لَهُ:** يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ تَرْفَعَ الْمِحْنَةَ!

**قَالَ أَبِي: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي:** اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنْ فِي هَذَا لَفَرْجًا لِلْمُسْلِمِينَ.

**قَالَ: ثُمَّ قَالَ:** نَاضِرُوهُ وَكَلِمُوهُ. **ثُمَّ قَالَ:** يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَلِّمَهُ.

[١] رواه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧).

فَقَالَ لي عبد الرَّحْمَنِ: مَا تَقُول فِي الْقُرْآنِ؟

**قلت:** مَا تَقُول فِي عِلْمِ اللَّهِ؟

قَالَ: فَسَكَتَ.

**قَالَ أَبِي:** فَجَعَلَ يَكْلِمُنِي هَذَا وَهَذَا، فَأَرَدَ عَلَى هَذَا ثُمَّ **أَقُول:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطَوْنِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ أَقُولُ بِهِ ذَلِكَ.

فَيَقُولُ لي ابنُ أَبِي دُوَادَ: وَأَنْتَ لَا تَقُولُ إِلَّا كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ؟

**قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ:** تَأَوَّلْتَ تَأْوِيلًا فَأَنْتَ أَعْلَمُ. وَمَا تَأَوَّلْتَ مَا يُحْبَسُ عَلَيْهِ وَيَقْيَدُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: فَهُوَ وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ضَالٌ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ لَأَقْضَائِكَ وَالْفُقَهَاءِ فَسَلِّهِمْ.

**قَالَ: فَيَقُولُ لَهُمْ:** مَا تَقُولُونَ؟

فَيَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنُونَ هُوَ ضَالٌ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ.

**قَالَ:** فَلَا يَزَالُونَ يَكْلِمُونِي، وَجَعَلَ صَوْتِي يَعْلُو عَلَى أَصْوَاتِهِمْ.

فَقَالَ لِي إِنْسَانٌ مِنْهُمْ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾ [الأنبياء: ٢٠] فَيَكُونُ مُحَدَّثًا إِلَّا مَخْلُوقًا؟

**قلت له:** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿صَّ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: ١] فالذكر هُوَ الْقُرْآنُ، وَتِلْكَ لَيْسَ فِيهَا أَلْفٌ وَلَا م.

قال: فَقَالَ لِي إِنْسَانٌ مِنْهُمْ: حَدِيثُ خَبَّابٍ: «يَا هُنْتَاهُ تَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرُبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ».<sup>(١)</sup> [٣]

(١) ليس فيها ألف ولا لام: يعني «ال» التعريف. كأنه يجنح إلى أن الذكر بالألف واللام هو المراد به القرآن، أما كلمة «ذكر» بدون ألف ولا م فليست القرآن، وإنما السنة، فقد روى عنه ابن بطّة في الإبانة (٤٣١) أنه قال: «فَهَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ الْقُرْآنِ مُحَدَّثًا» وهذا قد بسط الحجة عليه في كتابه الرد على الجهمية، ومما قاله: لما اجتمعوا [القرآن والسنة] في اسم الذكر؛ جرى عليهم اسم الحديث، وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق، وكان أولى بالحديث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حديث، فوجدنا دلالة من قول الله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾ إلى النبي ﷺ لأن النبي ﷺ كان لا يعلم فعلمه الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثًا إلى النبي ﷺ.

(٢) وجه الشاهد عندهم أنه قال عن كلام الله «شيء».

[٣] رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١١١) ورواه الحاكم (٣٦٥٢) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُجَرِّجَاهُ» وقال الذهبي «صحيح».

**قَالَ: فَقُلْتُ:** نعم هَكَذَا هُوَ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَيْسَ قَالَ ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

**قَالَ: قُلْتُ:** قد قَالَ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] فدمرت

أَلَا مَا أَرَادَ اللَّهُ؟

قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ فِيمَا يَقُولُ: وَذَكَرَ حَدِيثَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ  
«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَتَبَ الذَّكَرَ» فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الذَّكَرَ.<sup>(١)</sup>

**قَالَ: فَقُلْتُ:** هَذَا خَطَأٌ حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ كَتَبَ الذَّكَرَ.

قَالَ أَبِي: فَكَانَ إِذَا انْقَطَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ اعْتَرَضَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَتَكَلَّمُ،  
فَلَمَّا قَارَبَ الزَّوَالَ قَالَ لَهُمْ: قَوْمُوا.

ثُمَّ حَبَسَ<sup>(٢)</sup> عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ فَخَلَا بِي وَبِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَجَعَلَ  
يَقُولُ لِي: أَمَا كُنْتَ تَعْرِفُ صَالِحَ الرَّشِيدِيِّ؟ كَانَ مُؤَدِّبِي<sup>(٣)</sup> وَكَانَ فِي هَذَا

(١) هذا يتعلق بشبهة سنن فصل الرد عليها هنا [كون القرآن في لوح محفوظ].

(٢) حبس: يعني أبقاه عنده.

(٣) المؤدِّب: هو شيخ يتولى تعليم أبناء الملوك والأمراء.

الموضع جالسًا-وأشار إلى ناحية من الدار-قَالَ: فَتَكَلَّمْ وَذَكَرَ الْقُرْآنَ  
فَخَالَفَنِي فَأَمَرْتُ بِهِ فَسُحِبَ وَوُطِئَ.

قَالَ أَبِي: ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لِي: مَا أَعْرَفُكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْتِينَا؟<sup>(١)</sup>

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْرِفُهُ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، يَرَى  
طَاعَتَكَ وَالْحُجَّ وَالْجِهَادَ مَعَكَ وَهُوَ مَلَاظِمٌ لِمَنْزِلِهِ.<sup>(٢)</sup>

قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَفَقِيهٌ، وَإِنَّهُ لِعَالِمٌ، وَمِمَّا يَسْرِنِي أَنْ  
يَكُونَ مِثْلَهُ مَعِيَ يَرُدُّ عَنِّي أَهْلَ الْمَلِ، وَلَكِنْ أَجَابَنِي إِلَى شَيْءٍ لَهُ فِيهِ أَدْنَى  
فَرَجٍ<sup>(٣)</sup> لَا تُطْلِقَنَّ عَنْهُ بِيَدَيَّ، وَلَا وَطْآنَ عَقِبِهِ وَلَا رُكْبَنَ إِلَيْهِ بِجَنْدِي.

قَالَ: ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَيَقُولُ: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! مَا تَقُولُ؟

قَالَ: فَأَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَعْطَوْنِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سَنَةِ  
رَسُولِهِ.

(١) أي كان المعتصم لا يرى أحمد في دار الخلافة.

(٢) أي أنه مع كونه لا يدخل على السلاطين، فإنه لا يرى الخروج عليهم، بل يرى طاعتهم.

(٣) يعني يجيبه ويوافقه في القول بخلق القرآن ولو بأي طريقة تتيح للأمير أن يطلقه.



فَلَمَّا طَالَ بِنَا الْمَجْلِسُ، ضَجَرَ فَقَامَ فَرَدَدَتْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ: نَاضِرُوهُ، كَلِّمُوهُ!

قَالَ: فَجَعَلُوا يَتَكَلَّمُونَ هَذَا مِنْ هَا هُنَا، وَهَذَا مِنْ هَا هُنَا، فَأَرَدُ عَلَى هَذَا وَهَذَا، فَإِذَا جَاءُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ وَلَا فِيهِ خَبَرٌ وَلَا أَثَرٌ؛ قُلْتُ: مَا أَدْرِي مَا هَذَا؛ فَيَقُولُونَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَوَجَّهْتَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ عَلَيْنَا؛ وَتَبَّ،<sup>(١)</sup> وَإِذَا كَلِمَنَاهُ بِشَيْءٍ؛ يَقُولُ: لَا أَدْرِي مَا هَذَا.<sup>(٢)</sup>

(١) وَتَبَّ: يَقْصِدُونَ أَنَّهُ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، شَبَّهُوا رَدَّهُ بِوُثُوبِ السَّبْعِ إِلَى فَرِيستِهِ.

(٢) وَهَذَا مِنْ أَنْفَعِ الْأَسَالِيبِ فِي دَحْرِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي أَيِّ نِقَاشٍ، فَإِنَّ مَجَارَاتِهِمْ فِي مِصْطَلَحَاتِهِمْ وَقَوَاعِدِهِمْ: يُعْلِي حُجَّتَهُمْ، وَهُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الزِّيغِ، وَقَوْلُهُ: «لَا أَدْرِي مَا هَذَا» لَيْسَ جَهْلًا، إِنَّمَا هُوَ رَدٌّ لِمَا يَقُولُونَ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: «قَدْ عَلِمْنَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْأَثَرَ، وَكَلَامَكُمْ لَيْسَ مِنْهَا، فَمَا هُوَ».

وَلَا يَسُوكَ إِذَا فَعَلْتَ كَمَا فَعَلَ أَحْمَدُ، ثُمَّ وَجَدْتَ مِنَ الْجَهْلَةِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ مِنْ يُلُومُكَ وَيُسِيءُ إِلَيْكَ، وَيَقُولُ لَكَ «هَذِهِ الْقَاعِدَةُ قَالَهَا فَلَانٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ» أَوْ «هَذِهِ الْكَلِمَةُ اسْتَغْمَلَهَا فَلَانٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ» أَوْ يَتَهَمُكَ بِأَنَّكَ تَجْهَلُ عُلُومًا قَدْ تَكُونُ تَعْرِفُهَا، وَكَلِمَاتٍ قَدْ تَكُونُ تَفْهَمُهَا، لَظَنَهُمْ

قَالَ: **فَيَقُولُ**: ناظروه.

قَالَ: **ثُمَّ يَقُولُ**: يَا أَحْمَدُ إِنِّي عَلَيْكَ شَفِيقٌ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَرَأَيْكَ تَذْكُرُ الْحَدِيثَ وَتَنْتَحِلُهُ! <sup>(١)</sup>

قَالَ: **فَقُلْتُ لَهُ**: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

فَقَالَ: خَصَّ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: **فَقُلْتُ لَهُ**: مَا تَقُولُ إِنْ كَانَ قَاتِلًا أَوْ كَانَ عَبْدًا أَوْ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا <sup>(٢)</sup>

قَالَ: فَسَكَتَ.

أن العلم بقواعد واصطلاحات المبتدعة يلزم منه مجاراتهم، وصاحب هذا الظن قد أوتي من جهله.

(١) وتنتحلّه: أي تزعم أنك من أهلِكَ. وهو يريد بقوله أن يقلل من شأن الحديث.

(٢) قاتل أبيه لا يرث منه، والعبد لا يرث، والكافر لا يرث من المسلم، وكل ذلك ثبت بالأحاديث، فأراد أحمد إلزام ذلك الرجل بأن الحديث قد خصص الحكم العام الذي في القرآن.

قَالَ أَبِي: وَإِنَّمَا احْتَجَجْتَ عَلَيْهِ بِهَذَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْتَجُونَ عَلَيَّ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَبِقَوْلِهِ: أَرَأَيْكَ تَنْتَحِلُ الْحَدِيثَ.

ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ مَحْنَتِهِ وَجَلَدِهِ وَتَعْذِيبِهِ.

وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ بَطَّةٍ [١] أَنَّهُ قَالَ: وَاحْتَجُّوا عَلَيَّ: «مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا كَذَا أَعْظَمَ مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ».

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَخْلُوقَةً، إِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ، أَيْ: هِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُخْلَقَ.<sup>(٢)</sup>

[١] رواه ابن بطّة في الإبانة (ج ٦ ص ٢٥٠).

(٢) فالمخلوقات ليست أعظم من كلام الله. وجاء عنه رحمه الله أنه قال: «إن الخلق واقع هنا على السماء والأرض وهذه الأشياء، لا على القرآن» [سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٧٨] وهذا جواب آخر حسن، وهو كما لو قلت: «ما أكلت طعاما ولا شربت شرابا أطيب عندي من الصلاة» فكلارك ليس فيه أن الصلاة من الطعام والشراب، ولكن هي خير منه.

ومما جاء عنه في كتاب ابنه صالح: [١]

وجه المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم يأمره بحمل أبي إلى المعسكر،  
قال فوجه إسحاق إلى أبي فقال: أن أمير المؤمنين قد كتب إليّ يأمرني  
بإشخاصك إليه فتأهب إليه لذلك.

قال أبي: فقال لي إسحاق بن إبراهيم: اجعلني في حل.

**فقلت:** قد جعلتك وكل من حصر في حل.

قال أبي: فقال لي إسحاق: أسألك عن القرآن مسألة مسترشد لا  
مسألة امتحان، وليكن ذلك عندك مستورا، ما نقول في القرآن؟

قال أبي: **فقلت:** القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

قال: فقل لي، من أين قلت: «غير مخلوق».

قال أبي: **فقلت له:** قال الله تبارك وتعالى: «ألا له الخلق والأمر» فرّق  
بين الخلق والأمر.

فَقَالَ إِسْحَاقُ: الْأَمْرُ مَخْلُوقٌ.

فَقَالَ أَبِي: **فَقُلْتُ لَهُ**: يَا إِسْحَاقُ، إِنْ اللَّهُ يَخْلُقُ خَلْقًا.

فَقَالَ أَبِي: فَقَالَ لِي: وَعَمَنْ تَحْكِي إِنَّهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؟

قَالَ **فَقُلْتُ**: جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: «لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ».<sup>(١)</sup>

قَالَ: فَسَكَتَ.

---

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٤٤) وجعفر بن محمد هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو من أئمة أهل الإسلام في السنة والحديث والفقهاء.

# مناظرة الشيخ عبد الله الأذرمي

## مقدمة

وهو عبد الله بن محمد بن إسحاق الجزري، أبو عبد الرحمن الأذرمي الموصلي.

قال الجياني: «وأذرم قرية من قرى عين زربة»<sup>[١]</sup> وعين زربة هي من قرى أضنة المعروفة في جنوب تركيا الحالية. قال السمعاني: «هذه النسبة الى أذرم، وظني أنها من قرى أذنة»<sup>[٢]</sup> وأذنة هي أضنة.

أخذ العلم عن هُشَيْم، وُعْنَدَر، وابنِ عيينة وغيرهم.

وعنه أخذ أبو داود، والنسائي، وعبد الله بن أحمد، وخلق.

قال المزي: قال أبو حاتم والنسائي: ثقة.

[١] شيوخ أبي داود (ص ١٦٠).

[٢] الأنساب للسمعاني (ج ١ ص ٧٣).

وهذه المناظرة رواها الآجري في الشريعة: [١] وابن بطة في الإبانة [٢] والخطيب في تاريخ بغداد. [٣]

### المناظرة.

عن أبي الفضل صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور الهاشمي وكان من وجوه بني هاشم وأهل الجلالة، والشأن منهم.

عن الأمير الملقب بالمهتدي بالله قال: ما زلت أقول: «إن القرآن مخلوق» صدرًا من خلافة الواثق، حتى أقدم<sup>(٤)</sup> علينا أحمد بن أبي دؤاد شيخًا من أهل الشام من أهل أذنة فأدخل الشيخ على الواثق مقيّدًا، وهو جميل الوجه تامّ القامة، حسن الشببة، فرأيت الواثق قد استحي منه، ورقّ

[١] الشريعة (ج ١ ص ٥٤٠).

[٢] الإبانة (ج ٦ ص ٢٦٩).

[٣] تاريخ بغداد (ج ١ ص ٧٦).

(٤) أقدمه لمناظرته أو لحبسه.

لَهُ، فَمَا زَالَ يُذْنِيهِ وَيُقَرِّبُهُ، حَتَّى قَرَّبَ مِنْهُ، فَسَلَّمَ الشَّيْخُ فَأَحْسَنَ السَّلَامَ،  
وَدَعَا فَأَبْلَغَ الدَّعَاءَ، وَأَوْجَزَ.

**فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ:** اجْلِسْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ، نَاطِرِ ابْنِ أَبِي دُوَادٍ عَلَى مَا  
يُنَاطِرُكَ عَلَيْهِ.

**فَقَالَ الشَّيْخُ:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَقِلُّ وَيَضِيقُ، وَيَضْعُفُ  
عَنِ الْمُنَاطَرَةِ.

فَعَضِبَ الْوَائِقُ، وَعَادَ مَكَانَ الرَّأْفَةِ لَهُ غَضَبًا عَلَيْهِ، **فَقَالَ:** أَبُو عَبْدِ اللَّهِ  
بْنُ أَبِي دُوَادٍ يَصْبُو وَيَقِلُّ وَيَضْعُفُ عَنْ مُنَاطَرَتِكَ أَنْتَ؟!

**فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ:** هَوْنٌ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِكَ، وَائِذْنِي لِي فِي  
مُنَاطَرَتِهِ.

**فَقَالَ الْوَائِقُ:** مَا دَعَوْتُكَ إِلَّا لِلْمُنَاطَرَةِ.

**فَقَالَ الشَّيْخُ:** يَا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ، إِلَى مَا دَعَوْتَ النَّاسَ وَدَعَوْتَنِي  
إِلَيْهِ؟

**فَقَالَ:** إِلَى أَنْ تَقُولَ: «الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ» لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.



فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ مَا نَقُولُ.

قَالَ: أَفْعَلُ.

قَالَ الشَّيْخُ: أَخْبِرْنِي يَا أَحْمَدُ عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَوَاجِبُهُ دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ مَا قُلْتَ؟  
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ، هَلْ سَتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي دِينِهِ؟  
قَالَ: لَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأُمَّةَ إِلَى مَقَالَتِكَ هَذِهِ؟

فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: تَكَلَّمْ.

فَسَكَتَ.

فَالْتَمَتَ الشَّيْخُ إِلَى الْوَائِقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحِدَةٌ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: وَاحِدَةٌ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ أُنْزِلَ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّادِقُ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ، أَمْ أَنْتَ الصَّادِقُ فِي نُقْصَانِهِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ؟

فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: أَجِبْ يَا أَحْمَدُ.

فَلَمْ يُجِبْهُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اثْنَتَانِ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: اثْنَتَانِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَعْلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ أَمْ جَهْلَهَا؟

قَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ: عَلِمَهَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا؟

فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثَلَاثٌ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: ثَلَاثٌ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، فَاتَّسَعَ<sup>(١)</sup> لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَلِمَهَا كَمَا زَعَمْتَ،  
وَلَمْ يُطَالِبْ أُمَّتَهُ بِهَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ الشَّيْخُ: وَاتَّسَعَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ: نَعَمْ.

(١) من السَّعة، أي لم يكن هناك مشكلة.

فَأَعْرَضَ الشَّيْخُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْوَائِقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَدَّمْتُ لَكَ الْقَوْلَ أَنَّ أَحْمَدَ يَصُبُّ وَيَقِلُّ وَيَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَكَ الْإِمْسَاكُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، مَا اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا لِي بِكَرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَهُ مَا اتَّسَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: نَعَمْ إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَنَا مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَا اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا لِي بِكَرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْنَا، اقْطَعُوا قَيْدَ الشَّيْخِ.

فَلَمَّا قُطِعَ ضَرْبَ الشَّيْخِ بِيَدِهِ إِلَى الْقَيْدِ لِيَأْخُذَهُ فَجَادَبَهُ الْحَدَّادُ عَلَيْهِ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: دَعِ الشَّيْخَ لِيَأْخُذَهُ.

فَأَخَذَهُ الشَّيْخُ فَوَضَعَهُ فِي كُمِّهِ.

فَقَالَ الْوَائِقُ: لِمَ جَادَبْتَ عَلَيْهِ؟

قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنِّي نَوَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ أُوصِي إِلَيْهِ إِذَا مِتُّ أَنْ يَجْعَلَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كَفْنِي، حَتَّى أُخَاصِمَ بِهِ هَذَا الظَّالِمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ عَبْدَكَ هَذَا لِمَ قَيَّدَنِي وَرَوَّعَ أَهْلِي وَوَلَدِي

وَإِخْوَانِي بِلَا حَقٍّ وَأَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيَّ؟

وَبَكَى الشَّيْخُ فَبَكَى الْوَائِقُ وَبَكَينَا،

ثُمَّ سَأَلَهُ الْوَائِقُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِمَّا نَالَهُ.

**فَقَالَ الشَّيْخُ:** وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ  
أَوَّلِ يَوْمٍ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ كُنْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ.

**فَقَالَ الْوَائِقُ:** لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ.

**فَقَالَ الشَّيْخُ:** إِنْ كَانَتْ مُمَكِّنَةً فَعَلْتُ.

**فَقَالَ الْوَائِقُ:** تُقِيمُ فِينَا فَيَنْتَفِعَ بِكَ فِتْيَانُنَا.

**فَقَالَ الشَّيْخُ:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَدَّكَ إِلَيَّ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي  
أَخْرَجَنِي مِنْهُ هَذَا الظَّالِمُ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ مُقَامِي عَلَيْكَ، وَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا فِي ذَلِكَ:  
أَصِيرُ إِلَى أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَكْفُ دُعَاءَهُمْ عَلَيْكَ، فَقَدْ خَلَفْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ: فَتَقَبَّلْ مِنَّا صَلَةً<sup>(١)</sup> مَا تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى دَهْرِكَ؟

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَحِلُّ لِي، أَنَا عَنْهَا غَنِيٌّ، وَذُو مِرَّةٍ سَوِيٍّ.

قَالَ: فَسَلْ حَاجَتَكَ.

قَالَ: أَوْ تَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَخَلَّ سَبِيلِي إِلَى الشَّعْرِ السَّاعَةِ، وَتَأَذَّنْ لِي.

قَالَ: قَدْ أَذْنْتُ لَكَ.

فَسَلَّمَ الشَّيْخُ، وَخَرَجَ. قَالَ صَالِحٌ: قَالَ الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: فَرَجَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَطْنُ الْوَائِقَ بِاللَّهِ كَانَ رَجَعَ عَنْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

(١) يعني هدية.

## رواية أخرى لمناظرته

قال الآجري رحمه الله: <sup>[١]</sup> بَلَّغْنِي عَنِ الْمَهْتَدِي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا فَطَعَ أَبِي يَعْنِي الْوَائِقَ إِلَّا شَيْخٌ جِيءَ بِهِ مِنَ الْمَصِيصَةِ، <sup>(٢)</sup> فَمَكَثَ فِي السَّجْنِ مُدَّةً، ثُمَّ إِنَّ أَبِي ذَكَرَهُ يَوْمًا، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالشَّيْخِ.

فَأْتَيْتُ بِهِ مُقَيَّدًا، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، سَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا اسْتَعْمَلْتَ مَعِيَ أَدَبَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا أَدَبَ رَسُولِهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَدِّ السَّلَامِ.

فَقَالَ لَهُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ.

ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُوَادٍ: سَلِّهِ.

[١] الشريعة (ج ١ ص ٤٥٣).

(٢) الْمَصِيصَةُ يُقَالُ لَهَا (مفسوسطيا) مدينة صغيرة تبعد ٣٠ كم شرق أضنة جنوب تركيا، ويطلق عليها التُّرْك (Eski Misis) أي مصيصة القديمة.

**فَقَالَ:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا مَحْبُوسٌ مُقَيَّدٌ، أُصَلِّي فِي الْحَبْسِ بِتَيْمَمٍ، مُنِعْتُ الْمَاءَ فَمَرُّ بِقِيُودِي نُحْلُ، وَمُرِّي بِمَاءٍ أَتَطَهَّرُ وَأُصَلِّي، ثُمَّ سَلَنِي.

قَالَ: فَأَمَرَ، فَحَلَّ قَيْدَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى.

ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُوَادٍ: سَلْهُ.

**فَقَالَ الشَّيْخُ:** الْمَسْأَلَةُ لِي، تَأْمُرُهُ أَنْ يُجِيبَنِي.

**فَقَالَ:** سَلْ.

فَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ **فَقَالَ:** أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ، أَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

**قَالَ:** لَا.

**قَالَ:** فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَعْدَهُ؟

**قَالَ:** لَا.

**قَالَ:** فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَهُمَا؟

**قَالَ:** لَا.



**قَالَ:** فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَهُمْ؟

**قَالَ:** لَا.

**قَالَ:** فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَهُمْ؟

**قَالَ:** لَا.

**قَالَ:** فَشَيْءٌ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَا عُمَرُ وَلَا عُثْمَانُ، وَلَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، تَدْعُو أَنْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ؟

لَيْسَ يَخْلُو أَنْ تَقُولَ: عَلِمُوهُ، أَوْ جَهْلُوهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلِمُوهُ، وَسَكَتُوا عَنْهُ، وَسِعَنَا وَإِيَّاكَ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ مِنَ السُّكُوتِ.

وَأِنْ قُلْتَ: جَهْلُوهُ وَعَلِمْتُهُ أَنَا، فَيَا لُكْعُ ابْنِ لُكْعٍ<sup>(١)</sup>، يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟

(١) ورجل لُكْعٌ، أي لثيمٌ، ويقال هو العبد الذليل النفس. [الصَّحاح للجوهري].

قَالَ الْمُهْتَدِي: فَرَأَيْتُ أَبِي وَثَبَ قَائِمًا وَدَخَلَ الْحَبْرِي، وَجَعَلَ ثَوْبَهُ فِي فِيهِ، يَضْحَكُ؟ ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: صَدَقَ، لَيْسَ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَقُولَ: جَهْلُوهُ أَوْ عَلِمُوهُ، فَإِنْ قُلْنَا: عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَنْهُ وَسَعْنَا مِنَ السُّكُوتِ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ، وَإِنْ قُلْنَا: جَهْلُوهُ وَعَلِمْتَهُ أَنْتَ، فَيَا لَكَعُ بَنَ لَكَعٍ يَجْهَلُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ.

قُلْتُ: لَبَّيْكَ.

قَالَ: لَسْتُ أَعْنِيكَ، إِنَّمَا أَعْنِي ابْنَ أَبِي دُوَادٍ.

فَوَثَبَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ: أَعْطِ هَذَا الشَّيْخَ نَفَقَتَهُ وَأَخْرِجْهُ عَنْ بَلَدِنَا.

## مناظرة ابن الشَّحَّام قاضي الرِّيِّ

### للواثق<sup>(١)</sup>

كان ابن الشَّحَّام قاضي الرِّيِّ قد سمع بأن الواثق قال ببدعة خلق القرآن، فاصطحب محمد بن الرازي ورحلا إلى دار الخلافة، فاستأذن على الأمير فأذن له.

قال ابن الرازي: فَلَمْ يَزَلْ يَدْخُلُ مِنْ دِهْلِيْزٍ إِلَى دِهْلِيْزٍ حَتَّى دَخَلْنَا إِلَى الصَّحْنِ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ يَتَنَاطَرُونَ، وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ فِي الدَّارِ، حَتَّى وَافَى إِلَى الْقَوْمِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ جَلَسَ، فَجَعَلَ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَطْرَفُوا إِلَى الْأَرْضِ وَتَشَاغَلُوا بِالْكَلامِ، وَإِذَا أَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ نَظَرُوا إِلَيْهِ، فَنَحْنُ هَكَذَا حَتَّى شِيلَ السِّتْرُ، فَإِذَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَالِسٍ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَنَا بِالْجُلُوسِ، وَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا جِئْنَا فِيهِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لِابْنِ الشَّحَّامِ: مَنِ الرَّجُلُ؟

(١) نقلها ابن بطة في الإبانة (ج ٦ ص ٢٧٨).

**فَقَالَ:** عَامِلٌ مِنْ عُمَّالِكَ، قَاضِي الرِّيِّ، أُعْرِفُ بِابْنِ الشَّحَامِ.

**فَقَالَ:** حَاجَةٌ؟

**فَقَالَ:** نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جِئْتُ قَاصِدًا مِنَ الرِّيِّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِ وَأَسْمَعُهُ مِنْهُ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ.

**فَقَالَ لَهُ:** قُلْ مَا شِئْتَ.

**فَقَالَ:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى شَرِيطَةٍ أَنْ لَا يَكُونَ الْمُجِيبُ لِي غَيْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُعَارِضُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَحَدٌ.

**فَقَالَ:** ذَلِكَ لَكَ.

**فَقُلْتُ:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ كَانَ لَهُ بَيْتٌ يَدْخُلُهُ فِي حَوَائِجِهِ، وَهُوَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، فَجَرَتْ مِنْهُ يَمِينٌ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْبَيْتَ مَخْلُوقٌ سِوَاهُ، فَعَرَضْتُ لَهُ حَاجَةً فَدَخَلَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ، طَلَّقَتْ امْرَأَتُهُ أَمْ لَا؟

فَضَجَّ أَهْلُ الْمَجْلِسِ، وَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَسْأَلَةٌ حِيلَةٍ.

**قَالَ:** **فَقَالَ:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ هَكَذَا! وَعَدْتَنِي أَنْ لَا يُجِيبَنِي غَيْرُكَ وَلَا يُعَارِضَنِي فِي الْمَسْأَلَةِ.

فَأَسْكَتَهُمْ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ حَلَفَ؟

**قَالَ لَهُ:** رَجُلٌ كَانَ لَهُ بَيْتٌ، وَكَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، فَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ ثَلَاثًا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ مَخْلُوقٌ سِوَاهُ، فَعَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَدَخَلَ الْبَيْتَ، طَلَّقَتْ امْرَأَتَهُ أَمْ لَا؟

**فَقَالَ:** لَا وَقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(١)</sup>، مَا طَلَّقْتُ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

قال ابن الرّازي: ثُمَّ أُلْقِيَ السِّرُّ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، ثُمَّ وَثَبَ الْقَاضِي وَاعْتَمَدَ عَلَى يَدَيَّ، فَقُلْتُ: لَيْتَهُ تَرَكَ يَدَهُ مِنْ يَدَيَّ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَاتِلِي، فَلَمَّا صِرْنَا فِي آخِرِ الصَّحْنِ، عَرَضَ لَنَا خَادِمٌ وَمَعَهُ فَرَّاشٌ عَلَى كَتِفِهِ بَدْرَةٌ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -أطال الله بقاءه- يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: اسْتَغْنِ بِهَذِهِ فِي مَصْلَحَتِكَ، وَلَا تُخَلِّ مَجْلِسَنَا مِنْ حُضُورِكَ.

(١) لا يجوز الحلف بالقرابة.

(٢) البَدْرَةُ: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف [لسان العرب].

## مناظرة الحباس بن موسى بن

### مَشْكُويَه [١]

روى ابن بطة عن العباس بن مَشْكُويَه الهَمْدَانِي، قَالَ:

أَدْخِلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُتَكَنِّي بِالْوَائِقِ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ،  
فَأَقْبَلَ بِالمَسْأَلَةِ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِهِمْ

**فَقُلْتُ:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَجُلٌ مُرَوَّعٌ وَلَا عَهْدَ لِي بِكَلَامِ الْخُلَفَاءِ  
مِنْ قَبْلِكَ.

**فَقَالَ:** لَا تَرَعْ وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ، مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟

**فَقُلْتُ:** كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

**فَقَالَ:** أَشْهَدُ لَتَقُولَنَّ «مَخْلُوقًا» أَوْ لَا ضَرْبَنَ عُنُقَكَ.

[١] رواها ابن بطة في الإبانة (ج ٦ ص ٢٨٤).

**قَالَ: فَقُلْتُ:** إِنَّكَ إِنْ تَضْرِبَ عُنُقِي، فَإِنَّكَ فِي مَوْضِعٍ ذَلِكَ إِنْ جَرَتْ بِهِ  
الْمَقَادِيرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَتَثَبَّتْ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فِيمَا أَنْ أَكُونَ عَالِمًا  
فَتَثَبَّتْ حُجَّتِي، وَإِمَّا أَنْ أَكُونَ جَاهِلًا فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي لِأَنَّكَ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ <sup>(١)</sup> وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّهِ.

**فَقَالَ:** أَمَا تَقْرَأُ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ﴿وَخَلَقَ كُلَّ  
شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] <sup>(٢)</sup>

**قُلْتُ:** يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْكَلِيَّةُ <sup>(٣)</sup> فِي كِتَابِ اللَّهِ خَاصٌّ أَمْ عَامٌّ؟  
**قَالَ:** عَامٌّ.

**قُلْتُ:** لَا، بَلْ خَاصٌّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾  
[النمل: ٢٣] فَهَلْ أُوتِيَتْ مُلْكُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

(١) سبق التنبيه على عدم جواز هذه الكلمة.

(٢) يريد الاحتجاج عليه بالآيتين بأن الله خلق القرآن لأن القرآن شيء.

(٣) الكليَّة: أي كلمة «كل».

فَحَذَفَنِي بِعَمُودٍ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُوهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ.

فَأُخْرِجْتُ إِلَى قُبَّةٍ قُرْبِيَّةٍ مِنْهُ، فَشُدَّ عَلَيْهَا كِتَافِي، **فَنَادَيْتُ**: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ ضَارِبٌ عُنُقِي، وَأَنَا مُتَقَدِّمُكَ، <sup>(١)</sup> فَاسْتَعِدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَابًا.

**فَقَالَ**: أَخْرِجُوا الزَّنْدِيقَ وَضَعُوهُ فِي أَضْيَاقِ الْمَحَابِسِ.

فَأُخْرِجْتُ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ، فَإِذَا أَنَا بِأَبْنٍ أَبِي دُرَّادٍ يُنَاطِرُ النَّاسَ عَلَى خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ **قَالَ**: يَا خُرْمِيُّ.

**قُلْتُ**: أَنْتَ وَالَّذِينَ مَعَكَ وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ.

فَحَبَسَنِي فِي سِجْنٍ بِبَغْدَادٍ يُقَالُ لَهُ الْمُطَبَّقُ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ رُفْعَةً يُشَجِّعُونَنِي وَيُثَبِّتُونَنِي عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، فَقَرَأْتُ مَا فِيهَا، فَإِذَا فِيهَا:

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ وَاهْجُرْ كُلَّ مُبْتَدِعٍ      وَكُلَّ غَاوٍ إِلَى الْأَهْوَاءِ مَيَّالٍ  
وَلَا تَمِيلَنَّ يَا هَذَا إِلَى بَدْعٍ      يَضِلُّ أَصْحَابُهَا بِالْقِيلِ وَالْقَالَ

(١) متقدمك: أي سابقك إلى الله.



إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ  
 لَوَ أَنَّهُ كَانَ مَخْلُوقًا لَصَيَّرَهُ  
 وَكَيْفَ يَبْطُلُ مَا لَا شَيْءَ يُبْطِلُهُ  
 وَهَلْ يُضِيفُ كَلَامَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ  
 فَلَا تَقُلْ بِالَّذِي قَالُوا وَإِنْ سَفَهُوا  
 أَلَمْ تَرَ الْعَالَمَ الصَّبَّارَ حَيْثُ بُلِيَ  
 فَاصْبِرْ عَلَى كُلِّ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ  
 يَا صَاحِبَ السَّجَنِ فَكِّرْ فِيمَ تَحْبُسُهُ  
 أَمْ هَلْ أَتَيْتَ بِهِ رَأْسًا لِرَافِضَةٍ  
 أَمْ هَلْ أَصِيبَ عَلَى خَمْرٍ وَمِعْرِزَةٍ  
 مَا هَكَذَا هُوَ بَلْ لَكَتَهُ وَرِعٌ  
 لَيْسَ الْقُرْآنُ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِأَلٍ  
 رَيْبُ الزَّمَانِ إِلَى مَوْتٍ وَإِبْطَالٍ  
 أَمْ كَيْفَ يَبْلَى كَلَامُ الْخَالِقِ الْعَالِي  
 إِلَى الْبَلَى غَيْرُ ضَلَالٍ وَجُهَالٍ  
 وَأَوْثَقُوكَ بِأَقْيَادٍ وَأَغْلَالٍ  
 بِالسَّوْطِ هَلْ زَالَ عَنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ  
 فَالْصَّبْرُ سِرْبَالُهُ مِنْ خَيْرِ سِرْبَالٍ  
 أَقَاتِلْ هُوَ أَمْ عَوْنٌ لِقِتَالٍ  
 يَرَى الْخُرُوجَ لَهُمْ جَهْلًا عَلَى الْوَالِي  
 يُصَرِّفُ الْكَأْسَ فِيهَا كُلَّ ضَلَالٍ  
 عَفٌّ عَفِيفٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْمَالِ

ثُمَّ ذَكَرَنِي بَعْدَ أَيَّامٍ وَأَخْرَجَنِي مِنَ السَّجَنِ وَأَوْقَفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ:  
 عَسَاكَ مُقِيمًا عَلَى الْكَلَامِ الَّذِي كُنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْكَ؟

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَأَدْعُو رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي لَيْلٍ  
 وَنَهَارٍ إِلَّا يُمِيتَنِي إِلَّا عَلَى مَا كُنْتُ سَمِعْتَهُ مِنِّي.

قَالَ: أَرَاكَ مُتَمَسِّكًا.

**قُلْتُ:** لَيْسَ هُوَ شَيْءٌ قُلْتُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ لَقِيتُ فِيهِ  
الْعُلَمَاءَ بِمَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، وَالْكُوفَةَ، وَالْبَصْرَةَ، وَالشَّامَ، وَالشُّعُورَ، فَرَأَيْتُهُمْ عَلَى  
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

**فَقَالَ لِي:** وَمَا السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ؟

**قُلْتُ:** سَأَلْتُ عَنْهَا الْعُلَمَاءَ فَكُلُّ يُخْبِرُ وَيَقُولُ: إِنَّ صِفَةَ الْمُؤْمِنِ مِنْ  
أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ مُخْلِصًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَالْإِفْرَارُ بِمَا جَاءَتْ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ.

وَيَشْهَدُ الْعَبْدُ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ لِسَانِهِ وَعَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ.

وَيَعْلَمُ الْعَبْدُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ  
لِيُصِيبْهُ.

وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَلِمَ مِنْ خَلْقِهِ مَا هُمْ فَاعِلُونَ، وَمَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ خَلْفَ كُلِّ إِمَامٍ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَصَلَاةُ الْمَكْتُوبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُقَدَّمَ وَقْتًا أَوْ تُؤَخَّرَ وَقْتًا.

وَأَنْ نَشْهَدَ لِلْعَشْرَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ بِالْجَنَّةِ. وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ.

وَأَيْقَاعُ الطَّلَاقِ إِذَا جَرَى كَلِمَةٌ وَاحِدَةً.

وَالْمَسْحُ عَلَى الْحُقَيْنِ لِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلِلْمُقِيمِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ.

وَالْتَقْصِيرُ فِي السَّفَرِ إِذَا سَافَرَ سِتَّةَ عَشَرَ فَرَسًا بِالْهَاشِمِيِّ - ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعِينَ مِيلًا.

وَتَقْدِيمُ الْإِفْطَارِ وَتَأْخِيرُ السَّحُورِ.

وَتَرْكِيْبُ الْيَمِينِ عَلَى الشَّمَالِ فِي الصَّلَاةِ.

وَالْجَهْرُ بِأَمِينٍ.

وَإِخْفَاءُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَأَنْ تَقُولَ بِلسَانِكَ وَتَعْلَمَ يَقِينًا بِقَلْبِكَ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا  
أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَالْكَفَّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَالْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَالصِّرَاطِ  
وَالْمِيزَانِ.

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ أَهْلَ الْكِبَائِرِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ النَّارِ، وَأَنَّهُ  
لَا يُخَلِّدُ فِيهَا إِلَّا مُشْرِكًا.

وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَبْصَارِهِمْ.

وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَأَنَّ الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ،  
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

**قَالَ:** فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا مِنِّي، أَمَرَ بِي فَقَلَعَ لِي أَرْبَعَةَ أَضْرَاسٍ، **وَقَالَ:**  
أَخْرِجُوهُ عَنِّي لَا يُفْسِدُ عَلَيَّ مَا أَنَا فِيهِ.

فَأُخْرِجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَسَأَلَنِي عَمَّا جَرَى  
بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُلَيفَةِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: لَا نَسِيَّ اللَّهَ لَكَ هَذَا الْمَقَامَ حِينَ تَقِفُ  
بَيْنَ يَدَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ نَكْتُبَ هَذَا عَلَى أَبْوَابِ مَسَاجِدِنَا، وَنُعَلِّمَهُ أَهْلَنَا  
وَأَوْلَادَنَا.

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى ابْنِهِ صَالِحٍ، فَقَالَ: اكْتُبْ هَذَا الْحَدِيثَ وَاجْعَلْهُ فِي رَقٍّ  
أَبْيَضَ وَاحْتَفِظْ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ حَدِيثٍ كَتَبْتُهُ، إِذَا لَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ تَلَقَّاهُ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

## مناظرة ابن قدامة المقدسي (كتاب المناظرة في القرآن)

### التعريف بابن قدامة المقدسي

هو أبو مُحَمَّد، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ قُدَامَةَ بْنِ مُقْدَامِ بْنِ نَصْرِ الْمَقْدِسِيِّ، الْجَمَاعِيِّ، ثُمَّ الدَّمَشْقِيِّ، الصَّالِحِيِّ، الْحَنْبَلِيِّ المعروف بِمَوْفِقِ الدين ابن قدامة المقدسي.

كَانَ عَالِمَ أَهْلِ الشَّامِ فِي زَمَانِهِ.

قَالَ ابْنُ التَّجَارِ: كَانَ إِمَامَ الْحَنَابِلَةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَكَانَ ثِقَةً، حُجَّةً، نَبِيلاً، غَزِيرَ الْفَضْلِ، نَزْهًا، وَرِعًا، عَابِدًا، عَلَى قَانُونِ السَّلَفِ، عَلَيْهِ النُّورُ وَالْوَقَارُ، يَنْتَفِعُ الرَّجُلُ بِرُؤْيَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «الشيخ الإمام المتفق على إمامته وعلمه

وصلاحه وكراماته أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي»<sup>[١]</sup>.

وقال إسماعيل ابن كثير: «إِمَامٌ عَالِمٌ بَارِعٌ، لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ بَلْ  
وَلَا قَبْلَ دَهْرِهِ بِمُدَّةٍ، أَفْقَهُ مِنْهُ»<sup>[٢]</sup>

### من كتبه:

- المغني (شرح مختصر الخرق).
- إثبات صفة العلو.
- لمعة الاعتقاد.
- عمدة الفقه (على مذهب الإمام أحمد).
- المقنع (على مذهب الإمام أحمد).
- الكافي (على مذهب الإمام أحمد).
- روضة الناظر وجنة المناظر (في أصول الفقه).
- كتاب التَّوَابِين.

[١] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج٤ ص ١٢٩١)

[٢] البداية والنهاية ط هجر (ج ١٧ ص ١١٧)

## أهمية هذا الكتاب

هذا الكتاب أجاب فيه الشيخ عن شبهات الطائفة الأشعرية بعد مناظرته لهم، وهو يتميز عن كتب السلف بأن مؤلفه عايش الأشعرية وعرف بدعتهم وناظرهم، ورد على بدعتهم خاصة، بينما السلف ردوا على كلام الجهمية والمعتزلة، وهم كانوا أصرح وأجراً في إظهار عقيدتهم من الأشعرية الذين عرفوا بممارستهم للتقية وإخفاء عقائدهم تحت ستار الادعاء بأنهم يوافقون أهل السنة والجماعة. وقد تكلم الشيخ ابن قدامة عن هذه المسألة، أعني مسألة التقية، فكان هذا الكتاب من الكتب المهمة في معرفة خطر هذه الطائفة ورد شبهاتها.

ويحتوي هذا الكتاب على قواعد مهمة جداً في رد شبهاتهم، منها الاحتجاج بالإجماع، ومنها الاحتجاج باعتقاد السلف، ومنها أن القول في بعض الصفات كالقول في غيرها.

وقد اعتمدت على مخطوطة المكتبة الظاهرية وهي ضمن مجاميع العمرية (١١٦) وكذلك مخطوطة جامعة أم القرى (b11489200) إلا أن هذه الأخيرة ناقصة وآخرها الكلام عن أن القرآن حروف، وما يلي ذلك من كلام عن الأشعرية وتصريح بدمهم وتبديعهم مفقود منها.



# كتاب المناظرة في القرآن

## [مقدمة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْفَقِيهُ مَوْفِقُ الدِّينِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ مَفْتِي الْأَنْامِ سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ قَدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ تَكَرَّرَ سُؤَالُ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ حِكَايَةِ مَنَاظَرَةِ جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ بَعْضِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ فِي الْقُرْآنِ، فَخِفْتُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالْتِقْصَانِ فَرَأَيْتُ أَنْ أَذْكَرَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْحِكَايَةِ، كَيْ لَا تَكُونَ الزِّيَادَةُ فِي الْحُجَجِ وَالْأَجْوَبَةِ عَنْ شُبُهِهِمْ كَذِبًا، مَعَ تَضَمُّنِ ذَلِكَ لِأَكْثَرِ مَا جَرَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ الْمُؤَقِّقُ وَالْمُعِينُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

## [أصل الخلاف في القرآن]

فَقُول: مَوْضِعُ الْخِلَافِ أَتَنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَهُوَ<sup>(١)</sup> هَذِهِ الْمِئَّةُ وَالْأَرْبَعُ عَشْرَةَ سُورَةً، أَوَّلُهَا سُورَةُ الْفَاتِحَةِ وَآخِرُهَا الْمَعَوَّذَاتِ، وَأَنَّهُ سُورٌ وَأَيَاتٌ وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَتْلُوٌ مَسْمُوعٌ مَكْتُوبٌ. وَعِنْدَهُمْ: <sup>(٢)</sup>

- أَنَّ هَذِهِ السُّورَ وَالْآيَاتَ لَيْسَتْ بِقُرْآنٍ وَإِنَّمَا هِيَ عِبَارَةٌ عَنْهُ وَحِكَايَةٌ.
- وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ.
- وَأَنَّ الْقُرْآنَ مَعْنَى فِي نَفْسِ الْبَارِي.
- وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَتَّبَعُ وَلَا يَتَعَدَّدُ.
- وَلَا هُوَ شَيْءٌ يُنَزَّلُ وَلَا يُتْلَى وَلَا يُسْمَعُ<sup>(٣)</sup> وَلَا يُكْتَبُ.
- وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا الْوَرَقُ وَالْمِدَادُ.<sup>(٤)</sup>

---

(١) الضمير يعود على القرآن لا على كلام الله.

(٢) الأشعرية.

(٣) يقول الأشعري وأتباعه بأنه يمكن أن يُسْمَعَ مع أنه ليس صوتاً [إحياء علوم الدين ج١ ص٩١] وقال الماتريدي بعدم إمكانية السماع، لأنه لا يمكن أن يسمع إلا الصوت [التوحيد للماتريدي ص٥٩]، غير أن الأشاعرة والماتريدية متفقون على الإنكار والكفر بصوت الله تعالى، وقد بينّا الرد عليهم في حاشية "فضل علم السلف" (ص٤٣).

## وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ السُّورِ الَّتِي هِيَ الْقُرْآنُ.

فَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا عِبَارَةٌ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هُوَ الَّذِي أَلْقَاهَا بِإِلْهَامِ  
اللَّهِ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ.<sup>(٢)</sup>

وَزَعَمَ آخَرُونَ مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَأَخَذَهَا  
جَبْرِيلُ مِنْهُ.<sup>(٣)</sup>

(١) المِداد: الخبر.

(٢) قال الباقلاني الأشعري: «والمنزول به هو اللغة العربية التي تلا بها جبريل، ونحن نتلوا بها إلى يوم  
القيامة، لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ والنازل على الحقيقة المنتقل من قطر إلى قطر: قولُ  
جبريل عليه السلام، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ... وهذا إخبارٌ من الله  
تعالى بأن النظم العربي الذي هو قراءةُ كلام الله تعالى: قولُ جبريلَ» [الإنصاف ص ١٤٧].

(٣) قال فخر الرازي الأشعري: «فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، بِمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَظْهَرَهُ فِي اللَّوْحِ  
الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الَّذِي رَتَّبَهُ وَنَظَّمَهُ» [تفسير الرازي، الحاقة: ٤٠] وقال: «فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ سَمِعَ جَبْرِيلُ  
كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَلَامُهُ لَيْسَ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ عِنْدَكُمْ؟ قُلْنَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ  
سَمْعًا لِكَلَامِهِ ثُمَّ أَقْدَرَهُ عَلَى عِبَارَةٍ يُعَبِّرُ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَلَقَ فِي  
اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كِتَابَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فَقَرَأَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَفِظَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ  
اللَّهُ أَصْوَاتًا مُقَطَّعَةً بِهَذَا النَّظْمِ الْمَخْصُوصِ فِي جِسْمٍ مَخْصُوصٍ فَيَتَلَقَّفُهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَخْلُقَ  
لَهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَنَّهُ هُوَ الْعِبَارَةُ الْمُؤَدِّيَةُ لِمَعْنَى ذَلِكَ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ» [تفسير الرازي، البقرة: ٤].

## [شبهة تعدد السُّور]

وَاحْتَجُّوا عَلَى كَوْنِ هَذِهِ السُّورِ مَخْلُوقَةٍ بِأَنَّهَا تَتَعَدَّدُ، وَلَا يَتَعَدَّدُ إِلَّا الْمَخْلُوقُ.

**[الجواب]** وَهَذَا يَبْطُلُ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا صِفَاتٌ مُتَعَدَّدَةٌ؛ مِنْهَا السَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْعِلْمُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالْحَيَاةُ، وَالْكَلَامُ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهَا قَدِيمَةٌ. <sup>(١)</sup> وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا مُتَعَدَّدَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا، مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» فَثَبَتَ تَعَدُّدُهَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْإِجْمَاعِ، وَهِيَ قَدِيمَةٌ. وَقَدْ نَصَّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَقَالَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ «مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ».

وَكَذَلِكَ كَلِمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَعَدَّدَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

(١) كلمة قديمة عندهم بمعنى أنها لم تحدث بعد أن كانت معدومة.

بِمَثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩] وَهِيَ قَدِيمَةٌ.

وَكَذَلِكَ كُتِبَ اللَّهُ تَعَالَى فَإِنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ مُتَعَدَّدَةٌ وَهِيَ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَإِنْ قَالُوا: «هِيَ مَخْلُوقَةٌ» فَقَدْ قَالُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ، وَقَدْ اتَّفَقْنَا عَلَى ضَلَالِهِمْ<sup>(١)</sup>، وَاتَّفَقَ الْمُنْتَمُونَ إِلَى السَّنَةِ عَلَى أَنَّ الْقَائِلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ كَافِرٌ<sup>(٢)</sup>، مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: «كَفَرِ يَنْقُلُ عَنِ الْمَلَةِ» وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: «لَا يَنْقُلُهُ عَنْهَا».

فَمَتَى قَالُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَقَدْ قَالُوا بِقَوْلِ أَقْرَأُوا بِكُفْرٍ قَائِلِهِ!

وَإِنْ أَقْرَأُوا بِهَا غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ وَهِيَ مُتَعَدَّدَةٌ فَقَدْ بَطَلَ قَوْلُهُمْ.

(١) أي: اتَّفَقْنَا نَحْنُ وَالْأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتَرِيدِيَّةُ عَلَى ضَلَالِ الْمُعْتَزَلَةِ.

(٢) قال أبو زرعة وأبو حاتم: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم... قالوا: «ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة. ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر» [شرح أصول أهل السنة ٣٢١].

وللمزيد مما نقل عن أهل السنة في هذا؛ انظر: السنة لعبد الله بن أحمد في الفصل الأول منه، وانظر: شرح أصول أهل السنة للالكائي، فصل: سياق ما روي عن من أفتى في من قال: القرآن مخلوق.

وإن قالوا: هي شيءٌ واحدٌ غيرُ مُتَعَدِّدٍ؛ فقد كُتِبَوا، وَيَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ تَكُونَ التَّوْرَةُ هِيَ الْقُرْآنُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ، وَأَنْ مُوسَى لَمَّا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ؛ فَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُلُّ كِتَابٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ نَبِيَّنَا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ؛ فَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ، وَأَنَّ مَنْ قَرَأَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ قَرَأَ كُلَّ كِتَابٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ حَفِظَ شَيْئًا مِنْهُ؛ فَقَدْ حَفِظَهُ كُلَّهُ، وَيَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ لَا يَتَعَبَّ أَحَدٌ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ حِفْظُ كُلِّ كِتَابٍ لِلَّهِ تَعَالَى بِحِفْظِ آيَةٍ مِنْهُ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ؛ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ جَمِيعُهُ وَجَمِيعُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَهَذَا خِزْيٌ عَلَى قَائِلِهِ، وَمَكَابَرَةٌ لِنَفْسِهِ.

وَيَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ هُوَ النَّهْيُ، وَالْإِثْبَاتُ هُوَ النَّفْيُ، وَقِصَّةُ نُوْحٍ هِيَ قِصَّةُ هُودٍ وَلُوطٍ، وَأَحَدُ الصَّدِّيقَيْنِ هُوَ الْآخَرُ، وَهَذَا قَوْلٌ مِنْ لَا يَسْتَحْيِي، وَيُشَبِّهُ قَوْلَ السُّوفِسْطَائِيَّةِ.<sup>(١)</sup>

وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ -يَقَالُ لَهُ ابْنُ فُورَكٍ- كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «سُورَةُ

(١) السُّوفِسْطَائِيَّةُ: مَذْهَبٌ فَلَاسِفِيٌّ، وَأَهْلُهُ يَقْدُمُونَ أُدْلَةَ فَاسِدَةٍ مُوْهِمَةٍ، أَحْيَانًا يَنْكُرُونَ بِهَا أَشْيَاءَ حَسِيَّةً أَوْ يَقِينَةً.

الْبَقَرَةُ هِيَ سُورَةُ آلِ عَمْرَانَ؟ قَالَ: «نعم».

### [شبهة أن كلام الله لا ينزل]

وَأِنْ قَالُوا: إِنْ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ هَذِهِ الْكُتُبُ، وَإِنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْقَدِيمُ، لَكِنْ لَمْ يَنْزِلْ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا هُوَ شَيْءٌ يُحْفَظُ وَلَا يُتْلَى وَلَا يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَ عِبَارَتُهُ.

[الجواب] كَذَّبَهُمُ الْقُرْآنُ وَالسَّنةُ وَاجْتِمَاعُ الْأُمَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ التَّوْرَةَ أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى، وَالزَّبُورَ عَلَى دَاوُدَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ①﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ②﴾ [يُوسُفُ ٢-١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ③﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ④ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ⑤﴾ [الشُّعَرَاءُ ١٩٢-١٩٤].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً

وَاحِدَةً ﴿[الفرقان: ٣٢].

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣١﴾ [الزخرف: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الحجر: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢ / الأنعام: ١٥٥] ومثل هذا كثير.

وقد كفر الله تعالى اليهود بقولهم: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى



نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴿[الأنعام: ٩١] ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (١) ﴿[الأنعام: ٩١].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ الآية [آل عمران ٧] ومثل هذا كثير.

وَقَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ السَّلَام- «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» [٢] وَالسَّنَّةُ مَمْلُوءَةٌ مِنْهُ. (٣)

[شبهة أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ غَيْرُ الْقُرْآنِ]

فَإِنْ قَالُوا: فَكِتَابُ اللَّهِ غَيْرُ الْقُرْآنِ.

(١) ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هي جواب: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ...﴾.

[٢] رواه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (٨١٨).

(٣) أي: من هذا المعنى.

[الجواب] قُلْنَا: خالفتُم ربَّ العالمين، وخرقتُم إجماعَ المسلمين، وجئتم بما لم يأت به أحدٌ من المُلحدِين، فَإِنَّهُ لَا خِلافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الْمُنَزَّلُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [يوسف: ٢-١].

[٢-١].

وَقَالَ: ﴿حَم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [الزخرف ١-٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿حَم ۝ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [فصلت: ١-٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ [الأحقاف ٢٩-٣٠]. فَسَمَوْهُ قُرْءَانًا وَكِتَابًا.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن ١-٢] وَلَا يَخْفَى هَذَا إِلَّا عَلَى مَنْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَأَضَلَّهُ عَن سَبِيلِهِ ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ [الرعد: ٣٣].

[شبهة أن الحروف والأصوات لا تخرج إلا من مخارج وأدوات]

وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ لَا تَخْرُجُ إِلَّا مِنْ مَخَارِجٍ وَأَدَوَاتٍ، فَلَا يَجُوزُ إِصَافَةُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ.<sup>(١)</sup>

(١) قال الباقلاني الأشعري: «ما ذكرتم من الحصر، والتحديد والتبعض، والحروف، والأصوات، فجميع ذلك راجع إلى تلاوة المخلوقين دون كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفات ذاته؛ لأن جميع ما ذكرتم يحتاج إلى مخارج من لسان، وشفتين، وحلق، والله يتعالى ويتنزه عن جميع ذلك» [الإنصاف ص ٢٧]  
وقال الشهرستاني الأشعري: «فإن أثبتوا حروفا هي أصوات مقطعة فلا بد لها من اصطكاكات أجرام حتى يتحقق الصوت...» قال: «فيلزم على ذلك أن يكون الباري جسما متحركا ذا اصطكاك في أجزاء جسمية، ويتعالى الرب سبحانه عن ذلك علوا كبيرا» [نهاية الإقدام إلى علم الكلام]  
وقال الآمدي الأشعري: «إذ الأصوات لا تكون إلا عن اصطكاك أجرام صلبة من قرع، أو قلع» أبكار الأفكار (ج ١ ص ٣٨٦).

**والجواب** عَنْ هَذَا مِنْ أَوْجُهُ:

أحدها: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الحُرُوفَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ مَخَارِجٍ وَأَدَوَاتٍ؟

فَإِنْ قَالُوا: لَأَنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى التَّطْقِ بِهَا إِلَّا مِنْ مَخَارِجٍ وَأَدَوَاتٍ؛ فَكَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ قُلْنَا: هَذَا قِيَاسٌ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، وَتَشْبِيهُ لَهُ بِعِبَادِهِ، وَالْحَاقُّ لَصِفَاتِهِمْ بِصِفَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْكُفْرِ، وَقَدْ اتَّفَقْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُشَبَّهُ بِخَلْقِهِ وَأَنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الثَّانِي: إِنْ هَذَا بَاطِلٌ بِسَائِرِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَكُونُ فِي حَقِّهِ إِلَّا بِقَلْبٍ، وَالسَّمْعَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اخْرَاقٍ، وَالْبَصَرَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ حَدَقَةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَلَا يُوصَفُ بِذَلِكَ، فَإِنْ نَفَيْتُمْ الْكَلَامَ لافْتقَارِهِ - فِي زَعْمِكُمْ - إِلَى الْمَخَارِجِ وَالْأَدَوَاتِ فَيَلْزَمُكُمْ نَفْيُ سَائِرِ الصِّفَاتِ، وَإِنْ أَثَبَّيْتُمْ لَهُ الصِّفَاتِ وَنَفَيْتُمْ عَنْهُ الْأَدَوَاتِ؛ لَزِمَكُمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ، وَإِلَّا فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟!

الثَّالِثُ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْطَقَ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ بِغَيْرِ مَخَارِجٍ، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ  
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا  
أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة فصلت: ٢٠-٢١].

وَأَخْبَرَ عَنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمَا ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١].

وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ حَجْرًا كَانَ يَسْلَمُ عَلَيْهِ،<sup>(١)</sup> وَسُحَّ الْحَصَى  
فِي يَدَيْهِ.<sup>[٢]</sup>

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ «كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ»<sup>[٣]</sup> وَلَا خِلَافَ

(١) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ  
عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» رواه مسلم (٢٢٧٧).

(٢) [غير ثابت] عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «تَنَاوَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ  
حَصَيَّاتٍ أَوْ تِسْعَ حَصَيَّاتٍ فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ التَّحْلِ» رواه ابن أبي  
عاصم (١١٨٠) والبرز (٤٠٤٠) والطبراني في الأوسط (١٢٤٤) و(٤٠٩٧) والشاميين (٢٤٦) وأسانيد هذا  
الخبر لا تقوى مع شهرته، وقد أورده ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (٣٢٦).

[٣] رواه البخاري (٣٥٧٩).

فِي أَنْ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِنْطَاقِ الْحَجَرِ الْأَصَمِّ مِنْ غَيْرِ مَخَارِجٍ، فَلَيْمَ لَا يَقْدِرُ  
سُبْحَانَهُ عَلَى التَّكَلُّمِ إِلَّا مِنَ الْمَخَارِجِ؟<sup>(١)</sup>

### [شبهة تعاقب الحروف]

وَاحْتَجَّوْا بَانَ الْحُرُوفِ يَدْخُلُهَا التَّعَاقُبُ؛ فَيَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا.<sup>(٢)</sup>

(١) وإننا نستغرب ونتعجب من أناس يرددون هذه الشبهة اليوم وهم يسجلون أصواتهم ويسمعونها بمكبرات الصوت، ويرونها بأعينهم تصدر صوتًا بحروف مفهومة بدون أن يكون لها فم ولا أسنان ولا حنجرة، ثم يرددون هذه الشبهة أن الله -حاشاه- إذا تكلم فلا بد من أن يكون له فم وأسنان وحنجرة، فترى من يدعي العقل والنظر كيف أنه يردد شبهة قيلت بجهل قبل أكثر من ألف سنة دون أن يحاول إعادة النظر فيها أو تطويرها بعدما علم أن الصوت ليس من شروطه الأسنان والرئتين والحنجرة، إلا أنَّ هذا سببه تصوُّرهم أنَّ الله قد يشابه البشر إذا أثبتنا له الصفات.

(٢) هذا الاعتراض كتبه الجويني الأشعري في «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» (ص ١٤٩).

ومعناه مثلاً ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء قبل السين، والسين بعد الباء. وهذا يخالف دين الجهمية من جهتين:

الأولى: أن هذا يلزم منه أن الله عنده زمان، وعنده قبل وبعد، وهذا ينافي دينهم.

والثاني: أن هذا الحرف الذي جاء بعد غيره فهو قطعاً كان بعد أن يكن، وهذا عندهم مخلوق، لأنه بالنسبة إليهم، كل ما كان بعد أن لم يكن مخلوقاً، حتى لو كان من أفعال الله تعالى، وهذا ما يبنون عليه أكثر ضلالاتهم.

**والجواب:** إِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَلْزَمُ فِي حَقِّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْمَخَارِجِ وَالْأَدْوَاتِ،  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُوصَفُ بِذَلِكَ، وَعَلَى أَنْ هَذَا يَعُودُ إِلَى تَشْبِيهِ اللَّهِ تَعَالَى  
بِعِبَادِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ إِلَّا مَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُمْ؛ وَهُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ.

### [بَيَانُ أَهْلِ السُّورِ الَّتِي فِيهَا حُرُوفُ قِرَآنٍ]

فَإِنْ قَالُوا فَمَا دَلِيلُكُمْ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَ الْمُشْتَمَلَةَ عَلَى الْحُرُوفِ  
قُرْآنٌ؟

ولأن جواب الشيخ لم يكن مستوعباً دحر هذه الشبهة، فأقول:

جواب الأولى: إن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فوق الحق وبطل بذلك قولهم، ثم تلي  
هذه الآية جميع ما أثبتناه من أفعال الله تعالى كالاستواء، والنزول، وبسط الأدلة في ذلك يطول.

وأما جواب الثانية: فهم بنوا قولهم على قاعدة «كل حادث مخلوق» وهذه القاعدة غير متفق  
عليها إلا بينهم وبين إخوانهم الفلاسفة، أما نحن فنقول: إن الله تعالى يفعل ما شاء كما شاء متى  
شاء، وشاهد قولنا ما أجمع عليه الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات  
الله وسلامه في قولهم يوم القيامة: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَكِنْ  
يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ» [رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤)] فأثبتوا غضب الله تعالى الذي يكون  
يوم القيامة أنه كان بعد أن لم يكن قبله مثله، ولن يكون بعده مثله، ولا يقول عاقل أن غضب  
الله مخلوق، فتعلم يقيناً أن ما كان من صفات الله تعالى وأفعاله لا يسمى مخلوقاً، ولا يقاس على  
غيره.

[الجواب] قلنا: كتاب الله تعالى، وسنة نبيه عليه السلام، وإجماع الأمة.

أما كتاب الله تعالى: فقلوه سبحانه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] فأخبر الله تعالى أن الذي سمّوه شعراً؛ قرآنٌ مبينٌ، وما ليس بحروفٍ لا يجوز أن يكون شعراً عند أحدٍ، فلما ثبت أنهم سمّوه شعراً؛ دلّ على أنه حروفٌ.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] فأشار إلى حاضرٍ، وتحذاهم بالإتيان بمثله، ولا يجوز التحدي بما لا يعلم ولا يُدرى ما هو.<sup>(١)</sup>

(١) الواقع أن هذا الرد ليس بحجة عليهم، إلا إذا كان السؤال «ما دليلكم على أن هذه السور المُشتملة على الحروف هي القرآن؟» لأن الأشاعرة عندهم القرآن قرآنان:

قرآن مخلوق، وهو ما نقرأه، وهذا الذي تحدى الله الكفار أن يأتوا بمثله.

وقرآن غير مخلوق وهو علم الله، يقول الرازي: «إنَّ الْقُرْآنَ اسْمٌ يُقَالُ بِالْإِشْتِرَاكِ عَلَى الصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ الْقَائِمَةِ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ، وَلَا نِزَاعَ فِي أَنَّ الْكَلِمَاتِ الْمُرَكَّبَةَ



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ  
الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا  
مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ  
وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ مُحَدَّثَةٌ مُخْلُوقَةٌ، وَالتَّحَدِّيُّ إِنَّمَا وَقَعَ بِهَا لَا بِالصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ» [تفسير  
سورة يونس ٣٧ الى ٣٩] وليس عند هؤلاء دليل على كلامهم إلا أنهم أعجبهم كلام المعتزلة،  
وأعجبهم كلام أهل السنة فحاولوا خلط الحق بالباطل، فخرجوا بقول ثالث أكثر بطلاً من قول  
المعتزلة.

فلا بد من الاحتجاج عليهم بأن القرآن ليس إلا كلام الله تعالى المبدوء بالفاتحة والمختوم  
بالناس، وهذا فقط هو القرآن.

وإنه لمن المحزن أن نحتاج إلى أن نحتج على أناس من أهل القبلة بأنه ليس عندنا إلا قرآن  
واحد، وأن هذا القرآن هو ما نقرؤه في صلاتنا، فانظر شوم البدعة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ [يونس: ١٥].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف: ٣١].

فَأخبر الله تعالى عنهم أنهم طلبوا منه الإتيان بغيره أو تبديله، ومرة أنهم ادعوا القدرة على أن يقولوا مثله، ومرة قالوا: «لولا أنزل على غيره»؛ علم يقيناً أنه هذا الموجود عندنا الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ٨٩﴾ [الإسراء: ٨٩].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨] وهذه إشارة إلى حاضر، والذي صرّفت فيه الأمثال إنما هو هذا القرآن العربي الذي يعرفه الناس قرآنًا، وسماه الله تعالى ﴿عَرَبِيًّا﴾ وهذا إنما يوصف به النظم الذي هو حروف دون ما لا يعرف ولا يدرى ما هو.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَبٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء ١٩٢-١٩٥].

وَقَالَ: ﴿وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣].

وَقَالَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢].

وَقَالَ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢]

وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَأَشْبَاهُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرٌ، تُدُلُّ بِمَجْمُوعِهَا عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ؛ هَذَا الَّذِي هُوَ سُورٌ مُحْكَمَاتٌ وَآيَاتٌ مُفَصَّلَاتٌ وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، وَإِنْ تَطَرَّقَ احْتِمَالٌ [١] إِلَى [٢] بَعْضِهَا فَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَى مَجْمُوعِهَا.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ مَأْدُبَةٌ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ تَعَالَى، هُوَ الثُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عَصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَعْوجُّ فَيَقْوَمُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثَرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرْكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿آلَمْ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ فِي الْأَلْفِ عَشْرٌ، وَفِي اللَّامِ عَشْرٌ، وَفِي الْمِيمِ عَشْرٌ».

وَرُويَ أَيْضًا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ،<sup>(٢)</sup> وَالسَّنَةُ مُشْحُونَةٌ بِذَلِكَ.

وَالْأَمَةُ مُجْمَعَةٌ عَلَى أَنَّ هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ؛ الَّذِي لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهِ،

[١] غير موجودة في المخطوط، وأضفتها لأن السياق يقتضيها.

(٢) الموقوف: أي من كلام الصحابي.

وَلَا تَصِحُّ الْخُطْبَةُ إِلَّا بِآيَةٍ مِنْهُ، وَلَا يَقْرَأُ حَائِضٌ وَلَا جُنُبٌ<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا اخْتَلَفَ أَهْلُ الْحَقِّ وَالْمُعْتَزَلَةُ، فَقَالَ أَهْلُ الْحَقِّ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَقَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ: هُوَ مَخْلُوقٌ؛ لَمْ يَكُنْ اخْتِلَافُهُمْ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْجُودِ، دُونَ مَا فِي نَفْسِ الْبَارِي مِمَّا لَا يُدْرَى مَا هُوَ وَلَا نَعْرِفُهُ.

وَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَرْتِيلِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا هَذَا الْمَوْجُودَ.

وَمَا قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] إِنَّْمَا أَشَارَ إِلَى هَذَا النَّظْمِ<sup>(٢)</sup>، فَتَوَعَّدَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبا: ٣١] إِنَّْمَا أَشَارُوا إِلَيْهِ.

(١) القراءة في الخطبة وقراءة الحائض فيها خلاف.

(٢) النظم: الكلام المنظوم المرتب بترتيب معين.

ولَمَّا قَالُوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ لم يَعْنُوا غَيْرَهُ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّظْمُ قُرْآنًا لَوَجَبَ أَنْ تَبْطُلَ الصَّلَاةُ بِهِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنْ صَلَاتَنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» فَعَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْمَخْذُولِينَ: يَكُونُ الْقُرْآنُ الَّذِي لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهِ؛ مُبْطَلًا لَهَا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِقُرْآنٍ وَإِنَّمَا هُوَ عِبَارَةٌ جَبْرِيَّةٌ، وَهَذِهِ فَضِيحَةٌ لَمْ يُسَبِّقُوا إِلَيْهَا.<sup>(١)</sup>

### مخالفة الأشعري وأتباعه للإجماع، وبيان خللهم

وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ فِي الْقُرْآنِ نَاسِخًا وَمَنْسُوحًا، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ هَذَا بِالتَّظْمِ دُونَ مَا فِي النَّفْسِ.

وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجَزٌ لِلْخَلْقِ؛ عَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ، أَوْ سُورَةٍ مِثْلِهِ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ ذَلِكَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ

(١) والفضيحة الثانية: إنهم إن صدقوا بأن الكلام هو ما في النفس؛ لكانت الصلاة تبطل إذا فُكّر الشخص بشيء من الأمور، وهذا لا ينفك أحدٌ عنه، وهو غير مبطل للصلاة بالإجماع.

الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ، وَرَعَمَتِ الْمُعْتَزَلَةُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَأَقَرَّ الْأَشْعَرِيُّ أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ: «هُوَ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ بِقِرَانٍ» فَزَادَ عَلَيْهِمْ.

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ أَنَّ مَنْ جَحَدَ آيَةً أَوْ كَلِمَةً مُتَّفَقًا عَلَيْهَا أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلُّهُ»<sup>[١]</sup> وَالْأَشْعَرِيُّ يَجْحَدُهُ كُلُّهُ، وَيَقُولُ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ قُرْآنًا، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ جَبْرِيلَ».

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ فِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «قَالَ اللَّهُ كَذًا» إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُخْبِرُوا عَنْ آيَةٍ، أَوْ يَسْتَشْهِدُوا بِكَلِمَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيُقَرُّونَ كُلُّهُمْ بِأَنَّ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ، وَعِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ لَيْسَ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلُ جَبْرِيلَ، فَكَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «قَالَ جَبْرِيلُ» أَوْ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ» إِذَا حَكُوا آيَةً.

[١] صحيح عن ابن مسعود، ولم أجده عن عليٍّ. رواه بنحوه عبد الرزاق (١٥٩٤٦) والطبري في التفسير (ط. دار التربية ج ١ ص ٥٥) وهو صحيح عن إبراهيم النخعي، وقال إبراهيم عن ابن مسعود، وبينهما انقطاع، إلا أَنَّ مراسيل النخعي عن ابن مسعود صحيحة، انظر: «شرح علل الترمذي» (ج ١ ص ٥٤٢).

ثُمَّ إِنَّهُمْ<sup>(١)</sup> قَدْ أَقَرُّوا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَإِذَا لَمْ يَكُن الْقُرْآنُ هَذَا الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ قُرْآنًا؛ فَمَا الْقُرْآنُ عِنْدَهُمْ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ عَلِمُوا أَنَّ غَيْرَ هَذَا يُسَمَّى قُرْآنًا؟ فَإِنْ تَسَمَّيَ الْقُرْآنُ إِنَّمَا تُعْلَمُ مِنَ الشَّرْعِ أَوْ النَّصِّ، وَأَمَّا الْعَقْلُ فَلَا يَقْتَضِي تَسْمِيَةَ صِفَةِ اللَّهِ قُرْآنًا، وَمَا وَرَدَ النَّصُّ بِتَسْمِيَتِهِ «الْقُرْآنُ» إِلَّا لِهَذَا الْكِتَابِ، وَلَا عَرَفَتِ الْأُمَّةُ قُرْآنًا غَيْرَهُ، وَتَسْمِيَتُهُمْ غَيْرَهُ قُرْآنًا تَحْكُمُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ وَلَا عَقْلِيٍّ تَخَالَفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ.

وَمَدَارُ الْقَوْمِ عَلَى الْقَوْلِ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ وَوَفَاقِ الْمُعْتَزَلَةِ<sup>(٢)</sup> وَلَكِنْ أَحْبَبُوا أَنْ لَا يُعْلَمَ بِهِمْ؛ فَارْتَكَبُوا مُكَابَرَةَ الْعَيَانِ، وَجَحَدَ الْحَقَائِقِ، وَمُخَالَفَةَ الْإِجْمَاعِ، وَنَبَذَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَالْقَوْلَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقُلْهُ قَبْلَهُمْ مُسْلِمٌ وَلَا كَافِرٌ.

(١) الأشاعرة.

(٢) قال الإيجي الأشعري: «فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف، وكونها حادثة، فنحن نقول به، ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك» [المواقفص ٢٩٤]



## الثَّغْيَةُ عِنْدَ الْأَشْعَرِيَّةِ

وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّهُمْ لَا يَتَجَسَّرُونَ عَلَى إِظْهَارِ قَوْلِهِمْ وَلَا التَّصْرِيحِ بِهِ إِلَّا فِي الْخَلَوَاتِ<sup>(١)</sup> وَلَوْ أَنَّهُمْ وُلاَةُ الْأَمْرِ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ،<sup>(٢)</sup> وَإِذَا حُكِيَتْ عَنْهُمْ مَقَالَتُهُمُ الَّتِي يَعْتَقِدُونَهَا؛ كَرِهُوا ذَلِكَ وَأَنْكَرُوهُ وَكَابَرُوا عَلَيْهِ، وَلَا يَتَظَاهَرُونَ إِلَّا بِتَعْظِيمِ الْقُرْآنِ وَتَبْجِيلِ الْمَصَاحِفِ وَالْقِيَامِ لَهَا عِنْدَ رُؤْيَيْهَا، وَفِي الْخَلَوَاتِ يَقُولُونَ «مَا فِيهَا إِلَّا الْوَرَقُ وَالْمِدَادُ، وَأَيُّ شَيْءٍ فِيهَا؟!» وَهَذَا فِعْلُ الزَّنَادِقَةِ.

وَلَقَدْ حَكَيْتُ عَنِ الَّذِي جَرَتْ الْمُنَازَعَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْضَ مَا قَالَهُ، فَنُقِلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ؛ فَغَضِبَ وَشَقَّ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ وُلاَةِ الْبَلَدِ. وَمَا أَفْصَحَ لِي بِمَقَالَتِهِ حَتَّى خَلَوْتُ مَعَهُ، وَقَالَ: «أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَقْصَى مَا فِي نَفْسِي،

(١) قال الباجوري الأشعري: «لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم» [شرح جوهرة التوحيد ص ٩٤].

(٢) فالأشاعرة كانوا هم المسيطرون على المناصب الدينية لقربهم من السلاطين، وترى السلاطين يوافقونهم، وهذا موجود إلى زماننا كما ترى في سوريا ومصر وأكثر البلاد الإسلامية، ومع ذلك فإنهم أجبن من المعتزلة في إظهار مقالاتهم، إذ أنهم علموا أن مذهب المعتزلة لما كان صريحاً قوياً مُصَادِماً لعلماء المسلمين وعامتهم؛ انكسر، فعلموا أن تغليف البدعة بالأقوال الموهمة أروج لها، ففعلوا ذلك، ولهذا راج مذهبهم.

وتقول لي أقصى ما في نفسك» وصرّح لي بمقالتهم على ما حكيناه عنهم، ولما ألزمته بعض الآيات الدالة على أن القرآن هو هذه السور؛ قال: «وأنا أقول: إن هذا قرآن، ولكن ليس هو القرآن القديم.

قلت: ولنا قرآنان؟

قال: نعم، وأي شيء يكون إذا كان لنا قرآنان؟

ثم غضب لما حكيث عنه هذا القول.

وقال له بعض أصحابنا: أنتم ولأه الأمر وأرباب الدولة؛ فما الذي يمنعكم من إظهار مقالتيكم لعامة الناس ودعاء الناس إلى القول بها بينهم؛ فبهت ولم يجب إلي.

ولا نعرف في أهل البدع طائفة يكتمون مذاهبهم ولا يتجاسرون على إظهارها إلا الزنادقة والأشعرية، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإظهار الدين والدعاء إليه وتبليغ ما أنزل عليه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

فإن كانت مقالتهم كما يزعمون هي الحق فهاًلاً أظهروها ودعوا

النَّاسَ إِلَيْهَا؟ وَكَيْفَ حَلَّ لَهُمْ كِتْمَانُهَا وَإِخْفَاؤُهَا وَالتَّظَاهُرُ بِخِلَافِهَا وَإِيهَامُ الْعَامِ اعْتِقَادَ مَا سِوَاهَا؟ بَلْ لَوْ كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ هِيَ الْحَقُّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَالْأَيُّمَةُ الَّذِينَ بَعْدَهُمْ؛ كَيْفَ لَمْ يُظْهَرَهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَكَيْفَ تَوَاطَاوُا عَلَى كِتْمَانِهَا، أَمْ كَيْفَ حَلَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ كِتْمَانُهَا عَنْ أُمَّتِهِ وَقَدْ أُمِرَ بِتَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَتَوَعَّدَ عَلَى إِخْفَاءِ شَيْءٍ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] أَمْ كَيْفَ وَسَّعَهُ أَنْ يُوْهِمَ الْخَلْقَ خِلَافَ الْحَقِّ؟ ثُمَّ هُوَ ﷺ أَشْفَقُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ أَنْ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ حَقًّا وَيَأْمُرَهُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَى أُمَّتِهِ فَيَكْتُمُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يَضِلُّوا عَنْهُ. ثُمَّ إِذَا كَتَمَهُ فَمَنْ الَّذِي بَلَغَهُ إِلَى الصَّحَابَةِ حَتَّى اعْتَقَدُوهُ وَدَانُوا بِهِ، وَكَيْفَ يُصَوِّرُ مِنْهُمْ أَنْ يَدِينُوا بِهِ وَيَتَوَاطَاوُا عَلَى كِتْمَانِهِ حَتَّى لَا يُنْقَلَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَعَ كَثَرَتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ فِي الْبِلَادِ، فَإِنْ تُصَوِّرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ؛ فَمَنْ الَّذِي نَقَلَهُ إِلَى التَّابِعِينَ حَتَّى اعْتَقَدُوهُ فَكُلُّ هَذَا مِنَ الْمُسْتَحِيلِ الَّذِي يَقْطَعُ كُلُّ ذِي لُبٍّ بِفَسَادِهِ، وَيَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَتَابِعِيهِمْ مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْقُرْآنِ اعْتِقَادًا سِوَى اعْتِقَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ سُورٌ وَآيَاتٌ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَخْفَى عَلَى غَيْرٍ مَنِ أَضَلَّهُ اللَّهُ.

وإن تصورَ في عُقُولِهِمْ أَنَّ الْحَقَّ خَفِيَ = عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ، وَعَلَى الْأَيُّمَةِ الَّذِينَ مَهَّدُوا الدِّينَ وَاقْتَدَوْا

بِسَلْفِهِمْ، واقتدوا بِهِمْ مَنْ بَعْدَهُمْ = وَغُطِّي عَنْهُمْ الصَّوَابُ وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ الصَّحِيحُ إِلَى أَنْ جَاءَ الْأَشْعَرِيُّ فَبَيَّنَهُ وَأَوْضَحَ مَا خَفِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأُمِّتِهِ وَكَشَفَهُ؛ فَهَذِهِ عَقُولُ سَخِيفَةٍ وَآرَاءُ ضَعِيفَةٍ؛ إِذْ يُتَصَوَّرُ فِيهَا أَنْ يَضِيعَ الْحَقُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَجْدُهُ الْأَشْعَرِيُّ وَيَغْفُلَ عَنْهُ كُلُّ الْأُمَّةِ، وَيَنْتَبِهَ لَهُ دُونُهُمْ، وَإِنْ سَاغَ لَهُمْ هَذَا؛ سَاغَ لِسَائِرِ الْكَفَّارِ نِسْبَتُهُمْ لِنَبِيِّنَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأُمِّتِهِ إِلَى أَنَّهُمْ ضَاعُوا عَنِ الصَّوَابِ وَأَضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ شَرِيعَتُهُمْ غَيْرَ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَدِينُهُمْ غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ لِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهَذَا إِنَّمَا جَاءَ بِهِ الْأَشْعَرِيُّ، وَإِنْ رَضُوا هَذَا وَاعْتَرَفُوا بِهِ؛ خَرَجُوا عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ.

### [إثبات أن القرآن حُرُوفٌ]

[شبهة] فَإِنْ قَالُوا فَكَيْفَ قُلْتُمْ إِنَّ الْقُرْآنَ حُرُوفٌ، وَلَمْ يَرِدْ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ؟

[الجواب] قُلْنَا: قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ هَذِهِ السُّورُ وَالْآيَاتِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ كُلِّهِمْ مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرِهِمْ فِي أَنَّهَا حُرُوفٌ، وَلَا يَخْتَلِفُ عَاقِلَانِ فِي أَنَّ ﴿الْحَمْدُ﴾ خَمْسَةُ أَحْرَفٍ، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ فِي أَنَّ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ سَبْعُ آيَاتٍ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هَلْ هِيَ آيَةٌ مِنْهَا أَمْ لَا، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهَا كَلِمَاتٌ وَحُرُوفٌ.

وقد افتتح الله تعالى كثيراً من سور القرآن بالحروف المقطعة مثل: ﴿الْم﴾ و ﴿الر﴾ ولا يجحد عاقل كونها حروفاً إلا على سبيل المكابرة، وهذا أمر غير خافٍ على أحدٍ، فلا حاجة إلى الدليل عليه.

**فإن قالوا:** لا يسوغ لكم أن تقولوا لفظة لم ترد في كتاب ولا سنة وإن كان معناها صحيحاً ثابتاً.

**قلنا:** هذا خطأ، فإنه لا خلاف في أنه يجوز أن يقال: «إن القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وإن سورة البقرة مائتان وست وثمانون آية» وفي عدد أي سور القرآن وأحزابه وأسباعه وأعشاره، ولم يرد لفظ في ذلك في كتاب ولا سنة.

على أن لفظ الحرف قد جاءت به السنة وأقوال الصحابة وإجماع الأمة؛ فقال النبي ﷺ «من قرأ القرآن وأعره فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه وحن فيه فله بكل حرف منه حسنة»<sup>[١]</sup> وهذا حديث

[١] قال محققو المعنى: «لم نجده في الترمذي بهذا اللفظ ولا قريب منه. وقد أورد السيوطي في الجامع الكبير حديثاً يقاربه في المعنى باختلاف الألفاظ صفحة ٨١٧ وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان».

وقال محقق لمعة الاعتقاد: «رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

صَحِيحٌ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ  
إِقَامَةَ السَّهْمِ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ» [١].

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» [٢].

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ» (٣) أَحَبُّ إِلَيْنَا  
مَنْ حَفِظَ بَعْضَ حُرُوفِهِ» [٤].

بلفظ: (من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات) وفي سنده نهشل الورداني، وهو متروك.

قلت: لكن قد يكون في نسخة ليست عندنا من سنن الترمذي، لأن ابن قدامة نسبته للترمذي في كتابين، وأكد على صحته هنا وفي المغني وفي اللعة وفي الكافي.

[١] رواه ابن المبارك في الزهد (٨١٣) وغيره، وفيه موسى بن عبيدة ضعيف.

[٢] رواه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (٨١٨).

(٣) كلمة «إعراب» معناها: قراءة الكلمة بلسان عربي فصيح.

[٤] رواه أبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١٦) وابن المقرئ في «أخبار النحويين» (ص ٤٢) وإسناده تالف فيه جابر الجعفي وشريك النخعي، وتُقل هذا القول عن الشافعي «مناقب

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ

كُلُّهُ» [١].

وَقَالَ أَيْضًا: «تَعْلَمُوا الْبَقْرَةَ، فَإِنْ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ

بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا» [٢].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْآنِ فَعَلَيْهِ

بِكُلِّ حَرْفٍ كَفَّارَةٌ» [٣].

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «إِذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيَأْتِ

الشافعي للبيهقي» (١/٢٨٢).

[١] سبق الكلام عنه قبل صفحات.

[٢] لم أجده عن علي رضي الله عنه، ولكن «تعلموا البقرة» جاء في حديث مرفوع رواه أحمد «تَعْلَمُوا الْبَقْرَةَ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ...» وذكر الحروف في أثر عن عبد الله بن مسعود «تَعْلَمُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ، فَإِنَّكُمْ تُوجَرُونَ فِيهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ. أَمَّا إِنِّي لَا أَقُولُ {الم} وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلَا مٌ وَمِيمٌ» رواه ابن أبي شيبة (٢٩٩٣٢) و(٢٩٩٣٤) والدارمي (٣٣٥١) وقال حسين سليم أسد: «إسناده صحيح وهو موقوف» وروى الترمذي نحوه مرفوعا (٢٩١٠) وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

[٣] صحيح، رواه عبد الرزاق (١٥٩٤٦).

المُصْحَفَ فَيَفْتَحُهُ فَيَقْرَأُ سُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشَرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿الْم﴾ وَلَكِنَّ الْأَلْفَ عَشْرًا، وَاللَّامَ عَشْرًا، وَالْمِيمَ عَشْرًا»<sup>[١]</sup>

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «قُرَّاءُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ؛ فَقَوْمٌ حَفِظُوا حُرُوفَهُ وَضَيَّعُوا حُدُودَهُ...»<sup>[٢]</sup>

وَقَالَ حُذَيْفَةُ وَفَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ<sup>(٣)</sup>: «خُذْ عَلَيَّ الْمُصْحَفَ، وَلَا تَرُدَّنَّ عَلَيَّ أَلْفًا وَلَا وَائًا»<sup>[٤]</sup>.

وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي تَصَانِيفِهِمْ «بَابُ اخْتِلَافِهِمْ فِي

[١] عن ابن عباس، ولم أجده عن ابن عمر. رواه ابن المبارك (٨٠٧) ونقله البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٠٣) وقال: «وهذا هو الصحيح».

[٢] رواه ابن أبي الدنيا في الهم والحزن (١٠٢) ولا يثبت إسناده.

(٣) صحابي.

[٤] رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٢١٣) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج ٨ ص ٣٠٢) وإسناده ضعيف، وفيه أبو مسكينة أو أبو مكينة ولم أعثر عليه.



حُرُوفِ الْقُرْآنِ»<sup>(١)</sup>.

واتفق أهل الأمصار من أهل الحجاز والعراق والشام على عدد حُرُوفِ الْقُرْآنِ فَعَدَّهَا كُلُّ أَهْلِ مِصْرَ وَقَالُوا: «عَدَّهَا كَذَا وَكَذَا»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ: «قُلْتُ لِيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ: حَدَّثَنِي أَبُو عَمَرَ الصَّنْعَانِيُّ حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ: الْقُرْآنُ أَلْفَا أَلِفٍ حَرْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلِفَ حَرْفٍ، فَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أُعْطِيَ بِكُلِّ حَرْفٍ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَقَالَ لِي يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ ذَلِكَ؟ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ الْعَجَلِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أُعْطِيَ بِكُلِّ حَرْفٍ زَوْجَتَيْنِ مِنَ الْحُورِ

(١) يعني في اختلاف القراءات، فالقرآن الكريم له عشر قراءاتٍ، وكل ذلك أنزله الله، فقد أنزل الله تعالى في الفاتحة ﴿مالك يوم الدين﴾ وأنزل ﴿ملك يوم الدين﴾ وأنزل ﴿صراط الذين﴾ وأنزل ﴿صراط الذين﴾ فكل قارئ اختار لنفسه ما يقرأ به مما أنزل الله، فهذا المراد باختلافهم في حروف القرآن.

(٢) وذلك الاختلاف سببه اختلاف قراءتهم كما سبق، وقد يكون الاختلاف بسبب طريقة العد، فمثلاً: كلمة «قالوا» الألف تكتب ولا تلفظ، فهل نعدّها أم لا، وكذلك «الكن» نقرأها بألف بعد اللام، ولا نكتب هذه الألف، فهل نعدّها أم لا.

العين» [١٠]

ولم تزل هذه الأخبار وهذه اللفظة متداولة منقولة بين الناس لا يُنكرها مُنكرٌ، ولا يَخْتَلِفُ فيها أحدٌ إلى أن جاء الأشعريُّ فأنكرها وخالف الخلق كلَّهم؛ مسلمهم وكافرهم، ولا تأثير لقوله عند أهل الحقِّ، ولا يتركُ [٢] الحقائق وقول رسول الله ﷺ وإجماع الأمة لقول الأشعريِّ، إلا من قد سلبه الله التوفيق وأعمى بصيرته وأضله عن سواء السبيل.

[شبهة اثبات الصوت لله]

وقالوا أيضاً: قد قُلْتُمْ: «إن الله يتكلَّم بصوتٍ» ولم يأت كتاب ولا سنة.

[الجواب] قُلْنَا: بل قد وردَ به الكتاب، والسنة، وإجماع أهل الحقِّ.

أما الكتابُ فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

[١٦٤].

[١] ضعيف، ورواه ابن منده في «الرد على من يقول الم حرف لابن منده» (ص ٦١).

[٢] في المخطوطة (ترك) والسياق لا يقتضيها.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﷻ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى ٥١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ [الشعراء: ١٠].

وَلَا خِلَافَ بَيْنَنَا أَنَّ مُوسَى سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ،<sup>(١)</sup> وَلَا يُسْمَعُ إِلَّا الصَّوْتُ، فَإِنَّ الصَّوْتَ هُوَ مَا يَتَأْتَى سَمَاعَهُ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الْخَلَائِقَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُ مَنْ قَرُبَ {أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيانُ}» [٢].

وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي فَقُلْتُ: يَا أَبَاهُ، إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ، فَقَالَ: «كَذِبُوا إِنَّمَا يُرِيدُونَ عَلَى التَّعْطِيلِ»

(١) لا خلاف بيننا وبين الأشعرية في هذا، لأنهم يقولون إن موسى سمع الكلام النفسي، وهم ينكرون صوت الله تعالى مع ذلك، أما المعتزلة والماتريدية فلا يوافقون هذا ويرون قول الأشعرية متناقض، ويثبتون الوساطة.

[٢] صحيح، انظر تحريجه والرد على اعتراضات من ضعفه في تعليقي على «فضل علم السلف» (ص ٤٣).

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ».

قَالَ أَبُو نَصْرٍ السَّجَزِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَهَذَا الْخَبَرُ لَيْسَ فِي رِوَايَةِ إِلَّا إِمَامٌ مَقْبُولٌ، وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَادَاهُ رَبُّهُ: ﴿يَا مُوسَى﴾ أَجَابَ سَرِيعًا اسْتِثْنَاءً بِالصَّوْتِ، فَقَالَ: «لَبِيكَ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ وَلَا أَرَى مَكَانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟» قَالَ: ﴿أَنَا فَوْقَكَ وَأَمَامَكَ وَوَرَاءَكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ﴾ فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «فَكَذَلِكَ أَنْتَ يَا رَبِّ، أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ أَمْ كَلَامَ رَسُولِكَ؟» قَالَ: ﴿بَلْ كَلَامِي﴾ [١].

وَفِي أَثَرٍ آخَرَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَاجَاهُ رَبُّهُ ثُمَّ سَمِعَ كَلَامَ الْأَدَمِيِّينَ؛ مَقَّتَهُمْ لَمَّا وَقَرَّ فِي مَسَامِعِهِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَمِثْلُهُ فِي الْأَثَارِ كَثِيرٌ تَنَاوَلَتْهُ الْأُمَّةُ وَلَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ.

[١] «تاريخ دمشق لابن عساكر» (٥٠ / ٦١).

## [شبهة أن الصوت يحتاج إلى أدوات]

فَإِنْ قَالُوا: فَالصَّوْتُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ هَوَاءٍ بَيْنَ جَرَمَيْنِ.<sup>(١)</sup>

[الجواب] قُلْنَا هَذَا مِنَ الْهَذْيَانِ الَّذِي أَجَبْنَا عَنْ مِثْلِهِ فِي الْحَرْفِ وَقُلْنَا: إِنَّ هَذَا قِيَاسٌ مِنْهُمْ لِرَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ، وَتَشْبِيهِهُ لَهُ بِعِبَادِهِ، وَحُكْمٌ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لَا تَكُونُ صِفَتُهُ إِلَّا كَصِفَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذَا ضَلَالٌ بَعِيدٌ.

ثُمَّ إِنَّهُ يُلْزَمُهُمْ مِثْلُ هَذَا فِي بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ عَلَى مَا أَسْلَفْنَاهُ، عَلَى أَنَّ مَعْتَمِدَنَا فِي صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِنَّمَا هُوَ الْإِتِّبَاعُ، نَصِفُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ وَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ وَلَا نَتَجَاوَزُهُ وَلَا نَتَأَوَّلُهُ وَلَا نَفْسَرُهُ، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقٌّ وَصَدُوقٌ، وَلَا نَشْكُ فِيهِ وَلَا نَرْتَابُ، وَنَعْلَمُ أَنَّ لِمَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَعْنًى هُوَ بِهِ عَالِمٌ؛ فنؤمنُ بِهِ بِالمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ، وَنَكِلُ عِلْمَهُ إِلَيْهِ،<sup>(٢)</sup> وَنَقُولُ كَمَا قَالَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ وَأَثْمَتُنَا

(١) الْحِرْمُ: هُوَ الْمَادَّةُ، وَالْجَرْمُ: هُوَ الْفِعْلُ الْحَبِيثُ.

(٢) هَذَا كَلَامٌ غَيْرُ سَلِيمٍ، فَظَاهِرُهُ أَنَّ قَائِلَهُ لَا يَفْهَمُ الْمَعْنَى وَإِنَّمَا يَكُلِّهِ إِلَى اللَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَثْبُتُونَ الْمَعْنَى وَيَفْهَمُونَهُ كَمَا يَفْهَمُونَ سَائِرَ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ. وَالْعَجَبُ مِنَ الشَّيْخِ كَيْفَ أَنَّهُ اشْتَدَّ بِالْحَقِّ فِي مَسْأَلَةِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ، وَكَانَ فِيهَا صُلْبًا يَصُولُ وَيَجُولُ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْأَشَاعِرَةِ، ثُمَّ هُنَا يَتَوَقَّفُ فِيمَا

المُقتدى بهم: «آمنا بالله وما جاءَ عن الله على مُراد الله، وآمنا برَسُول الله وما جاءَ عن رَسُول الله على مُراد رَسُول الله» [١] نقول ما قال الله ورَسُوله ونسكتُ عَمَّا وراءَ ذَلِكَ، نَتَّبِعُ وَلَا نَبْتَدِعُ، بذلك أوصانا الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وأوصانا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سُنَّتِهِ، وأوصانا بِهِ سلفنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥].

وَقَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

لا فرق بين إثباته على حقيقته وإثبات الكلام على حقيقته. وقد سبق الكلام عن هذه المسألة في الكتابين السابقين، وسيأتي لاحقاً فلن أحشر الأقوال هنا.

[١] لم أجد أحداً قاله من الأئمة، إلا أنه نُسِبَ للشافعي رحمه الله، ولم أجد من نسبته للشافعي قبل يحيى بن إبراهيم السلماسي في «منازل الأئمة الأربعة» (ص ١٤٦) وهو متوفى عام (٥٥٠هـ) ولم أجد له إسناد إلى الشافعي رحمه الله ولا نسبته إليه المتقدمون، ولا من نقل عقيدته كالهروي، ولا من ترجم له كابن أبي حاتم والبيهقي.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمَحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».[١]

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ».[٢]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَلَامًا مَعْنَاهُ: «قِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقِفُوا وَبِصَرٍّ نَافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِهَا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أَحَرَى وَإِنَّهُمْ لَهُمُ السَّابِقُونَ، فَلَنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ؛ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَنْ قُلْتُمْ: «حَدَّثَ حَدَّثَ بَعْدَهُمْ» فَمَا أَحَدُهُ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَكْفِي، وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، وَلَا فَوْقَهُمْ مُحْسِرٌ، لَقَدْ قَصَرَ دُونَهُمْ أَنْاسٌ فَجَفَّوْا، وَطَمَحَ آخَرُونَ عَنْهُمْ فَعَلَّوْا،

[١] رواه أبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢) ورواه الترمذي بنحوه (٢٦٧٦) وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» ورواه الحاكم (٣٢٩) وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ» وكذلك قال الذهبي.

[٢] رواه الدارمي في سننه (٢١١) وإسناده قابل للتحسين.

وَأَنَّهُمْ مِنْ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ»<sup>[١]</sup>

وَقَالَ الْأَوْرَاعِي رحمه الله: «عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ، وَإِنْ زَخَرَفُوا لَكَ بِالْقَوْلِ»<sup>[٢]</sup>.

ولم يزل السلف الصالح من الصحابة -رضي الله عنهم- والأئمة بعدهم يُعظمون هذا القرآن ويعتقدون أنه كلامُ الله ويتقربون إلى الله بقراءته ويقولون: «إنَّه غير مخلوق، ومن قال إنَّه مخلوق فهو كافر»<sup>(٣)</sup> ولما وقعت الفتنة وظهرت المعتزلة ودعوا إلى القول بخلق القرآن؛ ثبَّت أهل الحق الخلق حتَّى قُتِلَ بعضهم، وحُبِسَ بعضهم، وضُرِبَ بعضهم، فَمِنْهُمْ مَنْ ضَعُفَ فَأَجَابَ تَقِيَّةً<sup>(٤)</sup> وخوفاً على نفسه، وَمِنْهُمْ مَنْ قَوِيَ إِيْمَانُهُ وَبَدَّلَ نَفْسَهُ

[١] رواه أبو داود (٤٦١٢) بنحوه. وقال الألباني: «صحيح».

[٢] رواه الآجري في الشريعة (١٢٧).

(٣) وردت عن السلف ألفاظ كثيرة بهذا المعنى، نقلها حرب الكرماني، وعبد الله بن أحمد، واللالكائي وغيرهم.

(٤) التقيَّة هي إظهار خلاف الحق عند الضرورة، ليتَّقي بذلك ما قد يصيبه من قتل أو ما شابه.

وقوله «فَأَجَابَ» يعني وافقهم، أي ذلك الذي سُجِنَ وَعُدِّبَ وافقهم بالقول لينجوا من شرهم.



لِلَّهِ وَاحْتَسَبَ مَا يُصِيبُهُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَلَمْ يَزَلْ عَنِ السُّنَّةِ إِلَى أَنْ كَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْفِتْنَةَ وَأَزَالَ تِلْكَ الْمِحْنَةَ وَقَمَعَ أَهْلَ الْبِدْعَةِ.

وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ الَّذِي دَعَا إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِهِ سِوَى هَذِهِ السُّورِ الَّتِي سَمَّاها اللَّهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، وَأَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَقَعْ الْخِلَافُ فِي غَيْرِهَا الْبَتَّةَ، وَعِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، فَقَوْلُهُ قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ لَا مُحَالَةَ، إِلَّا أَنَّهُ يُرِيدُ التَّلْبِيسَ فَيَقُولُ فِي الظَّاهِرِ قَوْلًا يُوَافِقُ أَهْلَ الْحَقِّ ثُمَّ يُفْسِرُهُ بِقَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَقُولُ: «الْقُرْآنُ مَقْرُوءٌ مَتْلُوٌّ مَحْفُوظٌ مَكْتُوبٌ مَسْمُوعٌ» ثُمَّ يَقُولُ: «الْقُرْآنُ فِي نَفْسِ الْبَارِي قَائِمٌ بِهِ، لَيْسَ هُوَ سُورًا وَلَا آيَاتٍ، وَلَا

والتقية أصلها في الكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ومن أعجب كلام السلف إلي فيها: ما رواه ابن أبي شيبة (٣٣٠٤٩) عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «إِنِّي أَشْتَرِي دِينِي بَعْضُهُ بِبَعْضٍ مَخَافَةً أَنْ يَذْهَبَ كُلُّهُ» وجاء عن أبي جعفر مُحَمَّد بن علي: «التَّقِيَّةُ لَا تَحِلُّ إِلَّا كَمَا تَحِلُّ الْمَيْتَةُ لِلْمُضْطَرِّ» فليست التقية كما يفعلها الرافضة والأشعرية في إخفاء عقائدهم، وإنما لا تبيح أن يفعل صاحبها القتل وشرب الخمر. كذلك فإنها لا تبيح مداينة الكفار لتحصيل المصالح الدنيوية، ولا تبيح دعوة الناس إلى باطل، ولهذا، عندما علم أحمد ابن حنبل أن الناس يتابعونه؛ لم يأخذ بالتقية، لأنه لو أجاب لتابعوه على ذلك القول.

حروفاً ولا كَلِمَاتٍ» فكيف يتصوّر إذا قراءته وسماعه وكتابته.

ويقولون: «إن موسى سمع كلام الله من الله» ثم يقولون: «ليس بصوت».

ويقولون: «إن القرآن مكتوب في المصاحف» ثم يقولون: «ليس فيها إلا الحبر والورق» فإن كانت كما زعموا؛ فلم لا يمسها الا المطهرون، وما رأينا المحدث يمنع من مس حبر ولا ورق.

ولم تجب الكفارة على الحالف بالمصحف إذا حنث؟

ومن قال إنه ليس في المصحف إلا الحبر والورق لزمه التسوية بين المصحف وبين ديوان ابن الحجاج<sup>(١)</sup> لأنه إذا لم يكن بين كل واحد منهما غير الحبر والورق؛ فقد تساويا، فيجب تساويهما في الحكم، هذا مع ردّهم على الله تعالى وعلى رسوله وخرقهم لإجماع الأمة فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْعِدِ الْجُومِ ۖ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۖ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۖ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۖ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۖ ﴿٧٩﴾

(١) هو الحسين بن أحمد ت ٣٩١هـ شيعي، وله ديوان شعري سيء فاحش.

تَنْزِيلُ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠] فأقسم الله عز وجل أنه قرآن كريم في كتاب مكنون فردوا عليه وقالوا: «ما في الكتاب إلا الخبر والورق» وقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٨١﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢] وقال سبحانه: ﴿وَالْطُّورِ ﴿٨٢﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٨٣﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الطور: ١-٣] وقال ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم» [١]

يُرِيدُ الْمَصَاحِفَ الَّتِي فِيهَا الْقُرْآنُ.

واتفق المسلمون كلهم على تعظيم المصحف وتبجيله وتحريم مسه على المحدث، وأن من حلف به فحنت فعليه الكفارة، ولا تجب الكفارة بالحلف بمخلوق، وذكر بعض المبتدعة أنه إنما وجبت الكفارة على الخالف لاعتقاد العامة أن فيه كلام الله، وهذه غفلة منه، فإن هذا الحكم من لدن النبي ﷺ لم يتجدد الآن.

فإن أقر أن عامة أهل عصر النبي ﷺ وصحابته كانوا يعتقدون أن فيه كلام الله تعالى وأقرهم عليه النبي ﷺ وصوبهم فيه؛ فهو الحق الذي لا شك فيه ولا يحل خلافه.

[١] رواه مسلم (١٨٦٩).

وإن قال إنَّهم كانوا يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، فكيف عِلِمَ هُو؟!

وكيف عِلِمَ هُو من أحوالِ أصحابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ومن اعتقاداتهم ما يخفى على رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه- وهو بين أظهرهم وعنه يأخذون وإليه يرجعون وبه يقتدون وعنه يصدرن؟!!

ثم هل كانوا مُصِيبِينَ في اعتقَادِهِمْ أو مُخْطِئِينَ؟ فَإِنْ كَانُوا مُخْطِئِينَ؛ فَقَدْ اعتَقَدَ أَنَّ أصحابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا ضَلَالًا وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وأنه هُوَ أَصَابَ بِمُخَالَفَتِهِمْ.

وكيف يجوزُ أَنْ يَكُونَ أصحابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اتَّفَقُوا على اعتِقَادِ الخَطَأِ والضَّلَالِ والْبَاطِلِ وأخطأوا الحقَّ وتبعهم مَنْ بعدهم على ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ هَذَا الجَاهِلُ بِزَعْمِهِ فَعَرَفَ الصَّوَابَ وعرف خطأ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ؟!

ثمَّ هَذَا إِقْرَارٌ بِأَنَّ مَقَالَتَهُ بِدْعَةٌ حَادِثَةٌ خَالَفَ بِهَا أصحابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والتَّابِعِينَ بعدهم. وهو الَّذِي يَقُولُهُ عَنْهُمْ وَيَدَّعِيهِ [١] فِيهِمْ.

[١] في المخطوط «بقوله عنهم وبدعته» وليست تفهم في هذا السياق والله أعلم.

وإن زعم أن أهل عصر النَّبِيِّ ﷺ لم يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ هَذَا وَإِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ؛ فَلِمَ يَثْبُتْ هَذَا الْحُكْمُ فِي عَصَرِهِمْ؟ وَلِمَ وَجَبَتْ الْكَفَّارَةُ عَلَى الْحَالِفِ بِالْوَرَقِ وَالْحَبْرِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَا تَحِبُّ كَفَّارَةُ بِالْحَلْفِ بِوَرَقٍ وَلَا حَبْرٍ وَلَا مَخْلُوقٍ؟

ثُمَّ مَتَى حَدَثَ هَذَا الْإِعْتِقَادُ فِي أَيِّ عَصَرٍ؟ وَمَا عَلِمْنَا الْحَادِثَ إِلَّا قَوْلُهُمُ الْحَبِيثُ الْمُخَالَفَ لِلْأَمَّةِ وَلِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

ثُمَّ كَيْفَ يَحِلُّ أَنْ يُوْهِمُوا الْعَامَّةَ مَا يَقْوَى بِهِ اعْتِقَادُهُمُ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بِدْعَةٌ، مِنْ تَعْظِيمِهِمْ لِلْمَصَاحِفِ فِي الظَّاهِرِ وَاحْتِرَامِهَا عِنْدَ النَّاسِ، وَرُبَّمَا قَامُوا عِنْدَ مَجِيئِهَا وَقَبْلُوهَا وَوَضَعُوهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لِيُوْهِمُوا النَّاسَ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِيهَا الْقُرْآنَ، وَرُبَّمَا أَمَرُوا مَنْ تَوَجَّعَتْ عَلَيْهِ يَمِينُ فِي الْحُكْمِ بِالْحَلْفِ بِالْمُصْحَفِ إِيهَامًا لَهُ أَنْ الَّذِي يَحْلِفُ بِهِ هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَالْكِتَابُ الْكَرِيمُ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ اعْتِقَادٌ بَاطِلٌ، فَكَيْفَ يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يَتَظَاهَرُوا بِهِ، وَيُضْمِرُونَ خِلَافَهُ، وَهَذَا هُوَ التَّفَاقُّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ الزُّنْدَقَةُ الْيَوْمَ، وَهُوَ أَنْ يُظْهَرَ مُوَافَقَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي اعْتِقَادِهِمْ وَيُضْمَرَ

خلاف ذلك، وهذا حال هؤلاء القوم لا محالة، فهم زنادقةٌ بغير شكٍّ، فإنه لا شكٍّ في أنهم يُظهرون تعظيمَ المصاحفِ إيهامًا أن فيها القرآن، ويعتقدون في الباطن أنه ليس فيها إلا الورق والمِدادُ،<sup>(١)</sup> ويظهرون تعظيم القرآن، ويجتمعون لقراءته في المحافل والأعرية، ويعتقدون أنه من تأليف جبريل وعبارته، ويظهرون أن موسى سَمِعَ كلامَ الله من الله، ثم يقولون ليس بصوتٍ، ويقولون في أذانهم وصلواتهم: «أشهد أن محمدًا رسول الله» ويعتقدون أنه انقطعت رسالته ونُبُوته بموته، وأنه لم يبقَ رسول الله، وإنما كان رسول الله في حياته،<sup>(٢)</sup> وحقيقة مذهبهم أنه ليس في السماء إله، ولا في الأرض قرآن، ولا أن محمدًا رسول الله، وليس في أهل البدع كلهم من

(١) المِداد: هو الحبر.

(٢) المقصود أنهم يرون محمدًا ﷺ كان رسولاً لله تعالى في حياته، وأما بعد مماته فليس رسولاً، وهذا نسبته ابن حزم للأشاعرة، فقال: «حديث فرقة مبتدعة تزعم أن محمدًا بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ليس هو الآن رسول الله ﷺ، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية، وأخبرني سليمان بن خلف النابجي -وهو من مقدميهم اليوم- أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني على هذه المسألة قتله بالسم محمود بن سبكتكين» [الفصل ج ١ ص ٧٥] وهنا ابن قدامة ينسبه لهم، ولكنني لم أجد في كتب القوم هذا الكلام، والله أعلم، ونقل عن ابن الصلاح: «قال ابن الصلاح: ليس كما زعم بل هو تشنيع عليهم» [أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب ص ٦٨]

يتظاهُرُ بِخِلَافِ مَا يَعتَقِدُهُ غَيْرُهُمْ وَغَيْرُ مَنْ أَشَبَّهُهُمْ مِنَ الزَّنادِقَةِ.

### مؤسس الطائفة الأشعرية

ومن العجب أن إمامهم<sup>(١)</sup> الَّذِي أنشأ هذه البدعة رجُلٌ لم يُعرَفْ بدينٍ ولا ورعٍ ولا شيءٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ البَتَّةِ، وَلَا يُنسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا عِلْمُ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، وَهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ أَقَامَ عَلَى الْاعتِزَالِ أَرْبَعِينَ عَامًا ثُمَّ أَظْهَرَ الرُّجُوعَ عَنْهُ، فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ سِوَى هَذِهِ الْبِدْعَةِ، فَكَيْفَ تَصَوَّرَ فِي عُقُولِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُوَفِّقُ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ إِلَّا عَدُوَّهُ، وَلَا يَجْعَلُ الْهُدَى إِلَّا مَعَ مَنْ لَيْسَ لَهُ فِي عِلْمِ الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ وَلَا فِي الدِّينِ حَظٌّ.

(١) يعني: أبو الحسن الأشعري ت ٣٢٤ هـ وعاش معتزليًا أربعين سنةً من عمره ثم خالف شيخه فانقلب على المعتزلة، فحتى انقلابه عليهم لم يكن عن دراسة، بل لكون بدعة «وجوب فعل الأصلح على الله تعالى» لم توافق عقله. ولكنه بعد انقلابه عليهم بدأ حاله يعتدل شيئًا فشيئًا حتى مات بعد أربع وعشرين سنة من تلك الحادثة وحاله قريبة من حال أهل السنة، لكن أتباعه يتبعونه على بدعه ولا يتبعونه على ما استقر عليه حاله أخيرًا وعلى مقالاته التي في آخر كتاب ألفه وهو «الإبانة».

## [خطر هذه البدعة]

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْبِدْعَةَ مَعَ ظُهُورِ فَسَادِهَا وَزِيَادَةِ قَبْحِهَا قَدْ انْتَشَرَتْ  
انتشارًا كَثِيرًا وَظَهَرَتْ ظُهُورًا عَظِيمًا، وَأُظْهِرَ آخِرَ الْبَدْعِ وَأَخْبَثَهَا، وَعَلَيْهَا  
تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنَّهَا لَا تَزْدَادُ إِلَّا كَثْرَةً وَانْتِشَارًا، فَإِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ فِي  
آخِرِ الزَّمَانِ تَكْثُرُ الْبَدْعُ وَتَمُوتُ السَّنَنُ وَيَغْرُبُ الدِّينُ،<sup>(١)</sup> وَأَنَّ الدُّنْيَا لَا  
تَزْدَادُ إِلَّا إِدْبَارًا وَأَنَّهُ يَصِيرُ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا،<sup>(٢)</sup> وَأَنَّهُ يَقِلُّ  
أَهْلُ الْحَقِّ، إِلَّا أَنَّهُمْ مَعَ قَلَّتِهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ  
اللَّهِ،<sup>(٣)</sup> وَأَنَّهُ يَعِظُمُ ثَوَابُهُمْ، وَيَكْثُرُ أَجْرُهُمْ.<sup>(٤)</sup> وَشَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ الدِّينَ فِي آخِرِهِ

(١) رَوَى مُسْلِمٌ (١٤٥) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

(٢) جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟» رَوَاهُ نَعِيمٌ فِي  
الْفِتَنِ (١١١) وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٩٣٢٥) وَرَوَى ابْنُ وَضَّاحٍ فِي الْبَدْعِ (٢٣٥) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: «يَأْتِي  
عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ السُّنَّةُ فِيهِ بِدْعَةً، وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً، وَالْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَذَلِكَ  
إِذَا اتَّبَعُوا وَاقْتَدَوْا بِالْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ فِي دُنْيَاهُمْ» وَأَسَانِيدُهَا غَيْرُ صَحِيحَةٍ، إِلَّا أَنَّ الْمَعْنَى يُوَافِقُ  
أَحَادِيثَ أُخْرَى صَحِيحَةً.

(٣) قَالَ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ  
كَذَلِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٤١) وَمُسْلِمٌ (١٩٢٠).

(٤) قَالَ ﷺ: «فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجُمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ  
مِثْلَ عَمَلِهِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٤١) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٠٥٨) وَابْنُ مَاجَهَ (٤٠١٤) وَقَالَ الْحَاكِمُ (٧٩١٢):



بِأَوَّلِ ابْتِدَائِهِ فِي غُرْبَتِهِ وَقَلَّةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ -عَلَيْهِ السَّلَام-: «بَدَأَ الدِّينَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ» ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَهُمْ فِي أَنْ لَهُمْ طُوبَى، فَقَالَ: «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»<sup>[١]</sup> ثُمَّ فَضَّلَ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ فَقَالَ فِي حَدِيثٍ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ لِلْقَائِمِينَ بِالْكِتَابِ وَالسَّنةِ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ شَهِيدًا»<sup>~~~~~</sup> قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَوْ مِنْهُمْ» قَالَ «مِنْكُمْ»<sup>[٢]</sup>.

وَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِعَظَمِ نَفْعِهِمْ وَصُعُوبَةِ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِمْ وَتَأَلُّبِهِمْ عَلَيْهِمْ وَقِلَّةِ أَنْصَارِهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي خَبَرٍ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الْمَتَمَسِّكُ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»<sup>[٣]</sup> فَهَذِهِ الصُّعُوبَةُ هِيَ الْمُوجِبَةُ لَذَلِكَ الْأَجْرِ. ثَبَتَنَا اللَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسَّنةِ، وَأَحْيَانَا عَلَيْهِمَا، وَأَمَاتَنَا عَلَيْهِمَا، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمَا.

---

«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُحَرِّجْهُ» وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: «صَحِيحٌ».

[١] رواه مسلم (١٤٥).

[٢] رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٩٤) وفيه رجل لم أعرفه، وحديث «أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ» الَّذِي خَرَّجْتَهُ سَابِقًا أَثْبَتَ مِنْهُ، وَأَسْلَمَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى.

[٣] رواه الترمذي (٢٢٦٠) وقال الألباني: «صَحِيحٌ».

## [كثرة أهل البدع]

ومن العجب أن أهل البدع يستدلون على كونهم أهل الحق بكثرتهم وكثرة أموالهم وجاههم، وظهورهم، ويستدلون على بطلان السنة بقلة أهلها وغربتهم وضعفهم، فيجعلون ما جعله النبي ﷺ دليل الحق وعلامة السنة؛ دليل الباطل، فإن النبي ﷺ أخبرنا بقلة أهل الحق في آخر الزمان وغربتهم، وظهور أهل البدع وكثرتهم، ولكنهم سلكوا سبيل الأمم في استدلالهم على أنبيائهم وأصحاب أنبيائهم<sup>(١)</sup> بكثرة أموالهم وأولادهم، وضعف أهل الحق. فقال قوم نوح له: ﴿مَا نَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْنَا بُادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

وقال قوم صالح فيما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ﴾ [ص: ٧٥] قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءُ كَاْفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦].

(١) يعني يستدلون على أنبيائهم بأنهم خير من هؤلاء الأنبياء، بأن لهم مالا وجاها وأتباعا -وخسوا-

وَقَالَ قَوْمُ نَبِينَا ﷺ: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ: ٣٥).

وَقَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (الأنعام: ٥٣).

وَقَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ونسوا قول الله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢].  
الآيات كلها.

وقوله: ﴿لَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر:

[٨٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]

[الزخرف: ٣٣].

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِك لَّمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥].

وقد كَانَ قَيْصَرُ مَلِكِ الرُّومِ وَهُوَ كَافِرٌ أَهْدَى مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ حِينَ بَلَغَهُ كِتَابُ النَّبِيِّ ﷺ؛ سَأَلَ عَنْهُ أَبَا سُفْيَانَ، فَقَالَ: «يَتَّبِعُهُ ضَعْفَاءُ النَّاسِ أَوْ أَقْوِيَاؤُهُمْ» فَقَالَ: «بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ» فَكَانَ هَذَا مِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ» [١].

وَفِي الْإِتِّهَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَلَّمَهُ رَبُّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُ: {يَا مُوسَى لَا يَغْرِنُكَمَا زِينَةُ فِرْعَوْنَ وَلَا مَا مُتَّعَ بِهِ، فَإِنِّي لَوَشِئْتُ أَن أُزَيِّنُكُمْ

[١] رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

بزينةٍ يَعْلَمُ فِرْعَوْنَ أَنَّ مَقْدِرَتَهُ تَعَجُّزُ عَنْ أَقْلٍ مَا أَوْتِيْتُمَا؛ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنِّي أَضُنُّ بِكُمَا عَنْ ذَلِكَ، وَأُزَوِّيه عَنْكُمَا، وَكَذَلِكَ أَفْعُلُ بِأَوْلِيَائِي، وَقَدِيمًا مَا خِرْتُ لَهُمْ إِنِّي لِأَذُوْدُهُمْ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا يَذُوْدُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ إِبِلَهُ عَنْ مَبَارِكِ الْغُرَّةِ، وَإِنِّي لِأَجَنِّبُهُمْ سَلَوَتَهَا وَنَعِيمَهَا كَمَا يُجَنِّبُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْهَلَكَةِ، وَمَا ذَلِكَ لَهُوَإِنِّهِمْ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نَصِيبَهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ سَالِمًا مُوفِرًا، لَمْ تَكَلِّمَهُ الدُّنْيَا، وَلَمْ يُطِغِهِ الْهُوَى{[١]}

وقد رُوِيَ عَنْ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِمَشْرَبَةٍ لَهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَرِ فِيهِ إِلَّا أَهْبَةً ثَلَاثَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَتَكِيٌّ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَفَارِسُ وَالرُّومُ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَهُمُ الدُّنْيَا» فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ مُحْمَرًا وَجْهَهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ؟! أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟»[٢] هَذَا مَعْنَى الْخَبَرِ.

[١] رواه أحمد في الزهد (٣٤٢) عن وهب بن منبه، وكان ممن يروي الأخبار عن كتب أهل الكتاب.

[٢] رواه البخاري (٢٤٦٨) بألفاظ قريبة.

ثبتنا الله وإياكم على الإسلام والسنة، وجنبنا الكفر والبدعة،  
 وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق  
 والعصيان، وجعلنا من الراشدين.

وقد أنشد أبو الحسن علي بن أبي بكر الطرازي فيهم:

دَعُونِي مِنْ حَدِيثِ بَنِي اللَّتِيَا	وَمِنْ قَوْمٍ بِضَاعَتْهُمْ كَلَامُ
تَفَارِيقِ الْعَصَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ <sup>(١)</sup>	إِذَا ذُكِرُوا، وَلَيْسَ لَهُمْ إِمَامُ
إِذَا سُئِلُوا عَنِ الْجَبَّارِ مَا لَوْ	إِلَى التَّعْطِيلِ وَافْتِضَاحِ اللَّئَامِ
وَإِنْ سُئِلُوا عَنِ الْقُرْآنِ قَالُوا:	يَقُولُ بِخَلْقِهِ بَشَرٌ كِرَامُ
كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حُرُوفُ	وَلَا فِي قَوْلِهِ أَلْفٌ وَلَا مِ
وَلَوْ قِيلَ: النُّبُوَّةُ كَيْفَ صَارَتْ؟	لَقَالُوا: تِلْكَ طَارَ بِهَا الْحَمَامُ
إِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ فَكَيْفَ تَبَقَى	نُبُوَّتُهُ، فِدَيْتُكَ وَالسَّلَامُ
فَهَذَا دِينُهُمْ فَأَعْلَمَ يَقِينًا	وَلَيْسَ عَلَى مُهَجِّنِهِمْ مَلَامُ
لَهُمْ رُجُلٌ <sup>(٢)</sup> وَتَوْحِيدٌ جَدِيدُ	أَبَى الْإِسْلَامُ ذَلِكَ وَالْأَنَامُ

(١) تفاريق العصا: قطع العصا عندما تكسر قطعاً صغيرة. من كل أوب: من كل مكان.

(٢) رُجُل: طائفة.

وَزَمَزَمَةً وَهَيْنَمَةً وَطَيْشٌ  
 وَإِزْرَاءٌ بِأَهْلِ الْحَقِّ ظُلْمًا  
 وَقَوْلُ الْمُلْحِدِينَ وَإِنْ تَعَاوُوا  
 فَصَبْرًا يَا بَنِي الْأَحْرَارِ صَبْرًا  
 وَإِنَّ الْحَقَّ أَبْلَجُ لَا يُضَامُ  
 كَأَنَّهُمْ دَجَاجٌ أَوْ حَمَامٌ  
 وَتَلْقِيبٌ وَتَشْنِيعٌ مُدَامٌ  
 عَوَاءَ الْبَيْنِ<sup>(١)</sup> لَيْسَ لَهُ نِظَامٌ  
 فَإِنَّ الظُّلْمَ لَيْسَ لَهُ دَوَامٌ  
 وَقَوْلُ الزُّورِ آخِرُهُ غَرَامٌ

آخِرُهُ

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وسلم تسليماً

(١) البين: لعل المقصود به الموت.

## بعض شبهاتهم

### والرد عليها

اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان

يوم القيامة كأنهما غمامتان.

قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيبتان، أو كأنهما فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، مُتَحَاكِينِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا» [١].

أولاً: لا يمتنع أن يُنسب فعل لصفة من صفات الله تعالى، كما قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ» [٢] وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» [٣].

[١] رواه مسلم (٨٠٤).

[٢] رواه مسلم (٤٨٦).

[٣] رواه البخاري (٧٤٢٢).



فإذا كان رضاه يُستعاضُ به، ورحمته تسبق غضبه، فلا يمتنع أن بعض كلامه يحاجُّ عن عبادِه.

وأما المجيء، فالجهميّة يحرفون حديث النزول إلى أن رحمة الله تنزل، فلا يستقيم أن يمتنع عندهم أن يجيء كلامه.

وأما كونهما كأنهما غمامتان، فوجه التشبيه هنا كونها وقاية وليس الهيئة.

فهذا نقض كلامهم.

ولشيوخنا الذين لا نخالفهم كلامٌ آخر، لكن بدأت بذلك لأفسد عليهم ما يزعمون أنه عقل.

وأما كلام شيوخنا:

فقال القاسم بن سلام: «وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: "تَجِيءُ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ" أَنَّ ثَوَابَهُمَا يَأْتِي قَارِئَهُمَا، حَتَّى يُظِلَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَأْتِي ثَوَابُهُ الرَّجُلَ فِي قَبْرِهِ، وَيَأْتِي الرَّجُلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُجَادِلَ عَنْهُ».

قال أبو عيسى الترمذي: وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ قِرَاءَتِهِ، كَذَا فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيثَ وَمَا يُشْبِهُهُ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

قال: وَفِي حَدِيثِ التَّوَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا فَسَّرُوا إِذْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَأْتِي الْقُرْآنُ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا» فَبِهِ هَذَا دَلَالَةٌ أَنَّهُ يَجِيءُ ثَوَابُ الْعَمَلِ [١].

وهذا القول ما أخذه علماؤنا إلا من كتاب الله تعالى، قال ابن بطه: «إِنَّمَا عَنَى فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ = فِي قَوْلِهِ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ» وَ«تَجِيءُ الْبَقَرَةُ» وَ«تَجِيءُ الصَّلَاةُ» وَ«يَجِيءُ الصِّيَامُ» = يَجِيءُ ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَكُلُّ هَذَا مُبَيَّنٌّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [سورة الزلزلة: ٧-٨] فَظَاهِرُ اللَّفْظِ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لَيْسَ يَرَى الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَإِنَّمَا ثَوَابُهُمَا وَالْجَزَاءُ عَلَيْهِمَا مِنْ

[١] سنن الترمذي (٢٨٨٣).

الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا<sup>ط</sup> وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ<sup>ط</sup> وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ<sup>٣٠</sup>﴾ [سورة آل عمران: ٣٠].

وَلَيْسَ يَعْنِي أَنَّهَا تِلْكَ الْأَعْمَالُ الَّتِي عَمِلَتْهَا بِهِيئَتِهَا وَكَمَا عَمِلَتْهَا مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا تَجِدُ الْجَزَاءَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ... أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ<sup>٨</sup>﴾ [سورة الزلزلة: ٨] أَفَتَرَى يَرَى السَّرِقَةَ وَالزِّنَا وَشَرِبَ الْخَمْرِ وَسَائِرَ أَعْمَالِ الْمَعَاصِي إِنَّمَا يَرَى الْعِقَابَ وَالْعَذَابَ عَلَيْهِمَا. انتهى كلامه.<sup>[١]</sup>

قلت: جادة مسلوكة معروفة في ما جاء الآخرة في مجيء الأعمال في هيئات مرئية، كما في الحديث الطويل الذي رواه أحمد<sup>[٢]</sup> وغيره في القبر وفيه: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ

[١] الإبانة الكبرى لابن بطة (ص ٦ ج ٢٠٣).

[٢] (١٨٨٣٢).

يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ» والكافر قال عنه: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْحَبِيثُ».

فزهق بهذا باطلهم والحمد لله.

**قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾.**

قالت الجهمية: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [سورة النساء: ١٧١] قالوا: عيسى عليه السلام كلمة الله، وعيسى عليه السلام مخلوق، وكذلك القرآن مخلوق.

قلنا: جواب هذه الشبهة في القرآن، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩] فعيسى عليه السلام خلقه كخلق آدم عليه السلام من تراب، وأما كلمة الله تعالى التي ألقاها هي قوله ﴿كُنْ﴾ وعيسى عليه السلام ليس هو

كن، فهو بَشَرٌ وليس كلامًا، وهذا واقع لا يجادل فيه عاقل، فكان معنى قوله تعالى ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ هو ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾.

فرهق بهذا باطلهم والحمد لله.

### كُوءُ الْقُرْآنِ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ

وهذه شبهة لم أكن لأذكرها، فهي أقل من أن تُذكر في كتاب، أو ينظر فيها حتّى، لولا أني وجدت عددًا من جهميّة عصرنا يرددوها.

فقالوا: إن الله تعالى قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.

﴿٢٢﴾ [سورة البروج: ٢١-٢٢] قالوا: واللوح المحفوظ مخلوق، وما كان في مخلوق فهو مخلوق.

قلنا: أليس الله عَلِمَ القرآن؟

فإن قالوا «لا»؛ كفروا.

وإن قالوا: «نعم»؛ قلنا: فهل علمُ الله مخلوق لأنّ بعضه كُتب على

شيء مخلوق؟

فإن قالوا «نعم»؛ كفروا، لأنَّهم نسبوا الله إلى الجهل، وأنَّه كان جاهلاً ثمَّ خلق لنفسه علماً.

وإن قالوا «لا»؛ قلنا: فكذلك القرآن، كونه كُتِبَ على مخلوقٍ فإنَّ هذا لا يعني أنه مخلوق.

فزهق بهذا باطلهم والحمد لله.

### اللغة العربية مخلوقة

قالت الجهميَّة: اللغة العربية مخلوقة فكيف يتكلَّم الله بها؟

بيان:

أصل هذه الشبهة عندهم أنَّ الحروف مخلوقات ماديَّة، وجعلوا يروون في ذلك كلاماً لا زمام له ولا خطام، كما جاء الباقلاني الأشعري بكلام لا إسناد له، ولا يروج متنه إلا على من كان مثل الأشاعرة، فقال الباقلاني: «ويدل عليه أيضاً ما حدث به أبو بكر النقاش في تفسيره عن

آدم بن أبي إياس قال: رأيتُ في يد بكر بن خنيس كتاباً فزدتُ فيه حرفاً أو نقصت منه حرفاً: فقال لي بكر بن خنيس: يا آدم من أمرك أن تفعل هذا؟ أما علمت أن الله تعالى لما خلق الألف انتصبت قائمة، فلما خلق الباء اضجعت، وقيل للألف لم انتصبت قائمة؟ قالت: انتظر ما أומר. وقيل للباء لم اضجعت؟ قالت: سجدتي لربي» وقال: «وأيضاً ما روى عن عبد الله بن سعيد<sup>(١)</sup> أنه قال: عرضت حروف المعجم على الرحمن تعالى وتقدس وهي تسعة وعشرون حرفاً فتواضع الألف من بينهما فشكر الله تعالى له فجعله قائماً، وجعله أمام اسمه الأعظم يعني الله، فإنه لم يسم به غيره ويدل عليه أيضاً: أن حروف التوراة مخالفة لحروف الفرقان في الهيئة والصورة والعدد»[٢].

وقال أبو حنيفة: «والحروف مخلوقة وكَلَّامُ اللَّهِ تَعَالَى غير مَخْلُوق»<sup>(٣)</sup>

(١) يعني ابن كَلَّاب، الأب الروحي لبدعتهم.

[٢] الإنصاف (ص ٩٧ ط. الأزهرية).

(٣) الفقه الأكبر (ص ٢٦ ط. الفرقان).

تنبيه: قال الخطيب البغدادي: «أما القول بخلق القرآن، فقد قيل: إِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ لم يكن يذهب

والجواب:

قولهـم بأن الحروف مخلوقات خلقها الله ومنها من قام ومنها من سجد؛ فهذا لا يعدوا كونه خرافة لا تستحق النظر فيها، بنوا عليها دينهم.

ولكن نقول إن أصل اللغة مسألة معلومة لا مسألة مادّية، فإن الإنسان قد يعلم معاني الكلمات دون أن يكون قادراً على النطق بها، فإذا تكلم بها صارت كلاماً.

فنقول لهم: هل الله علم العربية وغيرها من اللغات؟

إليه، والمشهور عنه: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ وَاسْتَتِيبَ مِنْهُ.

قال أبو الحسن الأشعري: «وذكر عن أبي يوسف قال: ناظرت أبا حنيفة رضي الله عنه شهرين حتى رجع عن خلق القرآن» [الإبانة ص ٩١ ط. دار الأنصار].

وروى البيهقي عن أبي يوسف القاضي يَقُولُ: «كَلَّمْتُ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةً جَرَدَاءَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ أَمْ لَا؟ فَاتَّفَقَ رَأْيُهُ وَرَأْيِي عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ» قال البيهقي: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ [الحاكم] رَوَاهُ هَذَا كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ.

وروى الخطيب في تاريخ بغداد عن أبي يوسف، قَالَ: «ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر، حَتَّى قَالَ: مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ» (ج ١٥ ص ٥١٦) ونقله الذهبي في العلو (٤٠٩).



فإن قالوا: «لا»؛ كفروا لأنهم وصفوا الله - سبحانه - بالجهل.

وإن قالوا: «نعم»؛ قلنا: فقد أثبتنا أن الله تعالى يتكلم بصوت، فما المانع من أن يتكلم باللغة<sup>(١)</sup> التي علمها قبل أن يخلق الخلق؟

فإن قالوا لأن الحروف مخلوقات لها كيان مستقل، تتكلم وتسجد كما قال الباقلاني نقلاً عن شيوخه، فقد سبق وبيّنّا أن هذا كلام لا قيمة له في ميزان أهل النقل ولا في ميزان أهل العقل، حتى أنّه نُقل عن أحمد وقد حكى له سري السقطي: لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف قالت: لا أسجد حتى أؤمر، فقال: «هذا كفر»<sup>[٢]</sup>

### هل صفة الله جلت في المخلوق<sup>(٣)</sup>

قالت الجهمية لأتباع الأنبياء: أنتم تقولون إنّ القرآن صفة الله،

(١) الصحيح أن يقال «لسان» بدلاً من «لغة» ولكن لكوني أعرف أن قسماً من المخاطبين -خاصّة الأشعرية- قد يذهب ذهنهم إلى اللسان العضو الذي في الفم؛ فاستخدمت المصطلح المعاصر «اللغة».

[٢] الروايتين والوجهين، مسائل العقيدة (ص ٨١).

(٣) سأنقل جواب أحمد ابن تيمية من مجموع الفتاوى (ج ١٢ ص ٢٨٣) بتصرّف واختصار.

وَإِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛

فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا الَّذِي نَتْلُوهُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ؛ فَقَدْ قُلْتُمْ بِالْحُلُولِ، وَأَنْتُمْ  
تُكَفِّرُونَ الْحُلُولِيَّةَ وَالِاتِّحَادِيَّةَ!

وَإِنْ قُلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ قُلْتُمْ بِمَقَالَتِنَا.

والجواب:

اختصاراً لما سبهرهن عليه أن الخلاف بيننا وبينكم في ثلاثة  
أصول:

الأول: هل الله يتكلم ويقول وله صوت، فأنتم تنفون ونحن نثبت.

الثاني: في منشأ هذا الكلام، فنحن نقول هو قول الله، وتكلم  
به، وأنتم تقولون خلقه في اللوح المحفوظ أو في جبريل.

الثالث: ماذا نسمي ما نتلوه في صلواتنا ونكتبه في مصاحفنا، فأنتم  
تقولون كلام خلقه الله، وتقولون يجوز أن نسميه كلام الله على سبيل  
المجاز لا على الحقيقة، ونحن نقول هو كلام الله حقيقة، وهذا الثالث هو ما  
لبستم به في السؤال.

## والتفصيل:

صاحب الشبهة لم يفرّق بين كلام الله إذا كان مسموعاً منه، وكلامه مُبلّغاً عنه.

فلو افترضنا جملة قاهما رجلٌ وسمعتها أنت فقلت: «هذا كلام حكيم» ثم أخبرت بهما شخصاً آخرًا؛ فقال: «هذا كلام حكيم» فهذا الشخص عندما أشار إلى الكلام ووصّفه بأنّه حكيم؛ أشار إلى كلام الأول الذي تنقله أنت، فقولك «هذا كلام حكيم» وقوله: «هذا كلام حكيم» في العبارتين إشارة إلى الكلام نفسه.

ولو افترضنا شخصاً أنشد لك شعراً؛ فقلت: «هذا صوت رقيق، وأداء سريع» ثم أنشدت الشعرَ لآخر فقال الآخر: «هذا صوت غليظ، وأداء بطيء» فالإشارة هنا اختلفت، فكانت إلى أداء المؤدي وصوته، لا إلى الكلام.

وإذا قلتَ كلامًا وكتبه عنك شخصان، فنظر رجل إلى كتابتهما، فقال: هذا خط جميل، وهذا خط رديء، وهذا كلام بليغ فصيح.

فإشارته إلى الخط هي إشارة إلى ما تختص به تلك الأوراق، وإشارته

إلى الكلام فهو يخص ما قلته.

فإذا ميّزت هذا؛ تبين لك أن قول المسلمين: «هذا القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق» فإن المشار إليه هو الكلام، مع قطع النظر عن وسيلة نقله إلينا من حركات العباد وأصواتهم، وفي قولنا: «صوت العبد وحركته مخلوقة»؛ لم يكن هذا فيه حجة على أن القرآن بحروفه ومعانيه مخلوق، بل هو كلام الله يتعلمه الناس بعضهم من بعض، وهو الكلام المنزل من الله الذي جاء به جبريل إلى محمد ﷺ، وبلغه محمد ﷺ لأمته، وهو كلام الله الذي تكلم به سبحانه، وكلام الله يمتنع أن يكون مخلوقاً، فإنه لو كان مخلوقاً؛ لكان كلام المخلوق الذي خُلِقَ فيه هذا الكلام ولم يكن كلاماً لله.

[شبهة] قال الجويني الأشعري: «ثم قالوا: إذا كُتِبَ كلام الله تعالى بجسم من الأجسام،<sup>(١)</sup> وانتظمت تلك الأجسام رسوماً ورقوماً، وأسطراً

(١) يقصد الخبر أو ما شابه.

وكلاماً، فهي بأعيانها كلام الله تعالى القديم،<sup>(١)</sup> وقد كان إذ ذاك جسماً حادثاً، ثم انقلب قديماً».[٢]

وقال عز بن عبد السلام متهمكاً معترضاً على أتباع النبي ﷺ: «وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مُرَكَّبٌ مِنْ حَرْفٍ وَصَوْتٍ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّهُ فِي الْمَصْحَفِ، وَلَيْسَ فِي الْمَصْحَفِ إِلَّا حَرْفٌ مُجَرَّدٌ لَا صَوْتَ مَعَهُ» وقال بعدها: «فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَالْإِضْلَالِ وَالْإِغْوَاءِ».[٣]

قلت: آمين آمين آمين.

ومثل هذا الاعتراض إنما يدل على قلة الفهم، وفي الجواب عليه قلنا: عند إشارتنا إلى ما في المصحف وقولنا: «هو كلام الله» هذه مفهومها عند الإطلاق في فطر المسلمين أنه كلامه لا كلام غيره، وأنه لا زيادة فيه

(١) وقوله «قديم» يعني غير مخلوق.

[٢] الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص ١٤٩).

[٣] رسائل العز بن عبد السلام في التوحيد ط. دار الفكر (ص ٢١).

ولا نقصان؛ فإن من يكتب كلام غيره قد يزد فيه وينقص.

قلت [محمد]: فإنك تجد في الحاشية في أول هذا الكلام أنني قلت أنني سأنقل كلام أحمد ابن تيمية بتصرّف، هذا لأنني لم أنقله كما هو، وتجد فيمن يذكر حديثاً نبوياً لا يضبط ألفاظه يقول: «فيما معناه» ومن ينقل عبارة غيره كما هي يقول: «هذا كلامه بلفظه» أو «بحروفه» أو «هذا نص كلام فلان» يعني لم يزد فيه ولم ينقص.

وذلك معنى قولهم هذا كلامه بعينه وهذا نفس كلامه لا يريدون أن هذا هو صوته وحركاته وهذا لا يقوله عاقل ولا يخطر ببال عاقل ابتداء.

ونقول لهؤلاء: لو كان الله سبحانه كلما خلق كلاماً كان كلامه؛ لكان كل كلام المخلوقات كلاماً له، وهذا قول الحلولية الذين يقولون:

وكل كلام في الوجود كلامه سواءً علينا نثره ونظامه

فمن قال: القرآن مخلوق فهو بين أمرين:

إما أن يجعل كل كلام في الوجود كلامه.

وإما أن يقول إن الله غير متكلم بشيء أصلاً فيجعل العباد المتكلمين أكمل منه، ويشبهه بالأصنام أو بعجل بني إسرائيل الذي قال الله عنه: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٨].

### فإذا قالوا: هل كلام الله فارقه؟

قلنا: اتباع الظن وما تهوى الأنفس يلجئ أصحابه إلى القرمطة والسفسطة، ولو ترك الناس على فطرتهم لكانت صحيحة سليمة، فإذا رأى الناس كلاماً صحيحاً؛ فإن من تكلم بكلامٍ وسمِعَ منه ونُقِلَ عنه أو كَتَبَ في كتاب؛ لا يقول عاقل إن نفس ما قام بالمتكلم من المعاني التي في قلبه والألفاظ القائمة بلسانه فارقت وانتقلت عنه إلى المستمع والمبلِّغ عنه، ولا فارقت وحلت في الورق؛ بل ولا يقول إن نفس ما قام به من المعاني والألفاظ هو المداد نفسه الذي في الورق؛ بل ولا يقول إن ألفاظه نفسها التي هي أصواته هي أصوات المبلِّغ عنه، فهذه الأمور كلها ظاهرة لا يقولها عاقل في كلام المخلوق إذا سُمِعَ وبلِّغَ أو كُتِبَ في كتاب، فكيف

يقال ذلك في كلام الله الذي سُمِعَ منه وُبُلِّغَ عنه أو كَتَبَهُ سبحانه كما كَتَبَ التوراة لموسى ﷺ، وكما كَتَبَ القرآن في اللوح المحفوظ، وكما كتبه المسلمون في مصاحفهم.

وإذا قرأنا على الناس قصيدةً لحَسَّانَ بنِ ثابتٍ؛ سيقولون: هذا كلام حسان بن ثابت، ويعلم كل عاقل أننا لم نسلب حَسَّانَ - رضي الله عنه - صفته وحلَّتْ صفته بنا، فكيف يتوهم متوهم أن صفات الباري وكلامه فارقه وحل في مخلوقاته، ويعلم كل عاقل أنَّ نقل الكلام ليس كنقل الأجسام وتوابعها، فإن الجسم إذا نُقِلَ من موضع إلى موضع زال عن الأول، ومن هنا غلط من غلط فظن أن القرآن في المصحف كالأجسام في مواضعها، وهو عند العقلاء كلام يأخذه الثاني عن الأول، ولا يزول من الأوَّل.

فقول القائل: «إن قلت: إن هذا نفس كلام الله فقد قلت بالحلل» فهذا قياس فاسد، مثاله مثال رجل ادعى أن النبي ﷺ يحل في بدن الذي يقرأ حديثه فأنكر الناس ذلك عليه وقالوا: إن النبي ﷺ لا يحل في بدن غيره، فقال: «أنتم تقولون: إن هذا يقرأ كلامَ النبي ﷺ، فإذا قلت ذلك فقد قلت بالحلل» ومعلوم أن هذا في غاية الفساد.



والناس متفقون على إطلاق القول بأن «كلام فلان في هذا الكتاب» و«هذا الذي سمعناه كلام فلان» ولا يستجيز العاقل إطلاق القول بأن فلاناً نفسه في هذا المتكلم أو في هذا الورق.

وإما قولهم بأننا إن لم نقل بالحلول فقد قلنا بمقالتهم؛ فجواب ذلك أن مقالاتهم المُنكَرَة هنا تتضمن ثلاثة أمور فإذا زالت لم يبقَ منكر.

أحدها: من يقول إن القرآن العربي لم يتكلم الله به وإنما أحدثه غير الله كجبريل ومحمد والله خلقه في غيره.

الثاني: قول من يقول: «إن كلام الله ليس إلا معنى واحداً هو الأمر والنهي والخبر وإن الكتب الإلهية تختلف باختلاف العبارات لا باختلاف المعاني» فيجعل معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحداً، وكذلك معنى آية الدّين كمعنى آية الكرسي.

الثالث: قول من يقول: «إن ما بلغته الرسل عن الله من المعنى والألفاظ ليس هو كلام الله، وإن القرآن كلامُ التالين لا كلامُ رب العالمين».

فهذه الأقوال الثلاثة باطلة بأي طريقة عبر عنها صاحبها.

وأما قول أتباع النبي ﷺ: إن القرآن العربي كلام الله بَلَّغَهُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ تَارَةٌ يُسْمَعُ مِنَ اللَّهِ، وَتَارَةٌ يُسْمَعُ مِنْ رُسُلِهِ مُبَلِّغِينَ عَنْهُ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَيْثُ تَصَرَّفَ، وَقَدْ تَكَلَّمَ بِهِ اللَّهُ وَلَمْ يَخْلُقْهُ فِي غَيْرِهِ، وَلَا يَكُونُ كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقًا وَلَوْ قَرَأَهُ النَّاسُ وَكَتَبُوهُ وَسَمِعُوهُ. وَقَالَ مَعَ ذَلِكَ: إِنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ وَأَصْوَاتَهُمْ وَسَائِرَ صِفَاتِهِمْ مَخْلُوقَةٌ.

والحمد لله رب العالمين.